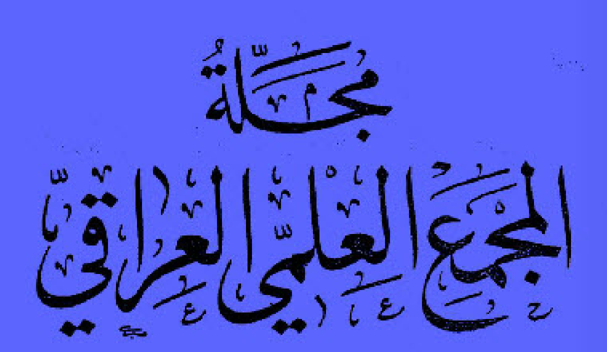


المجلد السابع

(١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م)



١٣٧٩ — ١٩٦٠



المجلد السابع

(١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م)



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٧٩ — ١٩٦٠

المثـــل

المثل في القرآن الكريم

« وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون »

« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

« ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا » .

« ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا » .

إن الحديد بالحديد يفلح

✡

إشَاسْ شاصْ واِلحَمَلْ حِمَلْ

الأمثال لا تغير في مضربها عن حال موردها

إن صيغة (مَثَـل) وما يشتق منها تنبىء عن معنى الحضور والظهور ، وقد تدل على المشابهة والمشاكهة ، تقول (مَثَـل) الرجل بين يدي فلان ، أي حضر لديه منتصباً و « مثل القمر » أي ظهر و « ماثل فلانٌ فلاناً » أي شابهه و (ماثل فلانا بفلانٍ) أي شابهه به و (فلان مِثلُ فلان) أي شبهه و « ضرب له مثلا » أي بيّن له حجة ودليلا و « بسط له مثلا » أي أوضح له حديثا ، ولا يخرج الدليل والحديث عن دائرة معنى

الظهور و « تمثل الشيء » أي تصور مِثاله — والمِثال صفة مقدار الشيء — ولا يخرج تصور الشيء عن معنى حضوره في الخيال

و « المَـثَـل » في مصطلح الأدب ، هو القول السائر الممثل بمضرَبه ، أي المشبهة حالة مضربه بحالة مورده ، أي الحالة التي كان قد ورد فيها القول ، فهو استعارة تمثيلية مبنية على التشبيه المركب أي تشبيه الصورة المنتزعة من حالة المشبه بالصورة المنتزعة من الحالة التي كان عليها المشبه به ، على غرار قول بشار :

كأن مثارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبه

وقد حصر علماء الأدب قديماً وحديثاً الـكلام « في المَثَـل » بهذا المعنى الذي انهينا من تفسيره ، بحيث أصبح « المَثَـل » عند الاطلاق لا يقصد منه إلا هذا المعنى وقـد جمعوا ما تيســر لهم جمعـه ، من الأمثال القديمة التي أصبح أكثرها لا يتبيّن معناه إلا بشرح قد يطول ، كما ان أغلبها قد نفر من أنس الاستعمال ، فاستوحش وصـار غريباً لا يألف أقلام الـكتّـاب ، ولا صحائف الـكتب ، ولا سطور الصحف وقد ألّف فيها بعضهم كتاباً مثل كتاب الأمثال للمفضل الضَـبِّي ، وكتاب مجمع الأمثال للميداني. ونظمها بعضهم وشرحها في مجلد ضخم مثل كتاب فرائد اللآل في مجمع الأمثال للشيخ إبراهيم الأحدب الطرابلسي

وقسم بعض أسـاتذة الأدب كلام العرب الى منظوم ومنثور ، والمنثور الى مرسـل ومسجوع ، وإلى محاضرات وخطب وأمثال ، وعرفوا المَثَـل بمِـثْـل ما سبق أن عرفناه به ولا شك أن هذه التقسيمات مبنية على أوصاف يمتاز بها نوع من الـكلام عن نوع منه ، واعتبروا تمايز الأمثال عن غيرها من كلام العرب ، بكونها عبارات موجزة لبعض الناس فشت وسار استعمالها في المخاطبات والمعاتبات ، لتصوير الحال التي ذكرت فيه بالحال التي كانت قد أنشئت وقيلت فيه ، وذلك إمّا لطرافة في الصورة التي يحملها المثـل ، وإما لأن

تلك الصورة توحي الى ذهن السامع ما لا تؤديه رسالة أو صحيفة أو سطور ، من تفسير أو إيضاح ، أو معنى آخر يقتضيه المقام وهذا هو معنى الايجاز فالسامع عند ضرب المثل له ترتسم في ذهنه صورة حال مورده شارحة له حال مضرب المثل ، فيفهم المعنى المقصود من الكلام بكل الدقة والوضوح ، فهماً جامعا شتى المتفرقات ، كما لو عرضت عليك صورة شخص لتعريفه اليك ، فانها تعرّفه اليك وتحيطك به من حيثيتيه : المادية والمعنوية ، بأكثر مما تعرّفه صحف عديدة أو رسالة مسهبة فان المشاهدة تؤدي في التعريف ما لا يؤديه التوصيف

كل ما مر بحثه من خطة الأدباء في المثل صحيح مقبول مشكور ولكنهم قد اغفلوا في كلامهم وتقسيماتهم نوعين من الأمثال يشتاق الأديب الى البحث فيهما ، وتدوين ما يتيسر تدوينه منهما :

الأول — أمثال القرآن الكريم وهي الأهم علماً ، والأغزر فائدة

والثاني — الأمثال العامية وهي من نوع الأمثال التي جمعها السلف من حيث الماهية والحقيقة ، الا انها من وضع العامة لم تراع فيها الفصاحة ولا البلاغة فهي نوع من الأدب العامي

ولا شأن لنا في هذا المقال بالامثال التي بحث فيها الأدباء جمعاً وشرحاً ثم نظماً وتفسيراً

أمثال القرآن الكريم

المثل في القرآن الكريم ليس من قبيل « المثل » المصطلح عليه عند الأدباء المعرف عندهم بالتعريف السالف الذكر أو بما يساويه معنى ، أو بما يعادله لفظاً ومعنى ، ولا هو على غراره . وليس هو من النوع الداخل في تقسيم المنثور الى الأقسام التي مرت الاشارة اليها آنفاً بل هو نوع آخر أسماه القرآن الكريم (مثلاً) من قبل أن تعرف علوم الأدب « المثل » ومن قبل أن تسمى به نوعاً من الكلام المنثور وتضعه مصطلحاً له بل من قبل أن يعرّف الأدباء « المثل » بتعريفهم الذي سبق ذكره فقال في سورة البقرة : (إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها »

فالمثل بعرف القرآن الكريم هو الكلام الذي يقصد به تصوير حالة ، أو واقعة ، أو شخص ، لاتعاظ القارئين والسامعين بالصورة التي صورها لهم ، أو لإيناسهم بها ، سواء أطال الكلام أم قصر ، وأشاع وفشا أم بقى في لوحته اللامعة مكتوباً محفوظاً وهذا الضرب من الكلام من أبلغ صور التشبيه المركب ، وأدق ما يرمى إليه البليغ من الوسائل التي تبرز المعاني الخفية المضمرة ، سافرة الوجه ، واضحة الملامح ، جميلة المنظر وإلى مثل هذا يقصد المصورون وأشباههم في وسائلهم الميسورة لهم ، وبهذا يتفاوت مقامهم ، وتبارى مهارتهم وحسبك معرفة بفخامة هذا الضرب من الكلام أن جاءت به الكتب المقدسة كاثرة في إيراده « تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار »

وحسبك علماً بتأثيره في النفوس ، أن القرآن الكريم صدع بضرب الأمثال في كل مقام ومقال ، وأنه في أوائل صحائفه المشرقة بنور الهداية بادر بضرب المثل فانه بعد أن قسم الناس في مفتتح سورة البقرة الى متقٍ مفلح ، وكافر عنيد ، ومنافق خاسر ، ضرب مثلاً للمنافقين ، مصوراً حالتهم العجيبة ، عما يخفون وما يبدون ، وبسيرهم المعوج سير اليربوع في نافقائه ، وبترددهم بين التظاهر بالايمان وبين إبطان الكفر وإضماره ، فاذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، وبحيرتهم في أمرهم وعدم استجابتهم لدعوة الحق ، وبجبنهم وخورهم وخذلانهم ، وبانصرافهم عن طريق الصواب وعن تدبرهم ما يسمعون من الحكمة والموعظة أقول ضرب لهم مثلاً رسم فيه هذه المعاني الكامنة في نفوسهم رسماً يكاد يلمس باليد ، ويشاهد بالعين ، فقال : «مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون. صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف

أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم أن الله على كل شيء قدير » وخص المنافق بالتمثيل دون المتقي والكافر ، لأن أمر كل منهما واضح ، وطوية كل منهما معلومة صريحة ، ذاك معلن إيمانه مفلح ، وهذا معلن كفره معاند مبلس. فكل منهما معروف الحال ، مكشوف السيرة بخلاف المنافق الحائر المحيّر، المبطن للإنكار ، المتستر بالايمان ، الخداع البغيض ، المتلوّن تلوّن الحرباء ، الغامضة سيرته ، الخبيثة طويته فهو الحريّ أن ترسم صورته القبيحة ، ويُكشف عن وجهه البشع الدميم ليعرف بين الناس ، فيتقوا شره ، ويتجنبوا طرقه الملتوية ، وعمله المنكر ، وسيرته الشاذة

إن أمثال القرآن الكريم آيات بينات تصور المعاني الدقيقة والحالات الغامضة ، تصويراً بارزاً تكاد تلمس معالمه تبعث في النفوس فرحة ، أو هيبة ، أو إرشاداً أو كشفاً عن حقيقة ، أو هداية الى الرشد ، أو نحو ذلك من المعاني الرفيعة التي توجه النفوس الى قبلة الخير ، ثم إلى تزكيتها وتطهيرها من أدران الجموح والغفلة ، وتزجي في القلوب أنواراً تنظر بها الى عجائب الكون ، فتقرأ سفر الوجود آيات بينات ، وتدرك فلسفة العالم العميقة الغور فكل مثل من أمثال القرآن الحكيم يشرح للناس حقيقة من حقائق الاجتماع ، أو ضرباً من عجائب الطبيعة ، أو حجة دامغة لإثبات أمر انصرف عن ادراكه كثير من الناس ، أُفِك عنه من أفك ، وعاند فيه من عاند

واليك ما تيسر لي جمعه من أمثال القرآن الكريم بالمعنى الذي اصطلح عليه :

— ١ —

في تصوير حالة المنافقين وما هم عليه من الحيرة والخبث والغباوة والجبن :

« مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين »

(صُمٌّ) جمع أصم ، وهو من فقد حاسة السمع (بُكم) جمع أبكم ، وهو الأخرس .
(كصيِّب) الصيب هو المطر ، أو المطر المنهمر المتدفق فقد جاء في الأثر ، اللهم أسقنا غيثاً (صيباً) أي منهمراً متدفقاً

فهذه الصورة التي رسمها المثل في ذهن السامع للمنافق يعجز المصور أن يصورها بريشته وأدهانه ، وإذا أجهد نفسه في دقة التصوير ، فلا مناص له من أن يستمد المعونة من صورة هذا المثل ، واذا رافقه التوفيق في المعونة فلا إخال انه يقدر أن يبعث الى ذهن الناظر من الصورة التي أجهد نفسه في إخراجها ، عثل ما يوحي به هـذا المثـل من أشكال ، ومعانٍ وحالات ، وشؤون ، وحركات ، وسكنات ، وتحير ، وتخبط ، وغباوة ، وسوء فهم ، وجبن ، وتعشق للحياة ، ونحو ذلك مما انطوى عليه المنافق ، وجبل عليه من الأخلاق الرذيلة ، التي أوحى بها المثل

— ٢ —

في تصوير حالة المصلح الداعي الى الرشـاد ، بين الضالين ، المعاندين وهو يدعوهم الى الحق والصواب وهم عنه معرضون ، وقد دأبوا على سيرهم في غيهم

« ومثـل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يَسمع إلّا دعاءً ونداءً . صم بكم عمي . فهم لا يعقلون »

« ينعق » يصيح ، يقال نعَـقَ الراعي بغنمه أي صاح بها وزجرها

فهذا المثل انتزع صورة من حالة الراعي ، بين غنمه ناعقاً بها ، صائحاً زاجراً لها ، وهي لا تعي ما يقول ولا تفهم منه شيئاً ، فلا تدرك منه غير صياحه وندائه ، لأنها لا تملك جهاز إدراك المعنى والفهم وشبّـه بها حالة المرشد المصلح بين الضالين المعاندين ، وهو يعظهم ويخطب فيهم ، وهم لا ينتفعون بما يقول ، ويصرون على ما هم عليه ، وهم يملـكون جهاز الادراك ، فلهم آذان ولـكن لا يسمعون بها سماع تفهم ، ولهم عيون ولـكن عليها

غشاوة الضلال فلا يبصرون بها منار الهدى ، ولهم ألسن ولكن لا تنطق بالصواب والحق ، فهم صم بكم عمي ، فهم لا يعقلون. فلا فرق بينهم في النتيجة وبين غنم الراعي وهو ينعق بها

— ٣ —

في تصوير مكاسب من يبذل ماله في سبيل الخير ، وما يجنيه من الثمرات

« مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم »

فتصور بداعة منظر لشخص يدفع درهما في سبيل الخير لا يقصد به إلا وجه الله والمنفعة العامة وبجانبه شخص آخر يزرع حبة من حنطة مثلا في أرض طيبة ، فنبتت الحبة ونمت وتفرع منها سبع سنابل أو أضعافها ، خضر مليئة بالحب ، تحمل كل واحدة منها مائة حبة أو اكثر يأخذها زارع الحبة ، ودافع الدرهم ينظر ، مؤملا أن ينال من الثواب الكثير مثل ما نال صاحب الحبة من الحب الكثير فهذا التمثيل يشرح مكاسب عمل الخير أتم شرح ويدعو الى عمل الخير ويسوق اليه

— ٤ —

في تمثيل الباذلين أموالهم مباهاةً ورئاءاً للناس أو لغرض شخصي ، لا يقصدون به فعل الخير

« فمثله كمثل صفوان عليه راب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا »

(صفوان) صخر أملس (وابل) مطر شديد ضخم القطر (صلداً) صلباً أملس

فهذا المثل يبدي أجلى منظر لحالة المنفق ماله رئاء الناس ، وما كسبه من الثمرات ، وما آلت إليه نفقته من البطلان والخسران

— ٥ —

في حالة الباذلين أموالهم بسخاء من أنفسهم بغية مرضاة الله تعالى وإرضاء ضمائرهم ،

وما تؤثله أعمالهم من خير محقق

« ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنّة بربوة أصابها وابل فآتت أكُلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطلٌّ »

(جنة) بستان (الربوة) ما ارتفع من الأرض (الأُكُل) الثمر والرزق (الطلّ) الندى ، أو أخف المطر وأضعفه

فالمثل هنا يرسم صورة زاهرة تعبر عن نفقة المنفقين أموالهم للخير وما تؤتيه من نفع فهو يصورها ببستان — وهي تجمع أنواع الثمرات — قائمة على أرض مرتفعة تستدر المطر الشديد فيصيبها ، أو يصيبها الطل إن لم يكن مطر فهي ريّاً دائماً متحققة الإثمار على كل حال ، يتضاعف ثمرها لزكاة مائها وطيب تربها . فنفقة الخير الخالصة لله هذه صورها .

— ٦ —

في من يبطل آثار عمله الصالح بالحاقه إياه بعمل مفسد له فمن ينفق ماله في سبيل الخير ثم يتبع نفقته بالمنّ على من أنفق عليه أو بأيذائه بتعييره بها ، فان كرامة نفقته تزول ، ويمّحي أثرها .وقد ضُرب هذا المثل في هذا المضمار

« أيود أحدكم أن تكون له جنّة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكِبَر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت »

(إعصار) ريح تهب من الأرض كالعمود ، أو ريح تثير السحاب ، أو التي فيها نار

يتضمن هذا الكلام مثلاً بارعاً لمن يحصل على نتائج مرضية من جهوده ثم يطرأ عليها ما يمحوها من الوجود والاعتبار ، وليس له قوة ولا نصير لدفع ما ألم بها

— ٧ —

في حالة المرابي من انشغال باله بانماء ماله بلا تعب ، وذهوله عن نفسه باضطراب ذهنه دائماً في حساب الدينار والدرهم والفلس من الربا ، وتحضير ما يدعو الى خضوع المراجعين لأمره من أساليب ، وتعمقه في الحساب الدقيق

« الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » .

أي كما يقوم المجنون في حال جنونه إذا صرع وسقط ، فما أصدق هذا التصوير المعجز ، في المرابي يقال : (تخبطه الشيطان) إذا مسّه بأذى

— ٨ —

في بيان مصير ما ينفقه ذوو المبادئ الفاسدة الرخيصة لتدعيم مبادئهم ، وما تخلفه تلك النفقات

« مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صِرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

(الصِرُّ) شدة البرد

فهذا التصوير يؤدي أوضح بيان عن مغبة مثل هذه النفقات فانها تضمحل ولا يبقى لها أثر ، كما تهلك الريح العاصفة ما أتت عليه من زرع ونحوه .

— ٩ —

في تصوير حالة من يرجع الى ما كان عليه في ماضيه الأسود ، بعد ان دخل في حياة مشرقة بنور الصلاح والهدى

« كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى إئتنا قل إنّ هدى الله هو الهدى »

(استهوته) إستنزلته ، أو زينت له هواه (حيران) لايهتدي لسبيله

— ١٠ —

في المقارنة بين من يستجيب للمصلحين فيستمع القول ويتبع أحسنه ، فيصبح عضواً صالحاً في المجتمع ، وبين من يبقى عاكفاً على ضلاله

« أو من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن هو في الظلمات ليس بخارج منها » .

— ١١ —

في طيب الأصل وزكاة المنبت ، وفي فساد الجذم وخبث المنبت

« والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نـكدا »

(نكداً) قليلا عسرا

فما أدق هذا التمثيل في طيب الأعراق وخبثها وما ينبعث عنهما من نتائج صالحة أو طالحة.

— ١٢ —

في من يَريم على سوء خلقه ، ويقيم على قبيح عمله ، ولا ينفع فيه ما يدعوه الى تعديل ما اعوج فيه ، وتبديل ما قبح منه ، فهو لا يقلع عن خطئه

« فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل الذين كذبوا بآياتنا »

(ان تحمل عليه) أي تهاجمه (يلهث) يخرج لسانه تعباً أو عطشاً

ولا تخفى طرافة هذا التمثيل ودقته في الموضوع

— ١٣ —

في الغافل الذي لا ينتفع بما يملكه من وسائل الانتفاع

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »

(ذرأ) خلق (قلوب) عقول القلب يطلق على العضو المعروف في الانسان الذي يضخ الدم الواصل اليه ، إلى المجاري الدموية ويُطلق على العقل والقرآن الكريم جرى على هذا الاطلاق الثاني ، وكذلك أكثر الأحاديث النبوية فهذا المثل يصور من ملك العقل والبصر والسمع — وهي وسائل الفهم — ولم ينتفع بها فيما يراه ويسمعه ويدركه ، يصورهم بالأنعام التي لا تملك العقل فلا تدرك مما تراه وتسمعه إلا قدر ما يهديها الى رزقها وما يشعرها بما يضرها ـ ألهمها فجورها وتقواها ـ بل قدر أن الأنعام أحسن حظاً منهم لأن الأنعام تدرك هذا القدر من ضرورياتها مما تسمع وترى ، وهم غافلون

— ١٤ —

في تصوير صفة الحياة الدنيا في تقلبها، كتجهّمها بعد انشراحها، وانقباضها بعد انطلاقها، وانطفاء جمالها بعد بهجتها وازدهارها ، وعسرها بعد يسرها ، وضيقها بعد اتساعها ، فهي لا تستقر على حال فلا تصلح أن تكون منتهى ما يتطلبه العاقل ، والغاية المثلى التي يجري وراءها :

« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون »

(زُخْرُفها) كمال حسنها وألوان نباتها (حصيداً » محصودة لا زرع فيها (لم تغنَ) لم تُسكن

فهذا المثل المبين لتقلب الحياة من صفو الى كدر ، ومن زهو الى عدم ، ومن أمل الى يأس ، ومن رجاء الى قنوط ، لأبلغ مثل لقوم يتفكرون يعجز أمهر المصورين من تصوير ما جاء به ، مهما أوتي من أصباغ وريش ، ويقف النحّات عند حده مهما أوتي من ألواح طيّعة وأزاميل قوية حادّة

— ١٥ —

في بشاعة وجوه الكافرين يوم الحساب :

« كأنما أغشيت وجوههم قِطعاً من الليل مظلماً »

(أُغشيت) غطيت . فالوجوه الكالحة المظلمة من سوادها ، لا تمثل بابلغ من أن تكون قد غطيت بقِطع من الليل المظلم ، لابقطعة واحدة منه فالذهن يستخلص من هذا المثل الموجز صورة بالغة في السواد والقبح ، فتدركه عظة بالغة ، لاتدركه من لوحة المصور وان عظم حجمها وأعمق سوادها فاحماً فما أبلغ هذا الايجاز

— ١٦ —

في من يتطلب الشيء ممن لا يقدر عليه ، أو من يطلب المحال

« كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ظلال »

فالقرآن العظيم ضرب هذا مثلا لعبدة الأوثان ونحوهم ممن يتضرعون الى غير الله طالبين منه ما يرجون حصوله وتحقيقه من الشؤون ومن المحال ان يستجيب لهم ولا أبلغ من صورة هذا المثل في الموضوع

— ١٧ —

في الموازنة بن الضال والمهدي

« مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا »

لا يستويان بلا شك

— ١٨ —

في المقايسة بين الضال والراشد ، والضلال والهدى :

« قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور »

فالضال كالأعمى الأصم الذي لا يرى المصلح ولا يسمع ما يقوله سماع تفهم ، والمهدي الراشد بصير يرى المصلح ويسمع ما يقوله سماع تفهم

والظلمات تطمس السبل والصوى ، وتضل الدليل وتغشى الحقائق ، وهكذا الضالون .

والنور ينير السبل ويجلّى الصُوى ويظهر الحقائق ، وهكذا المصلحون

— ١٩ —

في الحق والباطل وثبات الحق وزوال الباطل :

« أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زَبَداً رابياً ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حِلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جُفاءاً واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الأمثال »

(رابيا) عالياً على وجه الماء (حلية) ما يزيّن به من مصوغ المعدنيات والحجارة (جُفاء) ما رمى به الوادي الى جنباته من الغثاء

صور هذا المثل للحق والباطل صورة مشتقة من سيل الوديان بمياه الأمطار الغزيرة الجارفة تحمل على وجهها ما اعترضها من غثاء زبداً رابياً ، كما تحمل معها مواد نافعة للزراعة والعشب ، فهذا السيل الطاغي يرمى في مسيره بالزبد إلى جنباته ، إذ لا فائدة فيه للأرض فيذهب جفاءاً ، وما ينفع الزراعة والعشب من المواد كالغرين ونحوه ، يبسطه على وجه الأرض ماكثاً فيها لينتفع منه الناس فالباطل مثل هذا الزبد يذهب جفاءاً وان جاء راكباً ظهر الماء وما ينفع الناس يبقى ثابتاً على وجه الأرض وان جاء ساجماً مع الماء ويتمم المثل هذه الصورة بحال المعادن من ذهب وفضة وحديد وصفر ونحوها ، عندما يراد الصنع فيها فتُسلط عليها حرارة عالية تصهرها حتى تذوب فيطفوا ما خالطها من مواد خبيثة غريبة عنها زبداً رابياً على وجه الذوب ، فينفي الصانع هذا الزبد ويرمي به جفاءا وتمكث مواد أصل المعادن في محلها محتفظاً بها ، فيصنع منها الحلي للزينة ، أو الأمتعة الأخرى من سائر مرافق الحياة فهذا الزبد يمثل الباطل الذي يزول ويزهق وان علا وقتاً ما ، وأصل مواد المعادن التي تبقى للانتفاع منها تمثل الحق الذى يبقى راسخاً في محله يصارع الباطل فيزهقه

— ٢٠ —

في صفة الجنة التي يستحقها المتقون بوعد الله وثوابه :

« مثل الجنة التي وُعِد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكُلها دائم وظلها تلك عُقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار »

(عقبى) جزاء فالعقبى جزاء الأمر ، يقال أعقبه أي جازاه

فهذا المثل يصور الجنة التي وعد الله تعالى المتقين بها. وما ألطف صورها في المثل؟ فهي عقبى الراغب فيها وجزاؤه ، كما ان النار جزاء الكافر بالله الجاحد نعمه وفضله

— ٢١ —

في مغبة أعمال المفسدين وما تقدموا به من خير على زعمهم :

«مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد »

(يوم عاصف) يوم تعصف فيه الريح أي تشتد

يصور المثل أعمال المفسدين وآثارها في سبيل الفساد برماد عصفت به الريح في يوم استمرت فيه الرياح العاصفة ، (يوم عاصف) فمحت آثاره ولم يبق منه شيء ما، يقدرصاحبه على الاحتفاظ به والإفادة منه فاصبحت أعمالهم المبنية على الفساد والإفساد هباءاً منثوراً

— ٢٢ —

في قوة الكلام الطيب ونتائجه الطيبة ، وقوة الكلام الخبيث :

« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار »

(اجتثت) استؤصلت أي قطعت بعروقها ، لضعف العروق

الشجرة الطيبة مثل النخلة من الأشجار الراسخة العروق في الأرض لا تقتلعها الزعازع ، تعطى الناس ثمراً طيباً في موسم الاثمار حيناً بعد حين والشجرة الخبيثة مثل الحنظل من الأشجار التي لا قرار ولا رسوخ لها في الأرض فهي تُنتزع من أصلها بأقل عمل ، وتقتلع بجذروها بأدنى تعمل ، ولا يجتني منها غير خبيث الثمر ورذاله وكذلك الكلام الطيب يدخل في القلوب فيبقى راسخاً فيها ، وتحفظه الكتب فيبقى حياً فيها الى ما شاء الله ، يغذي النفوس بطيبه كلما رددنه الألسن ، وينفذ من الأسماع الى قرارات النفوس فيستقر فيها ، فتنعم بطيبه وخيره ، وتهنأ بثماره المعنوية والثمار المعنوية خير وأبقى من الثمار المادية والكلام الخبيث لا يقوى على القيام بنفسه ، تكرهه الأسماع ، وتمجّه النفوس ،

فلا قرار له ولا بقاء ، كالضباب يغطي الرياض برهة فيزول ، والنفوس منه منقبضة ، والقلوب له كارهة

— ٢٣ —

في من ينجز عملا صالحاً مفيداً له أوله وللمجتمع ، ثم يفسده ويبطله بعد إتمامه بعمل نقيضه ، فيخسر الفائدة والثواب ، ويضيع الوقت بالعبث

« ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا »

(النَّكث) بالفتح النقض و (النِّكث) بالكسر ما نقض من الغزل والأكسية ، جمعه (أنكاث)

فما أوجز هذا المثل ؟ وما أدقه ؟ في تصوير مثل هذا العمل الذي لا يأتي به إلّا أخرق أحمق

— ٢٤ —

في زوال النعمة بكفرانها بطراً ، وحلول النقمة بدلها ، جزاءاً وفاقاً

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رَغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

الرزق (الرغد) الطيب الواسع يقال رغد عيشه رغداً اذا طاب واتسع

فشكر النعمة بالعمل بها في الصالحات ، يديمها وكفرانها بالعمل بها في الموبقات والتبذير ، وبالتخلف عن الشكر ، يزيلها

إذا كنت في نعمة فارعَها فان المعاصي تزيل النعم

فأمهر المصورين لو أراد أن يصور الذهن في لوحة ، قرية تتدفق عليها الخيرات الناعمة الكثيرة من سائر الأماكن والأطراف ، وأهلها آمنون مما يكدر صفوهم ، مطمئنون في رغد عيشهم ، ثم يأخذهم البطر ، فينصرفون عن رعاية تلك النعم العظيمة بالشكر ، الى كفرانها بالعمل خلاف مقتضى الشكر ، فتضيع النعم ، ويحل البؤس والنقم ، فيتبدل رغد

عيشهم جوعاً ، ورفاهية أمهم وحلاوة طمأنينتهم ، خوفاً محرجاً مراً ، أقول لو أراد المصور الأمهر أن يتحف الأذهان بتصوير هذه الشؤون والمعاني ، للاعتبار ، لوقف عاجزاً أن يأتي بما يقارب ما يصوره هذا المثل الموجز لفظاً الواسع المطنب معنى

— ٢٥ —

في المقايسة بين الصم العاجز ، وبين الخالق القادر ، أو بين الأمة المستعبدة المقيدة ، وبين الأمة الحرة الطليقة المالكة نفسها

« ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستويان »

صورة كلها بيان ودقة في إظهار البون الشاسع بين الفريقين ، ليدرك ذو اللب أي الفريقين أحق بالاعتبار

— ٢٦ —

في الموازنة بين القَدم البليد العاجز الكل على غيره ، وبين المصلح المستقيم اللامع

« وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم »

(الكَلُّ) الثقيل لا خير فيه ، جمعه كلول

المثل يصور للذهن شخصين ، جمع أحدهما البكم والعجز والبطاءة وثقل الطبع ، على من يعتمد عليه ، لا يأتي له بخير في أيِّ عمل يوجهه إليه ويصور له شخصاً آخر مصلحاً ، على نهج مستقيم ، يطلب من الناس الأخذ بالعدل في أعمالهم وتصرفاتهم ثم يطلب منك أن توازن بينهما في المماثلة والمساواة

— ٢٧ —

في الطاغي المغرور بماله الغافل عن شكر الله (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى)

« واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا

بينهما زرعاً .كلتا الجنتين آتت أكُلَها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رُددت الى ربي لأجدنَّ خيراً منها منقلباً قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً لكنّا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً . ولو لا إذ دخلتَ جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلاّ بالله إن ترنِ أنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتينِ خيراً من جنتك ويرسل عليها حُسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحداً ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً »

(يحاوره) يراجعه في الكلام يقال (تحاوروا) أي تراجعوا الكلام بينهم .. (حسباناً) جمع حسبانة وهي الصاعقة والبرَدَة (الصعيد) وجه الأرض (زلقاً) أملس لا تثبت عليه القدم (غوراً) غائراً ذاهباً في جوف الأرض (خاوية) ساقطة (عروشها) العرش ما يستظل به كالعريش ، وعرش البيت سقفه وعرش الكرم فروعه ودواليه تفرش على قوائم خشب ونحوه فتصبح كالمضلة

فما أبلغ ما صوره هذا المثل من غفلة المغرور ، وترفّعه بغروره على من هو دونه في الثراء ، وتعسفه وزهوه وخيلائه في المحاورة ، وجهله قيمة نفسه وضعف قوته ، وازدرائه بصاحبه ، وما اكتسبه في غروره من خسران فظيع ، مع فقد الناصر له . ومجافاة النصر إيّاه وما أبلغ هذه الصورة عظة للاذهان المدركة

— ٢٨ —

في زهرة الحياة الدنيا الفانية :

« مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح)

(هشيماً) يابساً متكسراً . (تذروه) تفرقه وتطيره وتذهبه

أبين مثل ، وأعمق تصوير ، للحياة الدنيا فبينا نراها زاهرة تملأ الصدور فرحاً ، والنفوس سروراً ، والقلوب آمالاً ، إذا هي مظلمة داكنة ، طعمها صاب ، وأيامها عذاب ، بعد أن كانت عِذابا ، ومباهجها أحلام وسراب ، كالنبات يهيجه الغيث الدَّوم ، فتصبح الأرض مخضرة نضرة ، شذية عطرة ، حتى إذا استغلظ واستوى ، وبلغ المدى ، أصبح هشيماً تذروه الرياح كأن لم يكن بالأمس وهكذا الحياة الدنيا وزينتها

— ٢٩ —

في ضعف الباطل ، ووهنه وخوره ، أمام الحق في سلطانه وقوته وسطوته

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »

(نقذف) نرمي (دمغ فلان فلاناً) ضربه على دماغه فالتعبير في المثل (يدمغه) من باب المجاز (زاهق) مضمحل زهق الباطل أي اضمحل

أروع مثل يصور باوجز عبارة ، مبلغ قوة الحق وسلطانه على الباطل ، وأن الباطل لا يقوى على مصارعة الحق ، فالحق راسخ والباطل مضمحل

— ٣٠ —

في من يخضع له الناس ، ويستمدون العون منه . وهو في الحقيقة والواقع عاجز عن الذبّ عن نفسه وماله

« ضرب الله مثلا فاستمعوا له إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)

(استنقذه منه) خلصه منه واسترجعه اليه

أطرف وأدق مثل في تصوير من يتخذه الناس سنداً وغوثاً في شؤونهم ، وهو أضعف من الذباب وأحطّ منها في الواقع ، كالأصنام ، فانها عاجزة عن دفع الذباب عنها بل هي عاجزة عن استرداد ما يأخذه الذباب عنها من طيوب ضمخت بها ، ودهون مُسحت بها فما أسفه

من يعبدها ، وما أجهل من يستنجد بها ومثلهم في الحكم من يتخذ شرار الناس أئمة ، وضعافهم قادة . وضلالهم هداة ولله الأمر من قبل ومن بعد

— ٣١ —

في كيفية استيلاء الله تعالى على العالم ، وانكشاف العالم وظهوره بوجوده وقدرته وحكمته :

« الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم »

(المشكاة) الطاقة غير النافذة وقد شرح الامام الحجة أبو حامد الغزالي عليه الرحمة في رسالته (مشكاة الأنوار) هذا المثل العظيم شرحاً اقتبس أنواره من نور الآلهية ، بالهام من تجلى الربوبية

وليس بمقدوري أن أوفي هذا المثل المعجز حقه من الشرح والتأويل في هذا المقال الموجز بيد أني اعتقد أن من تدبره وتعمق في تفهمه ، وله ذوق صوفي ، وعلم بالأشعة والأنوار ، يدرك منه تصويراً بليغاً لوجود العالم وقيامه بوجود الواحد القهار . الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

— ٣٢ —

في تصوير مبلغ أعمال المفسدين — ومنهم الكافرون بالله أو بأنعمه — المخادعين ، ومقدار نفعها والانتفاع منها

« والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد

يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »

(السراب) شعاع يرى على الأرض وسط النهار في شدة الحر يشبه الماء (قيعة) جمع قاع (لجيّ) عميق (الضمآن) العطشان

يصور هذا المثال أعمال المفسدين التي يخدع ظاهرها ، وهي لا قِوام لها ولا حقيقة تقوم عليها ، بالسراب الذي يخدع الضمآن ويضله . فيسعى اليه متلهفاً طلباً للماء ، فاذا جاءه لم يجد ماءا فيخيب أمله ويضيع سعيه ، ويندم على ما فات ، إذ لم ينتفع بتشبثه بالسراب. وهكذا أعمال المفسدين وهي من وجه آخر كقطع الليل المظلم لا يتبين منها خير وليس لها بصيص من نور يُرمق ، بل هي حالكة أشد الحلكة ، كظلمات في بحر عميق تشتد الظلمة فيه وحشة ، تتراكب الأمواج عليه بعضها فوق بعض ، فتزداد الظلمة حلكاً سماؤه سحاب . وماؤه عباب نهاره فاحم ، وليله قاتم ظلمات بعضها فوق بعض

— ٣٣ —

في تصوير من يلتجىء في اتقاء السوء والاستزادة من الخير . الى ملجأ وهين لا يدفع ضراً ، ولا يدرأ شراً أو يأوى الى ركن ضعيف ، لايسند من ركن اليه. ولا يحمي له ظهرا

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت »

(الولي) النصير والمنعم ، جمعه (اولياء) (أوهن) أضعف

ما أصدق هـذا التصوير البارع لمن يستقوي بغير الله تعالى ، ويستعين في درء المكاره عنه بغير القادر القاهر ، ويتخذ غير الله تعالى وليّاً له

— ٣٤ —

في خطأ اعتقاد الإنسان بأن يكون لله شريك في ملكه ، بدليل مما عليه الانسان في ملكه

« ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء

في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم »

(ما ملكت أيمانكم) أي مماليككم

وجه المثل ، هو أنكم لا تسلّمون بأن يكون لمماليككم شركة معكم في أموالكم وأرزاقكم ، ولا تعتبرونهم سواء معكم في تلك الأموال ، فتلاحظونهم كما تلاحظون أنفسكم فيها ، ولا ترضون بذلك . فينبغي أن يكون الأمر كذلك في الله تعالى مع عباده ، فلا يجوز أن يكون لأحد من عباده شركة معه في شيء من ملكه فما لا ترونه صحيحاً فيكم ، كيف يجوز لكم أن تروه صحيحاً في حق الله تعالى فالصورة التي لا تستبيحونها لأنفسكم لا يجوز أن تستبيحوها في حق الله تعالى . والحال التي لا ترضونها لأنفسكم كيف ترضونها لله تعالى فلا شريك لله تعالى في ملكه

— ٣٥ —

في تمثيل حالة من رافقه الخذلان . وجفاه التوفيق . وعدته الهداية ، وحالفته الضلالة ، فأصبح لا يرى نور الحق ، ولا منار الصواب ولو كانت له عينان براقتان

« إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون »

(الغُلّ) طوق من حديد أو قدّ يجعل في العنق أو في اليد . جمعه (أغلال) (الذقن) مجمع اللحيين ، (مقمحون) رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها يقال (قمحَ الغُلُ الأسيرَ) ترك رأسه مرفوعاً لضيقه (فأغشيناهم) غطيناهم

لو أراد المصور أن يصور مثل هذا الخائب الخاسر ، تصويراً يوحي الى الذهن حالة الشخص الذي لا يرى نور الهدى الساطع . ولا مناره اللامع ، وهو حديد البصر ، عالي النظر ، لما استطاع في اداء مراده أن يخرج عن الحدود التي رسمها هذا المثل في تصوير تلك الحالة .

— ٣٦ —

في تمثيل عناد الجهول العنيد الذى لا يتدبر ولا يتذكر

« واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون »

(فعززنا بثالث) فقويناها بثالث ، يقال (عزّزه) أى قواه (تطيَّرنا) تشاءمنا ، يقال تطير به وتطير منه ، والاسم (الطيرَة) وضدها الفأل . كأن يسمع المريض (ياسالم) وطالب الضائع (يا واجد)

كتب هذا المثل أوضح تصوير للعنيد الجهول : يكذّب بلا دليل ، ويرد الشاهد بلا حجة ، ويقيم نفسه مقياساً لغيره فلا يجوِّز أن يكون من هو من نوعه ومثله أرقى منه ، وإذا أعوزه الدليل أصرَّ على الانكار والتكذيب ، لا يساير مجاملة الخصم أياه ، وإذا خسر الحجة لاذ بالتشنيع والتهديد ، وهو بعد هذا لا يرجع إلى التفكير في نفسه وسوء عمله ، ليعرف نفسه ، ومن هو ، وكيف يجب أن يناظر ويجادل ، ويكسب الصواب إنه لمثل عظيم ، من عزيز حكيم

— ٣٧ —

في تصوير الفرق الكبير والبون الشاسع ، بين الخالص لجهة واحدة وبين المرتبط بجهات مختلفة : كالموحد والمشرك ، والمخلص والمنافق

« ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلَماً لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » .

(متشاكسون) مختلفون عسيرون ، أي متنازعون صعبة أخلاقهم ، والشَّكِس ، هو صعب الخُلُق ، جمعه (شُكْس) (سَلَما) خالصاً نعم لا يستوي المستقل والمشترك فان بينهما تفاوتاً عظيماً في السلوك ، والتصرف ، والاستقلال ، والمنزلة . فالمشرك منحط في هذه الأمور ونحوها عن الموحد والمنافق بعيد فيها كل البعد عن مقام المخلص

— ٣٨ —

في تصوير النعيم المقيم ، والعيشة الرغدة

« مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم »

(آسن) متغير الطعم ، ومثله الآجن ولكن تغير الآجن شديد يعافه الشارب (لذة) لذيذة

ما أطيب العيش في هذا المغنى وما ألذه جمع أطاييب النعم ، ولا سائل فيه ولا مسؤول ، ولهم مغفرة من ربهم

— ٣٩ —

في تمثيل الحياة الدنيا ، الزاهرة ، فالذابلة ، فالفانية

« إنما الحياة الدنيا لَعِب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً »

(أعجب الكفار) أعجب الزرّاع فالزارع يسمى كافراً وكذلك الليل والبحر ، من كَفَرَ الشيء إذا غطّاه (حطاماً) ما تكسر من اليبيس

تصوير بليغ لحياة تبسم فتعبس ، وتزهر فتذبل ، وتشرق فتغيب ، وتنمو فتموت . وما عند الله خير وأبقى

— ٤٠ —

في جلال القرآن العظيم ورزانته . وما يحمله للناس من حكم وعلوم وهدى وموعظة ، وما ينطوي عليه من ترغيب وترهيب ، وتبشير وإنذار

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون »

(خاشعاً) ذليلاً خاضعاً (متصدعاً) متشققاً الصدع الشق في شيءٍ صلب ـ فاصدع بما تؤمر ، أي شُقَّ جماعتهم بما تؤمر به وهو التوحيد

هكذا القرآن العظيم كلام الله تعالى جلالة ووقاراً وعظمة فهو حريٌّ أن تذل وتخضع له الجبالُ التي هي أقوى أوتاد في الأرض . وأن تنشق لهيبته وجلاله . لأنه أقوى منها وأرسخ — فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخرَّ موسى صعقاً —

— ٤١ —

في تصوير من يملك خزائن العلم ولكن لايفيد منها شيئاً ، وهي أقرب اليه من حبل الوريد :

« مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله »

(أسفارا) كتباً ، جمع سِفْر وهو الكتاب

أطرف تصوير ، وأظرف تمثيل ، وأصدق تقرير . لمن كانت وسائل العلم منه على التمام وهو لايستفيد منها ، أو كان عالماً بعلم ولكن لا يعمل به فهو شبيه بحمار أُوقر كتباً — والكتب أوعية العلم — فان كلاً منهما لم يستفد من الكتب التي لديه ، والعلم الذي يحمله على ظهره أو في صدره

— ٤٢ —

في تمثيل من أوتي بسطة في الجسم ، ورئيا في المنظر ، وزخرفاً في القول ، وهو أحمق

رعديد ، يخاف من ظله :

« وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم .وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم »

(خشُب) جمع خَشَب (مسندة) ممالة الى ما يسندها كالحائط

وهذا خلاف من أوتي بسطة في العلم والعقل والجسم ، فهذا الثاني عالم قوي أخو صدق وذلك الأول جاهل جبان عدو ، خدّاع منظره . زُخرف قوله

— ٤٣ —

في أنّ كلّ امرئٍ مجزى بعمله ، له ما كسب وعليه ما اكتسب ، لاينفعه أو يضره في ذلك حسب أو نسب

« ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عِمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين »

ما أوضح هذا المثل وأصدقه في ميزان الأعمال . فان الأعمال أنفسها هي الموازين والمقاييس والمعايير لأنفسها ، لا دخل في هذا لشفيع ولا لصديق حميم (يا فاطمة بنت محمدٍ أعملي فلن أغنيّ عنك من الله شيئاً)

— ٤٤ —

في تمثيل مقام الصادقين المخلصين في أعمالهم الصالحة ، جزاء وفاقاً :

« متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظِلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قوارير

من فضة قدروها تقديرا. ويسقون فيها كأســـاً كان مزاجها زنجبيلا عيناً فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا وإذا رأيت ثمَّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلـوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورا »

(الأرائك) جمع أريكة وهي سرير منجّد مزين في قبة ، أو كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش (زمهريرا) برداً شديـــداً (قطوف) جمع قِطف ، وهو العنقود وكل ما يقطع من الثمار أي يقطف (مِزاجهـا) مِزاج الشيء ما يخلط به والزنجبيل مادة تخلط بالماء فتستلذ العرب بشربه (سندس) نوع من رقيق الديباج (إستبرق) ما غلظ من الديباج

تصوير وتمثيل لمقام كريم ، فيه نعيم مقيم ، وملك عظيم ، ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب

هذه طائفة من أمثال القرآن العظيم باصطلاح القرآن نفسِـه ، تصور لك الحقائق ، وتهدي الى سواء السبيل

وطريقة ضرب الأمثال الصحيحة في كشف الحقائق ، وبيان الأمور المهمة ، وتوضيح الشؤون المعنوية ، طريقة تعليمية مُثلى ، لا تتَـيسر إلا لمن أسبغ الله عليه فضله ، ـ والله ذو الفضل العظيم ـ كالأمام الحجة الغزالي عليه الرحمة ، وأضرابه من الأئمة الذين أقاموا أنفسهم وعاظاً مرشدين ، وهداة مخلصين فقد سلكوا في إرشادهم هذه الطريقة المثلى

« وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون »

✡

— الأمثال العامية —

في العربية العامية العراقية أمثال وفيرة سائرة في بغداد والموصل والبصرة وسائر المدن الأخرى ، وفي الأرياف والقبائل أمثال تحمل معاني حكيمة بالفاظ موجزة ، لا يقل عمق معانيها ، وإيجاز عباراتها ، وقوة النطق بها ، عن أمثال الجاهلية وماحصل بعدها من الأمثال التي جمعها السلف ولا شك أن الشطر الأكبر من هذه الأمثال قد ضاع فان الرقدة الطويلة التي رقدها العرب عن الأدب ، أضاعت عليهم شيئاً كثيراً منه

وهذا النوع من الأمثال ليس من قبيل الأمثال القرآنية التي انهينا من الكلام فيها آنفاً ، وإنما هي من قبيل الأمثال المبحوث فيها في علم الأدب والتي جمع أسلافنا من الأدباء الشيء الكثير منها على ما مر ذكره في صدر المقال

إن في الأرياف العراقية والعشائر العربية أدباً لم يطرق أبوابه أحـد من الأدباء ، أو هواة الأبحاث الأدبية فلم يجشم أحد منهم نفسه كلفة التتبع والاستقراء لجزئياته ، ولم يجهدها في جمع مقوماته ، ثم تصنيفها وتبويبها ، ونشر ما يستملح منها ، كما فعل أسلافنا في النهضة العربية الثانية العظمى ، بظهور الإسلام . مثل الأصمعي وابن الأعرابي وأبي زيد ، وحماد الراوية ، وخلف الأحمر والخليل الفراهيدي ، وعشرات أمثالهم .فقد جابوا سائر النواحي ، ورافقوا القبائل العدنانية والقحطانية فأقاموا بين ظهرانيهم سنين يجمعون مفردات اللغة ، وعيون الشعر ، وطرائف الأدب ، وبليغ الخطب والمحاورات ، وما الى ذلك من فصول الأدب ومقوماته فدونوا علوماً عربية ، واستنبطوا فنوناً أدبيـة ، حصرها ابن الأنباري في (نزهته) باللغة ، والنحو ، والتصريف ، والعروض ، والقوافي ، وصنعة الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم ، والجدل في النحو ، وعلم أصول النحو فخلفوا ثروة أدبية عظيمة نمت وعظمت ، وأثمرت علوماً أدبية أخرى مثل علوم البلاغة : المعاني ، والبيان ، والبديع ، وغيرها من علوم تتصل بالأدب رأساً أو بالواسطة ثم خلف من بعدهم خلف اخلدوا الى الراحة ، فأضاعوا من الأدب كثيراً ، ووقفوا به جامداً حصيراً

أن في القبائل والأرياف من الشعر الرقيق ، والتشبيه العجيب ، والقصص الممتعة ،

والأغاني الملذة . والأنغام المثيرة ، والمحاورات اللطيفة . والفكاهة الحلوة ، والرثاء البليغ ، ونحو ذلك من مقاطيع الأدب وابوابه ، ما تنشرح به الصدور ، وتنفتح له القلوب ولات حين إفاضة في الموضوع ، والبحث معقود في الأمثال العامية ليس غير

ولكني في هذا المقام أدعو الى الالتفات اليه ، والالتفاف الى محيي الابداع في الآداب ، والانضمام الى الراغبين في الطريف والمتطوعين في نصرة الأدب هـذا واليك نماذج من الأمثال العامية العراقية :

١ — رّمانتين بْـفد إيد ما تِنـلِـزمْ : لا تمسك رمانتان بيد واحدة

يضرب لمن يشغل نفسه بعملين في آن واحدفانه إما أ لا يستطيع إنجازهماأو ينجزهماناقصين

ان كلمة « فَدْ » بليت بها اللغة العامية العراقيـة يستعملها العامي والمثقف والعالم والجاهل عند التخاطب استعمالا كثيراً شائعاً فيقول مثلا : (اخذت فد كتاب جيد) أي اخذت كتاباً جيداً و (اكلت فد أكلة طيبة) أي أكلت اكلة طيبة و (انطيني فد قلم) أي أعطني قلماً فكلمة (فد) قائمة في استعمالهم مقام تنوين التنكير واصل فـد (فرد) أي واحد ثم خففت الى (فد) بحذف الراء

٢ — لا شِيش ولا كَباب : أي لا تفريط ولا إفراط

يضرب لمن يبالغ في الأمر أو يقتصد اقتصاداً كبيراً و (الشيش) كلمة عامية غير عربية يقصد بها (السُفّـود) الذي يُشوى به اللحم و (الكباب) كتلة من اللحم الناعم تُسوّى على الشيش باطرافه ثم تُشوى به فيكون كباباً (لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط)

٣ — لا حِضَتْ بِرْجِيلهَ ولا خِذَتْ سيّـد عَلِي أي لا هي احتفظت بزوجها ولا هي استطاعت أن تتزوج بزوج آخر بعـد أن ضيعت زوجها فقد رجعت بخفي حنين والظاهر أن امرأة ذات زوج طمعت في زواجها برجل أعجبها لسـبب ما اسمه

(سيد علي) ففارقت زوجها بوجه من الوجوه وأخلف (سيد علي) ظنها فلم يتزوجها فضيعت زوجها ولم تظفر بسيد علي زوجاً لها فخسرت الرجلين

يضرب مثلا لمن ضيع ما في يده من نعمة طمعاً في الحصول على أحسن منها لكنه لم يحصل على شيء ، فعض بسن الندم

٤ — كلْ مَنْ يجُرِّ النارْ لِـگَرصَتَهْ (الـگَرصَة) الرغيف أي كل امرىء يقرِّب نار (الموقد ، أو الكانون ، أو الأتون ، ونحوها) الى رغيفه ليشويه لمصلحته ومنفعته غير مبال برغيف غيره ونفعه

يضرب لمن يُعنى بمنافعه الخاصة ويحرص عليها ، من دون أن يلوى الى مصالح غيره أو يبالي بها (لكل امرىء يومئذ شأن يغنيه)

٥ — جاكِ الواوي ، جاكِ الذيِّب : (الواوى) ابن آوى

يضرب لمن هو معرَّض للحوادث المخوفة المتتالية فهو يشبه صاحب مزرعة فيها غنم ودجاج ، والذئاب وبنات آوى تتحين الفرص لاختطافها فهو تحت ظل الخوف دائماً

٦ — مَحَّـدْ يِگُـولْ لِبَـني حامض : لا أحد يقول عن لبنه إنه حامض ويقصد من (اللبن) هنا الحليب الرائب لأنه هو المعروف عند العوام بهذا المعنى

يضرب مثلا في اعتزاز كل امرىء ببضاعته فلا يبوح عما فيها من عيب ، أو في اعتزازه عما يحسنه من أمور مادية أو معنوية ، فهو يخفي ما في ذلك من عوار أو ضعف

٧ — جاني إيد من وَرَهَ وإيد من ِگدام : أي جاء خاوي الوفاض (وَرَه) أي وراء (ِگدّام) أي قدام

يضرب مثلا لمن ذهب بشيء ثم رجع وقد ضيعه ، أو ذهب ليكسب فضيع رأس ماله مع ربحه وأصل المثل أن رجلا ، خرج مسافراً ولم يبعد عن بلده كثيراً حتى سلبه السراق ثيابه وبقي عارياً فرجع إلى أهله يستر سوءتيه بكفيه

٨ — لِمـبَلـَّـل ما يخـاف من المطر : أي من كانت ثيابه مبتلة لا يبالي أن يصيبه المطر

يضرب مثلا لمن عكّـس منه أمر مكروه ثم بدا له مكروه آخر

٩ — إضربني مِيـّه واحـسِبني وِيَّ الحرامية : أي احسبني في عداد السراق ولو أدى ذلك إلى جلدي مائة جلدة وهو حد السارق

يضرب مثلا لمن يحب أن يشتهر عما ليس فيـه لمجرد المباهاة وأن أدى ذلك إلى ضرره ضرراً بليغاً

١٠ — إيخرّب دست طبيخ على فلسين ملح ، أي يفسد قِدراً طعاماً لبخله بالقاء قليل من الملح فيه

يضرب في من يبخل بشيء قليل فيفسد عليه بذلك شيء كثير

١١ — إيدق ماي يطلع ماي : أي من يدق على ماء في هاوون أو نحوه ، لا يحصل من عمله غير الماء فعمله عبث

يضرب في من يحاول القيام بعمل لم تتوفر فيه عوامل النجاح

١٢ — إذا عِثْرت الفرس ما يقـصُّـون رجلْـهَ :

يضرب في الكريم إذا بدت منـه هَفوة فانه يجب أن يعذر ، لأن هفوَةَ الكريم مغفورة وَعـثَرات الكرام تُجبر

١٣ — إشْـتري بْـعقلك حلاوة : أي ان عقلك يصلح ثمنـاً للحلاوة وأصل المثل هو ان مشتري أسقاط الحديد كانوا يتجولون في الطرقات يحملون كمية من الحلاوة الرديئة جداً ، وهم ينادون لشراء أسقاط الحديد بها من الصبيان ونحوهم

يضرب لمن يستخف عقله كأنهم يقولون له أن عقلك آفن لا يصل إلا إلى الأخطاء ولا يدرك غيرها ، كاسقاط الحديد لا يستجلب بها الا الحلاوة الرديئة .

١٤ — اشتغل بفلس وحاسب البطال : مأخوذ من قول ابن الوردي في لاميته المشهورة : إكسب الفلس وحاسب من بطل ..

يضرب لمن آثر الراحة على الكد فترك العمل معتذراً بقلة الربح من عمله ، أستنهاضاً له للعمل

١٥ — إلياً كل بضرسو ينفع نفسو :

يضرب للحث على أن يمارس المرء أعماله بنفسه ولا يكل أموره إلى غيره ماحكّ جلدك مثلُ ظفرك ، فتول أنت جميعَ أمرك

٦٦ — كل لشّه بمعلگه بكراعه يراد من (لشّه) جثة الحيوان — من غنم ونحوها — بعد ذبحه (الكراع) معروف فان القصاب يعلق كل جثة في سنارته من كراعها هي فكل جثة مستقلة بنفسها في أمر تعليقها ، لا ارتباط لها بغيرها فلها ما لها وعليها ما عليها — لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت —

يضرب لمن يغيب الناس ويذم أعمالهم بدون حق ، ليكف لسانه فكأن المثل يعني (كلُّ نفس بما كسبت رهينة) أو (ولا تزر وازرة وزر أخرى)

١٧ — عينك على مالك دود : أي ان ملاحظتك لما ملكت يداك هي الحارس الأمين لها وهي الدواء الواقي لها من علة الضياع

يضرب لمن لا يعني بمراقبة أمواله بنفسه فيتسرب إليها الضياع ويضرب لحث المرء على مراقبة أمواله صيانة لها من الضياع

١٨ — إلشّاص شاص والحمل حِمَلْ : النخلة إذا أبِّرت أي لقحت تأبيراً صحيحاً جيداً تؤتى أكلها ثمراً طيباً مباركاً كاملا وإذا لم تؤبر فان ثمرها يأتي رديئاً لا يصلح لأكل الإنسان ويسمى (شيصا) وإذا لقحت تلقيحاً ناقصا أو خاطئا نقص حملها حسب ذلك

يضرب إذا وقعت كارثة فأضرت بقوم فانصرفوا عن تدارك الأمر واقتصروا على التلاوم وقعدوا مبلسين فيقال لهم (الشعـاض شاص والجمل جمل) أي مضى ما مضى فهلك ما هلك ونجا ما نجا ، وقضي الأمر ، فلا فائدة من القعود والتلاوم ، بل لابد من العمل لإعادة الأمور إلى مجاريها فنسيان الكارثة والعمل لإصلاح الحال ألزم وأولى

والأمثال العامية تعد بالآلاف لو استقصى جمعها من سائر أنحاء العراق . ولم أقف على من تصدى لجمعها سوى ثلاثة من الأدباء قام اثنان منهما في ذلك مشتركاً في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وهما المرحوم السيد محمد سعيد من بيت آل مصطفى الخليل ، وهو بيت معروف له مقامه في الكرخ من بغداد ، والمرحوم عبد اللطيف ثنيان وبيت آل ثنيان معروف له مكانته في الرصافة من بغداد فقد وضعا كتاباً ضخما لم يزل مخطوطاً بخط ثنيان محفوظاً عند ولده السيد يحيي ثنيان ، والثالث الأستاذ عبد الخالق الدباغ الهُـذلي في الموصل ، فقد وضع كتابا على جزئين في الأمثال العامية في الموصل وقد طبع كتابه ونشره فشكرناه

فحبذا لو نفرت طائفة من الأدباء الى الأرياف والعشائر القاطنة والبادية ، تستقرئ ما عندهم من شعر وقصص ومثل ، وأنواع أخرى من القول ، وأوزان وبحور في النظم ، فتلتقط ما تستملحه من ذلك ، في كتب ودواوين إنها إذن فعلت ذلك فسيظهر فيها مثل الأصمعي وخلف الأحمر ونحوهما من رواة الأدب الجاهلي والمخضرم ، وستجد الشيء الكثير من صنوف الأدب ، فيه جدة ، وفيه متعة ، وستضم هذا الأدب الطريف الى أدبنا التليد وسيكون من أبوابه :

١ — باب شدو الزحا

٢ — وباب تغريد الكزود

٣ — وباب المناجاة .

٤ — وباب الأعراس

٥ — وباب المفاخرة

٦ — وباب المدح

٧ — وباب التناوح في المعركة

٨ — وباب الأمثال

٩ — وباب النـواح

وأبواب كثيرة أخرى يظهرها لهم الاستقراء والتتبع

وهذا الموضوع يستحق بحثاً طويلا خاصا به ، بمقالات ضافية ، تنطلق بعدها أقلام الأدباء إلى التأليف فيه ، ثم ظهور نوع من الأدب العربي جديد ، وهو في الواقع قائم غير منظور إليه ، ناطق ولا سامع له ، لذيذ في الأدب ، يحلو مذاقه

منير القاضي

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	١٧	ضرب الله مثلا	ضُرب مثل
٢١	١٨	بحسيه	يحسبه
٣٢	٥	السارق	السارق في عرفهم

النقد الأدبي ومصادره

كلمة :

الحركة الفكرية لمختلف العصور ضرورية لمعرفة الحياة العلمية والأدبية أو نفسيات الجماعات وطرق التحري عن آرائها وما تستدعي من معرفة وكأننا نحتاج الى دليل في ذلك بل الاستدلال من المهمات ... لما نرى من التهجم على التاريخ من وجوهه ، وعلى (التاريخ الأدبي) ، أو على تاريخ النقد الأدبي من كل صوب من أناس لا شك انهم اعداء (التاريخ السياسي) و (الأدبي) معاً ...

والشعراء والحكماء وتواليهم جعل اقوالهم توزن بموازين التقدير والاعجاب أو الإلتفات الى مهمات الشعر والحكمة لتبيين وسائل القيمة ووجوه الاهتمام بها وطرق تقديرها بل ان ظهور الأدباء المتوالين بمزايا خاصة بكل واحد ولّد الالتفات وصار تعاقبهم يعدّ من اسباب التكامل وعوامل الاهتمام بترك الوحشي ، ومراعاة الرقة والوصف والمدح والرثاء ، واختيار المعلقات والحوليات مثلاً او مدح من يقول (ومن ومن) اعني (زهير بن ابي سلمى) او ضرب قباب لأكابر الشعراء مثل النابغة الذبياني في اختيار افضل الشعر في الموسم من (اسواق العرب [1]) وترجيح افضل شاعر ليكون شاعر القبيلة الذاب عنها الموضح مزاياها ...

كل هذه من وسائل اكبار الشعر ، وانتخاب جيده واظهار قدرة صاحبه ، وهذا

(١) بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب : في ثلاثة اجزاء للاستاذ السيد محمود شكري الألوسي الطبعة الثانية في المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٤ م

واسواق العرب في الجاهلية والاسلام تأليف الاستاذ سعيد الأفغاني المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٣٧ م

نقد في المعنى ، ووسيلة للتقدير او الانتقاء ، بل ان حفظ هذه المختارات التي نالت مكانة انتقاء ونقد معاً وبيان وجوه ما جمع من ثناء ...

واجل من هذا ان ظهور الشعراء متوالياً وتميّزهم وتفوقهم بمزايا جديدة يشير الى نقد ما قام به السابقون ، فيقال بزّهم اوفاقهم وامثال ذلك ويراد بهذا النقد الأدبي ابداء خير ما عندهم من شعر ، والأمر المهم ان النقد في الدرجة الأولى يعتبر في النظم لأنه تتجلى فيه الصنعة بوضوح ، وهو موطن الأدب ، ومحل الحكمة ، وطريق البيان الأجلّ ... اما اعتبار الأدب العربي مقصوراً على المنظوم والمنثور الفنيين فهذا هو الصواب ويرجح احسنه ، والعرب تطور الشعر عندهم ، ونال موقعاً من نفوسهم وصار يهمل ما قلّت قيمته ، وهكذا ظهر أحسن ما فيه بمزايا خاصة او عامة .. فيعد هذا الانتقاء نقداً عملياً ، فلم يحفظ المرء إلا خير الشعر ، ويبقى كل ما هو خير من سابقه ..

والثروة الأدبية عندنا من أول أمرها غزيرة ، فلم تحتج الى ما يكملها من التاريخ ، والعلوم ، فان ذلك لا علاقة له بالأدب الراقي وان لم يتجرد منه ، او يعد من ضمنه ، إلا انّ التاريخ اقرب الى تصوير الوقائع ووصف الحالات الاجتماعية والحروب .. مما يعد بياناً

لاشك ان الأدب تابع لأساليب يحتاج الى تقدير قيمها كل من تذوّق الأدب وادرك وجوه الصنعة ، وكذا تختلف اوضاعه في عصوره ، وتتنوع هذه الأساليب او تتبدل الرغبات الأدبية في الأداء والتعبير عن الأغراض وهنا يتوجه الى المتانة والضعف ورقة المعنى واضطرابه والتزويق ورعايته ، والزينة ومحلها وما ماثل من امور عديدة ، ويلخص النقد في أنّ مقياسه الذوق ، والرقة أو دقة المعنى وحسن الاداء

فالذوق يحكم بأن هذا الشعر صناعي ، مفتعل ، او أنه متكلف ، فيراعى في التقدير الوضوح ، أو التقيد او وصف ما لم ير ، او القيام بما يشاهد الى غير ذلك من الفصاحة والالتواء والبلاغة والضرورة تدعو أن يحكّم في نقد الأدب الأدباء وحدهم دون العلماء .

وهنا يتولد النقد الأدبي من نواح عديدة :

١ — ما قاله ادباؤنا الأكابر

٢ — ان نفكر فيما هنالك ونناقش ، وننظر النتيجة وهذه الحالة لا تخلو من تأثير ، ولا يهمنا امر ذلك بقدر الإستفادة من التجربة

٣ — بعد الاطلاع ان نفكر تفكيراً ثانياً في المنظوم والمنثور وما ينكشف لنا عن نتائجه في المقابلات ، او أن نقدم هذه المعرفة ونقابل بينها وبين غيرها ونحكّم ذوقنا فنختار الأرجح

٤ — ان ندقق الآثار الأدبية دون تأثر بالنقد الأدبي واقوال الأدباء ، ونتوصل الى نتيجة وهذا صعب

نرجح تدقيق النقد وتاريخه ، والآثار وما قيل فيها ، او ما يترتب عليها ، والقواعد الموضوعة ، وما نتوصل اليه من نتائج او نعمل لأمره لنتحصل على فكرة صائبة ولا يهمنا حينئذٍ أن توافق ما قاله ادباؤنا ، او تخالفه على ان نشترط ما اشترطوه في هذه السبيل من حصول ذوق أدبي وعكن من الأدب عكناً يخول هذه الصلاحية

التجرد عن العلاقة صعب ، والتأثر بالماضي لا ينكر الا ان الفكرة الوقادة والذوق الأدبي يحكمان في الأمر ، وهما عدة الأديب وسلاحه اوهي قدرته وموهبته معاً

والنقد العلمي هنا لا محل لايراده بأكثر من أن نقول إنه تابع لقواعد آداب البحث والمناظرة ، واساليب ادارة الجدل فيها

ان دائرة الآداب توسعت ، وصار ينظر اليها بمنظار الأدب العالمي ، وهكذا ينظر الى الأدب العربي في عموميته كأدب عالمي بالنظر للآداب الشرقية ، فصار النطاق اعم ، وبالتعبير الأولى لوحظت مكانة ادبنا من آداب الأمم وطريق التوصل الى ما عندها وهل في الامكان تشميل ذلك على ما لدينا فكنا نميل الى معرفة جديدة واضافتها الى ما عندنا

وهكذا يقال في النقد ، وما حدث من تطور فيه ، وما لحق من آراء او ظهر من تلاحق افكار ، وبهذا زاد التتبع واضيفت مادة ، وروعي الأسلوب وهكذا ، ولا تزال آمالنا واغراضنا واهدافنا متجددة ... كل هذه تدعو لتكامل الأدب والنقد معاً من الوجهة التاريخية

واذا كانت مزايا كل شاعر تؤدي الى هذا التكامل فان مزايا آداب الأمم وسائل جديدة ، وطريق للمعرفة والفيض الأدبي ... فلا وقوف ، ولا حدود لهذا الازدياد والتكامل وآمالنا تدعو الى الالتفات الى النواحي المتجددة والطرق الحديثة وسائر الوسائل ...

١ — في العهد الجاهلي

كان ولا يزال الشعر مقبول المكانة . وافر الحرمة نحس بالحاجة اليه ، ونميل الى ما نتغذى به منه ونلمس الحكمة والأدب من خلال سطوره فهو خطاب الروح ، ومناجاة النفوس ونرى إعجابنا مقروناً دائماً بالحكم له أو عليه ، وبالتعبير الأولى اننا نقول هذا الشعر فائق وهذا لم يكن وكلامنا هذا آني ، لم يكن مسبوقاً بمقدمات ، وانما هو تابع للشخص ورغبته فيه ، أو نفرنه منه في الحال دون اتخاذ نهج علمي ، أو مقياس أدبي يقدره الذوق ، ويقبله أو ينبو عنه ...

وأمر آخر أن الشعر كان قد ظهر الى الوجود في حالته الأولى ولم يحتفظ بها ، لما جرى عليه من نقد أدبي من نفس الأدباء فعدلوا فيه وبدلوا كثيراً ونرى الرجز ، وما شابهه من بقاياه فالشعر تطور كثيراً وابحره تنوعت كما نستدل به من حالاته المشهودة فكان تطوره ناجماً من الاهتمام به وتوالي علو مكانته وهذا أيضاً نقد وانتقاء معاً واستقراره وسموه انما كان باهمال سابقه فالتأثير في الأداء والأسلوب من جهة ، وفي التفوق في نفس الأسلوب

كان من الأخرى وهل بقي ثابتاً بعد تلك التطورات ؟..

أوضح هاتين الناحيتين ، فأقول :

جاءت أساليب الشعر مقصورة على (الرجز) وامثاله ، فجاء القصيد ، وزادت أبحر الشعر ... وتكامل نوعاً واستقر وكان هذه الأبحر زيادة في التنوع ولكن هذه بلغت من الكثرة حداً كبيراً ، فصار الانتخاب والانتقاء في الموضوع وسموه والحالتان لازمتا الشعر ، وصار يتذوق في كل منهما المرء بمقتضى حالته النفسية ، وموضوعه الاجتماعي ، واستقرت الأساليب في الأبحر نوعاً ...

وكل هذه لم تختلف عن الاتصال بماهية الشعر ، واسلوبه والترجيح فيه مما هو من شأن الشعراء وتطورهم في الشعر وهكذا مضوا ولا يزالون جادين في توليد ضروب ، وتأكيد أوضاع ، واظهار مواهب ...

وأمر آخر تابع لما استقر عليه الشعر أعني به الموضوع الذي تناوله الشاعر ، فاننا لا ننكر أن هناك شعراً يتفوق على غيره وان كان البحر متفقاً ، والأسلوب متقارباً الا ان المزية في القوة والضعف ، والأداء والتعبير ، والمعنى المقصود ، ومزايا يقدرها السامع الناقد وبين هذا الشعر ما بلغ من الوفرة حداً كبيراً ، فكيف الانتقاء ؟ وبأي وجه حصل ؟

هذا هو موضوع النقد ، بعد انتقاء الأوزان ، واستقرار الأساليب جاء عهد الاصطفاء فكان هناك اسمى ما نال الرغبة ، واكتسب المكانة بين الشعر الجاهلي ، وهي المعلقات ، وبعض المقاطيع والقصائد فتولدت فكرة لا ينكر أمرها ، وهي (الاختيار) الواقع ، وهذا نقد قطعاً وكان اجل مقاييسه ابلغ الأشعار المختارة واكبرها أثراً في النفوس والمعلقات من انخر الشعر وأعظمه ، فاتخذت خير مقاييس ، ثم روعي ما هنالك من شعر مقارب لها في تفوقه ، فاعتبر مختاراً مثل ديوان الحماسة ...

ولا نهمل امراً آخر وهو أن الشعر الجاهلي لم يكتف الأدباء في نقده من الوجوه المذكورة ، وانما ادركوا لكل شاعر مزايا دعت الى تفرقه ، وأدت الى مقابلات بين هؤلاء المسلم لهم بالقدرة الأدبية ، فكان الواحد يختلف في نهجه عن الآخر ، وزاد الاتصال بكل واحد اكثر من غيره ، وساق الى بيان مزاياه في ادبه ... فكانت وجهته جديدة ، وكان نقداً آخر لمزايا كل شاعر وادراك قيمته الأدبية ، ولا ندع ذلك جانباً دون توضيحه بأمثلة أدركها ادباؤنا ، فكانت كلمتهم الأولى والأخيرة بل صرنا نفكر فيها وما تلهمنا من مزايا ، وما تدعو من حالات ... فاذا كانت المزايا من نفس الأدباء في توجيه الأوزان وانتقائها واتخاذ ضروب فيها ، أو من نقاد الأدب في الاختيار والانتقاء فلا شك ان الوجهة الأخيرة من (النقد الأدبي) تقضي بتفاضل الموضوع في امر دون آخر فنقطع بمزايا كل شاعر بادراك ما عنده

وهنا نستطيع ان نعد من مصادرنا المهمة كتب (طبقات الشعراء) وهذه وافرة المادة واضحة في أوجه نقدها وفي دواوين الشعر الجاهلي وشروحها مادة غزيرة واهم من كل هذا أوصاف الشعراء لاكابر ادبائنا مثل شعر فلان اذا غضب ، وفلان اذا رهب ، وفلان يجيد الغزل والتشبيب ، والآخر الهجاء ، وهكذا المناظرة ومن يجيدها ، وكلها نقد للآخرين الذين قصروا فيها ، وتظهر مزايا (النقد) مما نعت به كل شاعر من كلمات قد تغني عن كتاب يكتب ، أو مجموعة تدوّن فهي اشبه بالأمثلة

وعلى كل حال لم يطرق هذا الموضوع كثيراً ، ولم تظهر الأقلام مزاياه ، والاتجاه الصحيح فيه لا يتيسر إلا بعناء ، وان كتب النقد تغربل المباحث ... ولعل الأيام تكشف عن جهود اكابر علمائنا فتحقق لنا اشتغالاتهم لنتمكن من البناء عليها بما هو من متجددات العصر ... ومزايا الشعر الجاهلي بل المتفوق المقبول منه لا على سبيل الحصر ، وانما نورد الأمثلة لنعلم ما فيها ، ويترك الباقي لمن احب الاستيعاب والاستقصاء ومؤلفات العرب في

الموضوع كثيرة لا تكاد تحصى ، وربما جاءت رسالة أو كلام عابر فيوضح مزايا خفية عن الأنظار ، والاستيعاب صعب ... فنرى الأدب العربي غزير المادة والتدوينات عنه كثيرة واملنا حسن التوجيه

إننا نرى القصيدة يلقيها الشاعر في الجماهير ، فنرى المحبذين لها كثيرين وربما تتفق الكلمة على الاستحسان ، وهذا لا يكفي حتى نعلم طريق التوصل الى الحكم والبحث العلمي لا يقف عند اتفاق الكلمة ، ولذا نرى بعض الأدباء يتناولون هذه القصيدة بالنقد الأدبي ، ويبينون مزاياها ، وما اعتراها من خلل أو ما فيها من نقص واختلاف الاتجاه بين الماضي في النقد وبين الحاضر قد أبعد الشقة . ونريد أن نحقق مقررات الأدباء قديماً في ذلك الشعر ثم نتناول امر هذه المزايا وانها تابعة للذوق ، أو للتحقيق العلمي والأدبي ، فتتكون لنا فكرة في هذا النقد فنعلم منه (تاريخ تطور النقد الأدبي) في مختلف الأزمان ومن ثم نستخلص من هذا النقد ما يصلح ان يكون داخلاً في النقد العام فننتقل الى ما نحتاج الى تقريره . فيتكون لنا مجموع في مزايا النقد الأدبي وللنتائج محلها وأثرها

ولا شك ان موضوع النقد الأدبي يتناول شاعراً بخصوصه . وذكر مزاياه الأدبية ، وما نلحظ من نقص فيه ، ثم نأخذ الآخر فنمحص عنه ، وهكذا بالتوالي ، فيسهل ان ننتزع مطالب في النقد للأدب العام ما يحقق من اماني ، ونود أن تكون أمام عين الناظر ، وان يتجنب ما يداخله الشك والريب ، وفي هذا انتقاء مستمر

والأمر لا يأتي اعتباطاً ، او ارتجالاً ، وانما يكون مبتنياً على اساس علمي بل تاريخي يحقق ما وقع ، ويلهم اوضاعاً علمية ، واصلاحاً ادبياً ... وبهذا يصح ان نفرق في الحالات التي ندركها وهكذا ... فالمفاخرات والتهاجي بين العشائر مما يصلح مصدراً أيضاً ، وهذه المقابلات الفكرية تخص الأغراض التي يستهدفها كل شاعر وندّه ... وفي هذه نوع ادب دقيق ورقيق ومثله الغزل والتشبيب ويتوجه النقد فيه على وصف ما لم يره الشاعر

واما النثر فلا يختلف عن وجوه النظم وما فيه من أوصاف وموضوعنا (مصادر النثر) وهذه تدعو الحاجة للنظر فيها وتتناول :

١ — الأمثال : وهي من اقدم النثر الأدبي واحكمه اتقاناً ، ولا تشوبه شائبة ... والمثل خلاصة قصة ، واعتنى العلماء بالأمثال فدوّنوا كتباً نفيسة منها :

(١) أمثال العرب : للمفضل الضبي المتوفى سنة ١٧٠ هـ — ٧٨٦ م طبع في الجوائب في استنبول سنة ١٣٠٠ هـ

(٢) جمهرة الأمثال : للامام أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ — ١٠٠٤ م طبع على الحجر في عباي سنة ١٣٠٩ هـ وعلى هامش أمثال الميداني المطبوعة في مصر سنة ١٣١٠ هـ

(٣) مجمع الأمثال : لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ — ١١٢٤ م ، طبع عدة مرات منه نسخ عديدة في خزانة الأوقاف العامة في بغداد [1]

وكل هذه انتقاء للمستحسن من الأمثال ونقد معاً

٢ — الخطب : وهذه قصيرة في الغالب ومحكمة الصنعة مثل خطبة قس بن ساعدة الأيادي وخطباء كثيرين غيره والنفوس تتطلع الى اجمل التعبير وأحسن الأساليب مع قوة في المعنى ، ومتانة في اللفظ في محل ورقة في آخر تبعاً للموضوع وللذوق في اطناب أو ايجاز ولذا نرى خير معبّر عن مناهج خطبهم قول القائل :

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

ومثل كلمات وفود العرب على كسرى واما سجع الكهان فانه يدخل خطبهم وهو منتقد لركاكته وزال من البين وكان مضرب المثل (سجع الكهان) ويعد من

---

(١) الكشاف من مخطوطات خزائن كتب الأوقاف تأليف الدكتور محمد اسعد طلس مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٥٣ م ص ١٦٦

أوائل ما توجه على النثر من نقد ومن الكهان المعروفين شق وسطيح

٣ — الرسائل : لا تختلف عن الخطب كثيراً ومن أهم أوصافها الايجاز والاحكام ببساطة : وهي ظاهرة من ظواهر حالة الأمة ويجلوها النقد سواء في صفوها أو إشتباكها في الحضارة

والآثار الأدبية ومخلّدات الثقافة بين أيدينا تصلح أن تكون أصلاً للنقد ، والآراء القديمة في النقد تعين علاقاتنا بها ، ونستأنس بموضوعها وربما كان البناء عليها وهذه قلّ أن نراها مجموعة كما نرغب ، أوكما نريد وانما نلتمسها في مظان متفرقة ، نرى الكلمة ، فنرى فيها الكفاية لتوضح عن شاعر أو أديب ، ونشاهد القول فنتخذه وسيلة البحث والبناء

وكان العرب في سالف عهدهم لا يلتفتون الى البيان إلا من ناحية الموضوع أو من ناحية السبك أو نقد الرأى ، وتوجيه الفكرة ، وهذه من اجل ما عندهم من النقد يراعون بحق مقتضى الحال ، ولكن لا يجدون ذلك في كل قول ، وانما رأوه في المختار ، وشاهدوه في المنتقى من الأشعار ، والخطب ، وسائر ضروب البيان : وهذا خير مقياس يعين مزايا الكلام ، وهو انتقاء ، أو نقد في الواقع وابراز لما هو الصفوة ورعاية للمقبول المرضي وتاريخ النقد متفرع عن التاريخ الأدبي ومتصل به اتصالاً وثيقاً

٢ — في العهد الاسلامي

ان آداب الأمم ترجع في الحقيقة الى كتاب ادبي ينتشلها من وهدها ، ويؤسس لها ادبها فتجري على منواله ، والعهود الأدبية للأمم ترجع في ذلك الى مثل هذه المؤلفات ، والكتاب العزيز (القرآن الكريم) نهج بالأدب ، بل سار به سيرة عظيمة ، وبلغ بالأمة ادباً رفيعاً يصعب تقدير مداه ، أو الوصول الى منتهى غايته

والأمة رعت هذا الكتاب العزيز رعاية لم ينلها كتاب ديني ولا ادبي ، حفظته ،

ودرسته وتعلمته ... وهو في كل ذلك دروس ادب، ومعرفة، وحكمة بل لم تقف عند حدوده، وانما رعت ما يدعو لتمكين المعرفة به ، والوصول الى اغراضه ، فنظمت الأدب من طريقه العلمي لغاية هذه المعرفة ، واهل الاتصال بمعانيه ، والاخذ بأحكامه

ذلك ما دعا ان تميل الأمة الى تدوين الأدب ، وفتح الطريق للمعرفة الأدبية ، فجمعت مجموعات أدبية في ضروب منوعة ، وصنوف مختلفة ، سار كل منها في توسيع ناحية الأدب الجاهلي وهكذا كان ما كان من آثار خالدة ، ومدونات جليلة الأثر . ظهرت في الدواوين الجاهلية ، وفي الشعر الجاهلي ، وفي الأدب الأموي من مخضرم وغيره وان كثرته أدت الى حاجة التنظيم ، ودعت الى أمر الترتيب والاستغناء عما لا تدعو الضرورة ، ضرورة المعرفة اليه

فظهور الاسلام أحدث اختلاطاً عاماً بين العرب ، وجعل اساس لغته القرآن الكريم لا كثرة الناطقين باحدى لهجاته ، فوحّد الأدب وانهج به نهجاً مرضياً وان الآداب لما سبق عصره عهد (اسواق العرب) وبعض بقايا الماضي القريب من عهد الأسواق واصحاب المعلقات ...

وهذه تكلمنا عليها ببيان مكانة الأدب العربي والعراقي منه حتى ظهور الاسلام ومن ثم لزمنا معرفة ما احدثه الاسلام من تجدّد في الأدب ، وشمول فيه وتدوين وتكامل في المادة باضافة مادة جديدة للقديم منها ، وهكذا حتى خلدت الأمة العربية في العراق أدباً لا نظير له في آداب الأقطار ، وصار قدوة العصور وقدوة الأمم العربية الاسلامية ، وبنيت على نهجه وخططه آداب الأقوام التي دانت بالاسلام

صار لسان الأدب ، ولسان العلم ، والتعبير عن النفس ، وسائر ما هنالك من ثقافة فلا تنكر مكانته في تهذيب الأدب العربي القديم ، والتطور الجديد الذي ناله ... وعاد ثروة لا تملكها أمة من جراء أنه لم تنقطع الصلة بأدبه القديم ، ولا تأخر عن الأخذ بالجديد

الجدير بالأخذ . فنال الحسنيين ، واكتسب الاثنتين وحقّ له أن يفخر بتلك الثروة ، ثروة الآباء والأجداد ، وان يفخر به الأدب العربي باعتباره حفيظاً أميناً عليه ، جاء الكتاب الكريم نبراساً مضيئاً ولا يزال أثره وتأثيره مؤيداً هذا الأدب مؤكداً له في نثره وبلاغته وأسلوبه الذي امتاز به ، بل أحدث تجدداً لم يكن مألوف العرب الأولين في شعرهم ، وجاءت الآية أنه أي القرآن الكريم (باسان عربي مبين) لم يختلف في أدبه وان تعالى في أسلوبه فكاناتقانه أكثر وتزايد بصورة أجل بحيث عد غير مقبول ممن وصفه تعالى بقوله (وهو في الخطاب غير مبين) وجاءت أقوال الرسول (ص) في أحاديثه الشريفة وأقواله الحكيمةوبيانه الجليل فيمثل قوله(إنّ من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة) . وأقوال الخلفاء الراشدين وكلماتهم المأثورة وخطبهم النفيسة التي تداولتها الألسنة وظهر الشعر سائراً في طريقه وان اختلفت في بعض مطالبه ، فلم يتغيّر في شكله ولونه وكان الاسلام جاء مقراً له ، موضحاً موضعه . مؤكداً أسلوبه من وجوه كثيرة وان علا عنه بما جرى معه لا على البساطة والصدق في اللهجة والاحكام في الأداء

ولم يقف الأدب عند حدود ذلك ، بل زاد سلاسة ورقة ، وانما تناقل العرب الأدب الجاهلي وأضيف الى الأدب الاسلامي . وكذا ما تجدد في أيام الدولة الأموية ، وأن الطابع الأدبي لم يتغير كثيراً والسياسة خدمت البيان من وجه ، فكان في اسلوبه ومجراه لم يختلف عن أدواره السابقة إلا في الرقة والاتقان

حفظ أدبه المعاصر ودوّنه من وجوهه المنوعة ولم يفلت منه إلا القليل ، بل حرص القوم كل الحرص على أدبه الفائق ، وتناقله الناس بهالك ، وجمعت بعض الخطب والأقوال الحكيمة والأمثال كما في العهود السابقة فأضيفت الى هذه الثروة ، فزاد النمو ، وما زال في هذا التزايد حتى بلغ الذروة ، ونال مقاماً عظيماً

والناس في رغبة اكيدة للمعرفة ، واتصال باللغة العربية ، تناوله العرب كما تناوله

آخرون بأمل المعرفة و برغبة الانتفاع وربما كانت هذه هي الغالبة وهي الأولى لما لها من التعلق بسبب من هذه اللغة للاتصال بالأمة العربية والتعرف لها من طريق الأدب العربي ، والأخذ به من أكابر رجاله

ولم ينقض هذا العهد سنة ١٣٢ هـ إلا وهو طافح بالحروب الخارجية والمقارعات للفتح ، والحروب الداخلية والفتن وكل هذه لم تمنع من التوغل في الأدب ولا منعت من سيره أو أخرت نموه . بل زاد الأمل في بلوغ الغاية الكبيرة منه

وكان يلخص الأدب العربي في الأدب الجاهلي ، وأدب القرآن والخلفاء الراشدين والأدب الأموي ، والقصد من هذا نموه في أيام هؤلاء ، ودوامه وتكامله فلم يفلت عهداً قديماً يقدمه . ولا ترك أدباً جديداً معاصراً إلا أخذ به وانما كان على نهج لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمة الأدبي ولا ريب أن (الكتاب الكريم) وجه هذا الأدب ، فصار العرب يلتمسون معاني الكتاب من الأدب الجاهلي لحفظه ، وصار يثبت الأدب المعاصر لادراكه عصره وتوالى في سيره

تكونت الثروة من جراء هذه العناية إلا أنها متناقلة ، وحصل حفاظ كثيرون لهذا التراث ، حراس له من أن يناله اغتيال ، ودونته مجاميع ... وصار ثروة الأمة لمختلف عصورها ، وزادت العناية في العصور التالية ، ولم يتغير وضعه في هذا الأدب ، بل صار في تكامل أكبر وأجل ولا شك أن هذا الأدب تبدأ العناية به منذ بدأ الاسلام ، فلم يهمل أمره . بل توالى باستمرار وان علماءنا ادباءه وعلماء الأدب في الوقت نفسه

وفي هذا العهد تغير النقد كثيراً وكان ظهور الاسلام أعظم حدث في توجيه الأدب والفات الأنظار الى نواح جديدة من نقده فاكتسب رقة ونال تفوقاً على ما تقدمه من الآداب الجاهلية

وكان (القرآن الكريم) خير أثر مرشد ومهذب في هذه الآداب وتمكنها في

الاسلوب وأن اللغة نالت أجل مكانة . وكذا كان (الحديث الشريف) قدوة المتأدّبين سواء في خطبه (ع) أو في أقواله الشريفة كل هذه ينطوي تحتها نقد عملي عظيم في الانتقاء للألفاظ والاختيار للأساليب المقبولة زيادة على ما مرّ القول فيه في العهد الجاهلي وما جرى على الشعر والنثر من نقد وهو في الحقيقة ولّد أرقى الأساليب الممتازة وهو نقد فعلي ماثل أمام عين الأديب ويتجلى في المناضلات العشائرية والأوضاع السياسية والمنافرات بين الشعراء سواء كان بين المسلمين واعدائهم أو في الوفود على الرسول (ص) وتظهر في قصيدة كعب بن زهير وامثاله مما هدمه الاسلام من ثأر ووِتْر الى غير ذلك من أدب جم فقضى الاسلام على العصبيات الجاهلية

وعلى كل حال أن النقد الجاهلي وما جرى عليه من تطور قد قبله المسلمون وزاد القرآن في تهذيبه وجاء العهد الأموي مؤيداً ومؤكداً

٣ — العهد العباسي

انّ تاريخ الأدب العربي واسع الأطراف غزير المادة خدمه العرب والمسلمون جمعاء ودونوا آثاراً كثيرة فيه ، ولا تزال آثاره مطمورة وتحتاج دائماً الى اثارة سواء في شعره أو في نثره ، فالشعر العربي ديوان العرب ، ومدارُ فخرهم ، ومقارعات أدبهم وتفاضلُ عقولهم ينطوي على ثقافتهم ، أو هو أدبهم العام الشامل ، مادته غزيرة تولى العرب ضروبه ، ورعوا شؤونه ، فقاموا بمهمته وعَنوا به العناية كلها ، وأملهم أكبر ، وحالهم أجل ، ووضعهم أرقى الأوضاع يحاولون أن يأتوا كل يوم بشيء جديد وربما يعجز المرء من ابداء كل ما عنده في الشعر العربي أو يدرك جميع قيمته ، ودرجة الاهتمام به

يتمايز الرجال بمقدار اتقانه ، ويتفاوتون في الرتبة بما ينطقون به من حكمة ، أو كلمة

سائرة ، أو وصف بديع ، أو أمر عزيز و « رب قول أنفذ من صول » والكلمة الواحدة تخلد الذكر ، أو تضع ، فهو عندهم وعاء الحكمة ، والمثل السائر ، والأدب الجم ، والصنعة من وجوهها المنوعة ، وطرقها العديدة

لم يقفوا عند استظهاره ، أو عظمة روايته وايراده ، وانما نعتوا رجاله بما يستحقون من أوصاف أو اعطوهم حقهم من المنزلة وبيان قيمة الشعر الذي قالوا ، وبه صاروا يتفاضلون ، أو أنهم جعلوا الشاعر بالرتبة التي وصل اليها ، والمكانة التي نالها ... أو سما اليها في معارج البيان

كتب كثيرون في هؤلاء الشعراء ، وعينوا قيمهم ، وكانت الاتجاهات في ذلك كثيرة ، ففاضلوا بين الشعراء ، وأوضحوا المزايا ، ورعوا أمرها من وجوه تلك المفاضلات (وجوه الصنعة) ومن المهم اننا لا نميل الى ما قالوا في كل شاردة وواردة وانما كانت الأوضاع تدعو لتناقل الكلمات الخالدة الناشئة عن حقيقة الحالة ، الجديرة بالأخذ ، اللائقة بالتخليد ، الداعية الى الالتفات ... أو أن علماءنا وأدباءنا تناقلوا ما هنالك ، ودونوا عن الأكابر الأفاضل ذلك ما دعا أن يعرفوا شعراءهم بما قيل فيهم ، أو ذكر من نهج في أدبهم في كلمات خالدة ودرر ناصعة ناشئة عن حكمة وأدب

وفي هذه الحالة لم تكن حاجتنا ان نسمع الى (اقوال الغربيين) ، أو (كلمات الأجانب) في هؤلاء الأدباء ، وان كنا لا نستغني ، وانما نحب ان نسمع كل ماجاءنا الا ان الجدير بالمكانة ان نسأل ارباب المعرفة منا ، وندون عن نفس الأدباء في الشعر ، أو بالتعبير الأولى حاجتنا ان ننظم ما عندنا ، وننسق ما قيل في شعرائنا لتظهر لنا الحالة من طريقها ، وتنجلي من ناحيتها

والأدب العربي يقدره اهل الأدب منا بأن يوضحوا حالته ويبدوا كلامهم فيه ، أو أننا ندون ما قالوا ، فهم أرباب الأدب ، وحكماء الكلام ، وأحق بالمعرفة

والايضاح . ورجال البيان اولى ان يسألوا عما علموا ، وعن الصواب فيما اوردوا ،وما قدروا في السرد ولا يهمنا غيرهم الا في الدرجة الأخرى ، او الرتبة التالية ، والمنزلة المتأخرة

والعراق لم يهدأ الحركة الأدبية فيه وانما خلف ثروة غزيرة لاينضب معينها ، وترك مخلدات تعدُّ درةً في جبين العصور . كانت غذاء الأقطار العربية وغيرها ، وليس فيها المعاد المكرر . والتجدد فيها والاجادة في موضوعها من اجل خصائص الأدب المقبول تجلى ذلك في شعر شعراء أكابر ، في دواوين ومختارات تعدُّ من خير الإلهام لأدبنا التالي والحاضر . والاستقاء من هذا المعين والاتصال به مما يدعم الموهبة الفائقة في انكشافها ، وتحركها مباهج القطر ومناظره الخلابة وأوضاعه المثيرة للانشاط والتهيج أو الوحي الأدبي ، فيساعد على إبداء الأدب الغض ، وللأدب الماضي من التوجيه والبواعث والانتعاش ما يبهر ويمدُّ الأدب بالغذاء ، فيظهر بحلة بديعة ولون رائق

ومثل هذا لايقف عند حدودٍ معينة ، ولا حالات ثابتة ليبدو بأبهى ما يتحلى فيه . واذا رجعنا الى الثروة الأدبية في النقد ، فانما نكون قد استكملنا العدة ، وتسلحنا بأقوى سلاح وما ذلك الا لأن الأدب العربي زاخر في مادنه فائض في موضوعه

ولا شك أن (النقد الأدبي) عندنا في مختلف عصوره يدل على عقلية جبارة ، وفكر قويم وقدرة ، كما لا تهمل قيمة التوجيه الأدبي واتصاله بالموضوع اتصالاً عظيماً فهو من أجل ما يغذّي الأديب وفي هذا كله آثار ادبية وتاريخ أدبي وتاريخ نقد

والمؤلفات وتاريخ تطورها ، يدلان على ظواهر لا نراها في تاريخ أدبي لأمة من الأمم . أو قوم من الأقوام في تاريخ حركتها الفكرية بل إن العرب في (تاريخ الحركة الأدبية) كان نشاطهم جليلاً ، وعملهم فائقاً ، وتدويناتهم كبيرة ، كانوا أسبق الأمم في فصل الآداب عن العلوم ، كان ذلك في وقتٍ مبكرٍ جداً في حياة الأمة الثقافية ، ولم تنتبه اليه الأمم

الأخرى الا بعد تمكنها من الثقافة ورسوخها فيها ولما كانت هذه صفحات لا تخلو من فائدة في التبصير بقيمة الأدب معرفة بقيمة النقد الأدبي وتاريخه عندنا مقتبس من آثار أدبية جمة كان يوجه فيها النقد . أقدمها الى القراء الأفاضل ، ولم استوعب مطالبها ، وانما اذكر ذلك توجيهاً للراغب وتدريباً للأخذ بما هنالك بسعة وافرة

ومن بين هذه المؤلفات الخالدة :

١ — كتب الأدب :

وهذه بوجه عام تناولت ما قيل في هؤلاء الأدباء ، وتعيين صنفهم ، وتوضيح امرهم مثل كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري وكتاب العمدة لابن رشيق الا أننا نراها غير جامعة ولا مرتبة سوى أنها تنقل بعض الأقوال ، وتقرر بعض المعروف من الحالات وهي مفيدة . نافعة كثيراً الا أن ذلك غير مستوفى وانما هناك كتب خالدة تستحق الذكر

٢ — طبقات الشعراء :

وهذه ابدت عن كل شاعر ما عرف عنه ، وغالب هذه تحقق أوضاع الشاعر كلها ولا تخلو من بيان المزايا الا أنها لم تتأهب لوضع خاص بالشعر وتدوين مزاياه في النقد بعرضها عرضاً خاصاً ، ومع كل هذا تدعو للالتفات فهي كبيرة الأثر ، جليلة المعرفة وافرة القيمة ، جامعة المزايا

ولا تنكر درجة هذه ، ولا تهمل ، فلها اكبر مكانة وربما اغنت عن غيرها ومثل هذه تتفاوت في البيان ، وتختلف في القيمة ، وتدعو للاستفادة والافادة ، وفيها الأدب الجم وغالب مزاياها العظيمة الأثر في الانتهاج الأدبي

تناولت بيان أوصاف الشاعر ، وعرض شعره ، وفي الأولى توجيه ، وفي الأخرى ملامسة المادة ، والاتصال بالأديب باظهار العلاقة بشعره ، وبيان أدبه ، وربما كانت هذه الآثار نتائج الأدب وصفوته الخالصة ودره النضيد ...

٣ — مصادر النقد الادبي في الشعر :

وهذه الغاية المقصودة ، والأدب المطلوب والمادة الغزيرة من أديب كامل ببيان مزايا كل شاعر ، أو هي مفاضلة مستمرة ، ونظرة صادقة ، ومزية لا يستهان بها ، ولا يهمل شأنها بل لا يترك أمرها وربما كان الترك معيباً والاهمال مزرياً من جراء أن ذلك صادر من أهله ، ناجم من طريقه ... أو أن الضرورة تدعو الى العناية الزائدة والالتفات الكبير

جاءتنا خلاصة النقد ، وبدو إدراك المزايا ، وهي المفاضلة من وجوهها لا الذم لواحد وانما هناك طريق كل شاعر ، ويهج كل أديب بذكر ما امتاز به أو عرف عنه ينطقون بمزاياهم ، ويعرفون بمواهبهم ، ولكن من هو صاحب القول المسموع ، ذو الكلمة الصادقة الخالدة ، إذ يتعسر ذلك على غيرهم

بيدي الآن (جملة كتب) في النقد الأدبي تعين المزايا ، وتحقق الاغراض الخاصة في النقد ، وتدعو الى الاهتمام وليس مقصودنا الجمع والاحاطة وانما يهمنا ان نتناول ترتيب الظهور ، ومراعاة التاريخ ، أو تطور الموضوع وبالتعبير الأولى نبين (تاريخ النقد) بما ظهر من آثار في العهد العباسي

ولعل التوغل يضيع الهدف وانما أقول (كتب النقد الأدبي) في الشعر منها ما وصل الينا من طريق الطباعة وجاء مبعثراً أو خاصاً بشاعر ، والاحاطة بما قيل فيه أو ظهر من مزايا وهذه كثيرة في الموازنات بين شاعر وشاعر مثل (الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني) والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي والمهم الاطلاع على الشعراء في بيان مزايا كل شاعر ومن أشهرها :

١) رسالة أبي حاتم السجستاني :

حاولت مؤلفات عديدة القيام بهذه المهمة ، والتصريح بهذه الحقيقة ورعاية ما هنالك

فكانت مدوناتهم وافرة المادة عظيمة الأثر جليلة القدر ... منها رسالة أبي حاتم السجستاني البصري المتوفى سنة ٢٢٥ هـ — ٨٦٩ م وكان يعد من أكابر رجال العلم . وله المكانة الفاضلة في الأدب سأله ابن دريد عن خمسة وعشرين أديباً شاعراً من الشعراء الجيدين من المحدثين فأجابه بكلمات خالدة تستحق الالتفات وربما كانت من أوائل ما دوّن في الموضوع ومن أجله

وكان الأدباء قد أوسعوا شعر الجاهلية بحثاً ، وقربوه من افهام الراغبين ، وأوضحوا عنه الإيضاح كله وهناك النقد ، وله وجوهه المعروفة وطرقه فاتجه السؤال الى المعرفة الجديدة في المحدثين ، فكان الجواب محكماً وافر المادة على قلته وهو غني بالمعرفة على ايجاز في لفظه

وهذه النبذة عثرت عليها في مجموعة نفيسة عندي بخط المرحوم الاستاذ مصطفى وفي آل جميل مؤرخة في ٢٠ شعبان سنة ١٢٧٧ هـ وهي في اللغة والأدب منقولة من (أمالي ابن دريد) خلدت صفحة ربما كانت من أقدم ما خلد في شعر المحدثين من صفحات ولعل المرء يترقب ما أجاب به أبو حاتم عن كل شاعر

ولا اكرر السؤال والجواب ، أو قال وقلت وانما اذكر كل شاعر وما قيل فيه رأساً ليكون أوفر في المعرفة وانا في حاجة اليومَ الى ذلك التعريف ، وبيان مزايا كل شاعر من شعرائنا وهذا ذكر الشعراء وما نعتهم به

١ — أبو نواس : إن جد أحسن وإن هزل أطرف ، وإن وصف بالغ يلقي الكلام على عواهنه ولا يبالي من حيث أخذه

٢ — بشار : نظار غواص مطيل مجيد يصف ما لم يرَ وكأنه قد رآه على أنّ في شعره خللاً كثيراً

٣ — مروان : شاعر راض عن نفسه يستحسن كل ما جاء منه معجب لا يرى أن أحداً يتقدمه ، كثير الصواب ، كثير الخطأ ، ليس لشعره صنعة

٤ — مسلم : خليج صاف ينزع من بحر كدر كالزند توري تارة وتصلد أخرى

٥ — أبو العتاهية : غناء جمٌ ، واقتدارٌ سهلٌ ، وشعرٌ كخرز الزجاج ، وربما أشبه الياقوت والزبرجد

٦ — ابن الأحنف : يلقي دلوه في الدلاء فيغترف الصفو أحياناً والحمأة أحياناً على أن كدره اكثر من صفوه

٧ — سلم الخاسر : مقلٌ مداح ، شعره ديباجٌ وعهنٌ ، يموه الرديء حتى يشبهه بالجيد

٨ — العتابي : عالم بأشعار العرب ، محتذ على مثالهم أحياناً وربما مال الى تعقد الكلام على أنه ينال مرامه من كلتا الجهتين

٩ — الجريمي : صنعته سهلة . لا يكابر طبعه ولا يكدر فكره ، يسوق ما انقاد له عفواً

١٠ — أشجع : يعذب ويعفى ، ويحسن ويسيء فصوله مختلفة ان شئت قلت مطبوع وان شئت قلت متكلف

١١ — أبو الشيص : جدٌ كله فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التي نفضت ففيها المستعذب والمستبشع

١٢ — علي بن جبلة : بحاث عن الكلام الفخم والمعنى الرائع لاينال مرتبة القدماء ، ولا يحل منزلة النظراء

١٣ — دعبل : شديد الأسر ، محكم الصنعة قليل الطلاوة ، مفحش الهجاء غير مقنع المديح

١٤ — أبو تمام : سيل كثير الغثاء ، غزير الغمار ، جم النطاف فاذا صفا فهو الزلال بالسُلاف

١٥ — الحارثي : طريف مقل ، منحل الألفاظ متعقد المعاني

١٦ — ابو سعيد قوصرة : ورق ناضر وعود خوّار ، ان حفظ لم ينفع وان ضيع لم يضر

١٧ — ابن بشير : عذب الكلام سهله اذا اراد الشيء قدر عليه ، وان اشتدت كلفته في مرامه

١٨ — ابن أبي عيينة : أعجبه اقتداره فتجاوز مقداره على أنه اذا نحر أفلق واذا كوى انضج

١٩ — عبد الصمد بن المعذل : خراج ولاّج يتعسف تارةً ، ويهتدي اخرى ، ان سلك سبل العرب الأول ارب وان مال الى طريق المولدين شاكه

٢٠ — علي بن الجهم : كلام رصين ومسلك وعر عقله غلب شعره من طبعه

٢١ — بكر بن النطاح : تشبه بالأعراب فأفرط ، وتجاوز حد المولدين فانهب ، فهو الساقط بين الفريقين

٢٢ — خالد بن النجار : سيء الكلام ، رخو النظام ان طال بلد وان قصر اجهد

٢٣ — أبو دلامة : جد وهزل ، ومجتنى مرغوب عنه اذا قصد مراماً تناوله غثاً وسميناً

٢٤ — أبو الشمقمق : هجاؤه لذاع ، ومديحه بلا ماء ، اكثره لا نفع فيه

٢٥ — فلان : كلام مؤلف ، تلمظه اسماع الجهال ، وتلفظه آذان العلماء

قال ابن دريد :

« وذهب عني أن أسأله عن الأعزين المطبوعين : السيد ، والنميري » قال الناقل: قد وقع لي وصفهما في حكايتين (وهنا رأينا تعقيب ارقام البحث والاستمرار فيه على الطريقة المارة)

٢٦ — فاما النميري :

فذكر ابراهيم الموصلي قال : حضرت الفضل بن يحيي بن خالد بن برمك وعنده منصور

النميري ومسلم بن الوليد ينشدانه فالتفت الي وقال : يا أبا اسحق احكم أيهما اشعر فقلت إنه قلّ من حكم بين شاعرين فسلم منهما ، ولكن إن أحب الأمير تكلفت وصف شعرهما فقال صفه فقلت : اما النميري فان شعره حسن المبنى ، قريب المعنى ، سهل كلامه ، صعب مرامه سليم المتون ، كثير العيون

واما مسلم فانه خرّج كلام البدويين بكلام الحضريين فضمنه المعاني اللطيفة ، وكساه الألفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ورقة الحضريين .

فقال الفضل : وصفت والله فاحسنت ، وأوتيت الحكم فحكمت النميري أشعرهما

٢٧ — واما الحكاية الأخرى (في السيد الحميري) :

فللجاحظ في فصل من فصول كتبه ذكر فيها :

(السيد الحميري) و (أبان بن عبد الحميد) ، و (أبا العتاهية) و (بشار) ، و (أبا نواس) فقال :

اما السيد الحميري فأطبع الناس على قول الشعر وأقلهم صنعة وابعدهم من التكليف ، واجدر أن ينقل جميع احاديث الناس شعراً سهلاً بلا تعقيد ولا استكراه

وأما أبانُ بنُ عبد الحميد فلم يكن في زمانه أطبع ولا أسلس كلاماً ولا أسهل مخارج وكان يقول على الثاء والذال والغين والطاء مائة قصيدة

واما أبو العتاهية فأحد المطبوعين ومن كاد كلامه يكون شعراً على أنّ غزله ضعيفٌ مشاكهٌ لطبع النساء

واما بشار بن برد وأبو نواس فمعناهما واحد والعدة اثنان بشار حلّ من الطبع بحيث يصل شعره الى القلب بلا إذن

وحدّث أبو الحسن أحمد بن سعيد قال حدثني أبو القاسم التنوخي الحاكم بكور الأهواز والبصرة قال : لقيت أبا الغوث ابن البحتري في ناحية الجزيرة لجاريته حديث أبيه

وأخبرني أنه سأل أباه لما حضرته الوفاة فقال يا أبه : من أشعر الناس قال : أعن المتقدمين تسأل أم عن المحدثين فقال : عن المحدثين فقال : يا بني لو قسم إحسان أبي نواس على جميع الناس لوسعهم وأن لأشجع السلمي لإحساناً وما علم الشعر أكل الخبز بالشعر إلا أبو تمام فقلت له : أنت أشعر أو أبو تمام ؟ قال : سألت عما لا يزال يسأل عنه جيّد أبي تمام خيرٌ من جيّدي ورديئي خيرٌ من رديئه » اه

وهذا وصفٌ للشعراء ، ونقدٌ لهم ، وبيان للاتجاه المقبولة أو المدخولة وفي ذلك توجيه لمكانة الشعر المقبول ، والمراد الجيد والرديء منه ، وان يتوقّى المرء منه من وجوهه المذكورة

نقل ابن دريد ذلك عن أبي حاتم السجستاني ، واضيف اليه بعض الكلمات في شعر النميري ، وشعر السيد الحميري رما يتصل بها أو العلاقة بينهما وبين آخرين فتعيّنت العلاقة وتوضحت الحالة فكان لهذا البيان قيمته ولتلك الإفادة مكانتها المهمة النافعة

ولعل في ذكر هؤلاء ما يُبصِّر بالوضع ويدعو للالتفات الى ما عندهم من شعر وجاءت هذه الأوصاف تراجم جامعة في الشعر والشعراء بل خير أوصاف لأولئك العظماء والعرب لم يهملوا أمر الشعر قدمه وحديثه وتداولوا ما قيل فيهم ونقلوا ما نقلوا عنهم إلا ان الصنعة باديةٌ في المتأخر وفاق فيها كثيرون وربما كسبوا سجية ثانية مسترشدين بمن سبق ، فلا يهمل الأول لقدمه أو يترك المتأخر لما تطبع عليه

وهنا يتجلى (النقد الأدبي) بابرز حالاته

جاءت هذه الرسالة من خير ما كتب بنظرة سريعة توفر للأديب وتقرب ما أراد وتدعو للالتفات من الوجوه المقبولة ، والأوضاع المعروفة والحالات المشهودة ، فهي خير وثيقة بل من أجل الوثائق في موضوعها جاءت رسائل أخرى بعدها ، وان كانت أوفر وأغزر مادة إلا أنها بلا ريب تعد من اقدم ما كتب في النقد الأدبي للمعاصرين ، بل تعد

كأنها صفحة رسام ثابتة لا تمحو جدتها الأيام ، بل كلما مضى عليها الزمن ظهرت مكانتها أكبر

٢) البيان والتبيين :

النقد الأدبي قديم في اللغة العربية وفي آدابها ، ويرجع الى العهود الجاهلية ويتوالى ، وما المعلقات واختيارها من بين القصائد ، إلا في أنها فاقت القصائد الأخرى من الشعر الجاهلي . وحوليات زهير ضرب بها المثل في الانتقاء الزائد ، والعناية الكبيرة في عرض الشعر حذَرَ أن يُنقد ، أو أن لا ينال الغرض ، والكثير من الشعر الجيد تداولته الألسن ودام على مرّ الزمن

ومثل ذلك النثر ومنه ما سار مثلاً ، أو كان كلمةً حكيمة لا تبلي جدتها الأيام مدى العصور ، وما ذلك إلا لموافقته لمقتضى الحال بأكمل وجه ، فشاع المختار ، وخذل سواه والعقلُ السليم ، والذوقُ الرقيق لهما الحكم الصادق في تقدير قيمة الأدب وموافقته لمقتضى الحال

وهذا من حق من زاول الأدب ، وتوغل فيه بالممارسة مع سلامة الذوق للوصول الى صحة الحكم بنفوذ نظر ، وموهبة صالحة وهذا يوضحه قول الجاحظ : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينقل إلا فيما اتصل بالأخبار وتعلق بالأنساب والأيام ، فلم أظفر بما اردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك » اهـ [١]

وقال : المطبوعون على الشعر من المولدين بشار بن برد والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة وقد ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل وسلماً الخاسر وخلف بن

(١) نعت المعجم ج ١ ص ٤

خليفة وأبان بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء وبشار أطبعهم كلهم [١]

وقال : ولما مدح الكميت بن زيد الأسدي مخلد بن يزيد بن المهلب ، فقال له ابنُ بيض إنك يا أبا المسهل (كالجالب) التمر الى هجر فقال : ولكن تمرنا أجود من تمركم [٢]

والبيان والتبيين من كتب الأدب المهمة في نظمها و نثرها وجاءت صفحة كاشفة عن النقد الأدبي وكل ما يقال فيه قليل ومؤلفه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ولد في أول سنة ١٥٠ هـ ـ ٧٦٧ م وتوفي سنة ٢٥٥ هـ — ٨٦٨ م ومؤلفاته الأخرى لا تقل فائدة عنه وهو الأديب الفاضل في وصفه للشعراء كما نعت الأدباء بخير النعوت فكان لبيانه قيمته ولأثره مكانته

٣) سرقات الشعراء :

لابن المعتز وهو الخليفة أبو العباس عبدالله بن المعتز ولد سنة ٢٤٧ هـ — ٨٦١ م وتوفي سنة ٢٩٦ هـ — ٩٠٨ م وهو شاعر وأديب وكاتب ومؤرخ وكان آية في الأدب ومؤلفاته عديدة منها في موضوع بحثنا الكتاب المذكور في النقد الأدبي وهو من نوع كتاب الموشح للمرزباني وله : طبقات الشعراء نشره الدكتور عباس إقبال وأعيد طبعه ، وله رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساويه ، وهذا الكتاب دعا الى النقد ممن جاء بعده وله رسائل كثيرة تناول فيها النقد إلا أنه لم يحكم أصوله كما فعل قدامة بن جعفر وعلاقته بشعراء كثيرين تبين درجة عظمته في النقد وهذه جاءت في كتاب (ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان) للأستاذ محمد عبد المنعم الخفاجي طبعة دار العهد الجديد للطباعة سنة ١٩٥٨ م

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٠ طبعة سنة ١٩٤٨ م في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة بشرح وتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٦٨

٤) كتاب نقد الشعر :

تأليف أبي جعفر قدامة بن جعفر بن قدامة المتوفى سنة ٣٢٠ هـ — ٩٣٢ م ويعدُّ من المؤلفات المعتبرة ، توسّع في الموضوع وتبرز فيه ، فكان عمدةً ولم يهمل المؤلفات قبله ، نقد وحدد ما هنالك وحكّم رأيه في المطالب ، وابدى قدرةً فولّد احتكاكاً بآراء عديدة ، ومن جاء بعده من العلماء والأدباء لم يخلوا من علاقة به ، أو اتصال بموضوعه سعة ونقداً إتفاقاً أو اختلافاً طبع لأول مرة في الجوائب في استنبول سنة ١٣٠٢ هـ ثم تكررت طبعاته ، منها طبعة مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٩٤٨ م.

وقد تناوله كثير من العلماء بالبحث منهم :

(١) ابن بشر الأمدي في كتابه (تبيين غلط قدامة) واهداه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقرأه عليه سنة ٣٦٥ هـ

(٢) ابن رشيق القيرواني

(٣) موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف الموصلي الأصل والبغدادي المولد [1] ولد سنة ٥٥٧ هـ — ١١٦١ م وتوفي سنة ٦٢٩ هـ — ١٢٣١ م في كتابه (تكملة الصناعة في شرح نقد قدامة) وانتصر للمؤلف في كتابه (كشف الظلامة عن قدامة)

ومن مؤلفاته في موضوع بحثنا :

آ — نقد النثر :

عالج فيه مباحث مهمة في النثر الأدبي وما يطرأ عليه من نقد ، ذكر أنه لم يسبق المتقدّمين ولكنه شرح ما اجملوه ، واختصر ما اطالوه ، وأوضح ما اوجزوه وجمع ما فرقوه ، وأورد نماذج من النثر ، وأبدى نعوت النثر وبعض عيوبه ... ونشر سنة ١٩٣٣ م

(١) التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٥ — ٢٣

بتحقيق الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

ب — كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام

٥) اخبار أبي تمام :

إن ظهور الأساتذة في الأدب كان قد سبب النقد المهم ، رأو القدرة الأدبية ، وما لفت الأنظار اليها فأرادوا استغلال ذلك في التوجيه الحق فمالوا الى النقد وهو يؤدي الى اختلاف الاتجاهات ، وتحول الأنظار ... أو أن هؤلاء يريدون ان يظهروا ، فينالوا المكانة بسبب هذه المقارعة ، وقل ان نرى من يعتقد صحةً في نقده ولا يلتفت في هذه الحالة الا الى ماكان مشمولاً بالنظر الصائب ، والدعوة للحق والتوجيه الصحيح وصدق النظر ، فالاصلاح طريقه معروف ، والعمل لرفع مستوى الأدب ، وتقدير مكانته . والاتصال بأمره اتصالاً وثيقاً ان ينفذ المرء الى حقيقته ويكتنه كنهه ...

ولم يكن هذا مقصوراً على الوجهة الأدبية ، وانما يتناول التاريخ وسائر العلوم الا ان كلامنا مقصور على الآداب ونقدها ...

وأجل نقدٍ رأيناه كان في كتب كثيرة ومهمة جداً ومنها : (كتاب أخبار أبي تمام) وأدبه ، ومزايا الأدب قبله ومكانته والا فلا تظهر مزايا الأديب الا بالمقابلة ، جاء أبو بكر محمد بن يحيي الصولي المتوفى سنة ٣٢٥ هـ — ٩٣٦ م فأوضح عن الأدباء النقاد للأدب القديم ، أو الحديث وقد مرّ بنا من النقد ما يدعو للالتفات وكل كلمة منه تؤدي الى المعرفة الكاملة في وجود الأدب من الاتصال بالأدباء والشعراء في تصوير قيمة شعره وأدبه وفصول بيانه ، وتوجيهاته ... وان الاستاذ الصولي وجه نقده على من يترقب الموضوع ويحاول سرقته ، أو أن يتمين له ، فيحاول ان يزاحم فيه ، وينقد نقداً مراً على من جهل من المعاصرين أدب عصرهم وما عندهم من أدب جم أو الالتفات الى وضعهم بل اهمال

ما هنالك والاكتفاء بالقديم وربما كان ما كتبه الصولي إلفات نظر الى ادبه ...

رأينا لأبي تمام خصوماً كما لغيره وانصاراً ذابين عنه وربما كانوا مغالين والأمر بين الاثنين بين من يحط من رتبته ، وبين من يرفعهـا الى درجة لا يستحقها ولا يتجاوز حدودها ، وهي معرفة قدر الرجال الأدباء وتعيين منازلهم ، وتبيين أوضاعهم الحقة ... والصولي كتب كتابة المحب لأبي تمام ، المعجب بشعره ، كان سمع تنقيصاً له من أناس مغرضين وأصحاب افتئات عليه ، ومتزمتين بل ثالبين مهاجمين لا هم لهم الا الظهور ، ولا وجه الا التطلع لابداء القدرة جاء كتابه ملخصاً ما كتب من أخبار أبي تمام وربما كان الزبدة وجاء على الضد من كتاب الموازنة للآمدي ، وللعلماء آراء في الأدباء في التقـديم والتأخير والتفضيل والذم وكل هذا يعين صفحات أو نظرات جليلة في الأدب ربما كانت الفريدة من نوعهـا ، والمرتجلة في حينها وفي جمعها من مجالس كان يطرى فيها الأدباء ، ويرجح بعضهم على بعض ... وربما كان بين هؤلاء من يجهل حالة الأدب ، وانما هو مغامر أو أنه مخالف لما عنـد الآخرين ولا تزال الآراء في المحدثين من الشعراء وبينهـم الذام والمادح ، والمرجح والمخذل ، وكل يحكي طبعه ويعبر عن شعوره في الأديب ولا يخلو امرؤ من نقص وربما كان النقد صواباً ، أو أنه غير صواب ... والغريب أن نرى الأديب المسلم له بالفضل يناله من بعضهم أشـد التنديد وأقسى النقد بأمل الظهور بالشذوذ ، والبروز في الشتم والسب ...

ومهمة الناقد أن يتدبر الآراء ، ويوجه حقيقة الحال ، فلا يضيع فكره ولا يدع منقبة أو مثلبة بحق إلا ذكرها ، ومن ثم يصدر فكرته ، ويلقي دلوه في الدلاء وهذا ما نراه في الأستاذ الصولي وهو نفسه وصف أرباب الدعاوى قال : وهم مع ذلك يدعون كل شيء ولا يقولون في شيء لا ندري ولا نعلم فكانوا كما قال الشاعر :

يتعـاطى كلَّ شيء   وهـو لا يحسن شيـّا

فهو لا يزداد رُشداً — إنما يزدادُ غياً [1]

ومهمتنا أن نعرف ما قيل في قدمائنا ، والمحدثين وان نتبين وجوه النقد صحيحها وسقيمها مع غض النظر عما داخل من أغراض أو كان مقبولاً في حينه وهو مدخول ... فنقطع في الصواب ونجزم في المتحامل فنبرز تحامله ونفرق بينهما ولا نقف عند ذلك مكتوفي الأيدي وانما نوجه الصحيح ونبدي ما عندنا ... والآراء في مختلف العصور منها ما يندثر وتسقط قيمته عند محك الأنظار ، ولا يقوى على نقد لا سيما ما كان لا يخلو من غرض وهوى ، أما الزبد فيذهب جفاء ويبقى الصواب الجدير بالأخذ أو الفكر المقبول الظاهر البين الظهور ... ومن ثم يراعى تكامل الفكرة ، ويعرف تطور الرأي وطريق الأخذ به ... وهكذا التفتت الأنظار الى شعره وأنه لا يخلو من الجيد والرديء فكالوا له بما كال ، ولكنهم لم يختاروا بل نقدوا ، ومنهم من تعصب له ورفع من شعره وأدى الى ما أدى اليه أمره حتى جاء الأستاذ الصولي فكان حكماً مرضيّ الحكم مقبول الحل والحق أن شعر كل واحد ناشيءٌ من نزعته ، وحالته الروحية فلا ينكر أنه في حالاته لم يكن بمثابة واحدة ، بحيث يعد كله ممتازاً أو مختاراً بل القصيدة الواحدة لها (بيت القصيد) ومثل هذا موجود في شعر الشعراء جمعاء ... لا ينقص من قدر الشاعر ولا يقلل من قيمته الأدبية بل إن ارتفاعه وعلوه في بعض شعره هو الذي يدعو للقبول والاختيار وهكذا نعمل في شعر كل شاعر نال المكانة المرضية عند الأدباء لتكون نموذج من يؤهب نفسه للشعر أو يبغي أن يقرأ المستحسن منه ... فربما اشتهر الشاعر بقصيدة ولو أنه خذل في أخرى أو قصائد عديدة أو أنه لم تكن له من عيون الشعر سواها ...

وأبو تمام له (عيون الشعر) ويعد من مشاهير الأدب العربي وأكابر نوابغه في الشعر .

(١) نشره الأساتذة خليل محمود ومحمد عزام ونظير الاسلام الهندي .طبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م ص ١

شغل العلماء مدة في تحقيق نواحي أدبه ولا يزال وعيون شعره متداولة بين الأدباء ، ويكرر ذكرها ...

ولعل القول المنقول : « هما حكيمان والشاعر البحتري » من أقدم النقد على شعره ، وإنه مملوء حكمة ، بل لا يزال شعره معروفاً متداولاً ... بل تمد حكمته أحياناً من أبهى ما يزينه وكذلك المتنبي فقد بلغت حكمته في شعره غاية

ومما تداول من شعره باستظهار قصيدته التي مطلعها :

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

لا تزال حديث الأدباء ، ومحل النقاش والنقد ...

وثروتنا الأدبية لم تخل في وقت من هذا النقد بل ان النقد يجلو عن ماهيتها ، فيقطع بصحة بعضها وببطلان الأخرى ... الا انها على كل حال لا تزال في عظمها وعو ثمرها وجلالة قدرها وهنا نقول إن عمل الأمة في مختلف عصورها إذا كان الأخذ بالمختار منها نقداً نوعاً ، فلا ريب ان هذا نقد عملي في اختيار الأجود منه ... فلا شك أن النقد الأدبي يستند الى هذا الأصل فيوضح وجوه الاختيار وبيان ماهية غير المختار فيكون توجيهاً للأصلح المرغوب فيه من خيار الشعر ، فالنقد ميزان الصحة في هذا الاختيار ، والموضوع المجاميع الأدبية وبيان مكانها من ذوق المختار ونقدها من جراء الإخلال

اختار أبو تمام عيون الشعر للقدماء فكان لاختياره مكانته ويفترق عن مجموعة المفضليات للضبي وأمثاله ممن يريد أن يرسخ الغريب في ذهن القارئ وهذا اختار الأصلح فعامل الشعراء قبله بنقد سوى ما اختار أو انتقى فرجح الأولى في نظره والأحق بالتقديم فنالت مجموعته المكانة فان اختياره مصروف للجيد من الشعر وتمييز المعتبر منه عن غيره في (ديوان حماسته) فكان نقده المجاميع الأخرى عملياً وفي دار الكتب المصرية شروح

كثيرة لديوان الحماسة [1] منها شرح الامام أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هـ — ١٠٣٠ م وشرح الامام أبي زكريا يحيي الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي المولود سنة ٤٢١ هـ — ١٠٣٠ م والمتوفى في جمادى الأولى سنة ٥٠٢ هـ — ١١٠٩ م

٦) أخبار البحتري :

تأليف الصولي أيضاً حققه وعلق عليه الدكتور صالح الأشتر وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق المطبعة الهاشمية سنة ١٩٥٨ م

كان الصولي أديباً حسن العلم بالأدب وأخبار الأدباء والشعراء وكان شاعراً عالماً بالشعر مهتماً به اكبر الاهتمام وكتب الأدب مملوءة برواياته وأخباره عنهم وقد ألف أخبار عدد من الشعراء كالفرزدق وابن هرمة والسيد الحميري كما كان نقاداً عالماً بالنقد الأدبي وفي (كتاب أخبار أبي تمام) أخبار البحتري عالج موضوع تفضيل أبي تمام وتفضيل البحتري وذكر عيوب البحتري في الآداب الى غير ذلك من المباحث [2] ومن أهمها ما جاء في النقد الأدبي وسار فيه سيرة كتاب أخبار أبي تمام وينقل عن البحتري في ترجيحه أبا نواس على مسلم ولما اعترضوا عليه بأن ثعلب لايوافقه قال : « ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله وانما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه »

واشهر البحتري بسينيته التي مطلعها :

صنت نفسي عما يدنس نفسي   وترفعت عن جدا كل جبس

ونالت استحسان الكثير من الأدباء منهم أمير الشعراء أحمد شوقي وقد عارضها بقصيدته التي مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسي   اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ س ٢٠١ و ٢٠٢

(٢) اخبار البحتري للصولي

كما عارضها الشاعر المعروف حافظ ابراهيم بقصيدة مطلعها :

أوشك الديك ان يصيح ونفسي بين هم وبين ظن وهمس

٧) كتاب الاغاني :

الآداب العربية من اجل الآداب وامكنها ولا يضارعها في ايامها أدب أمة ، فهو متصل من جاهليته الى اسلامه ، فوقته الحاضر ، ماتت آداب امم كثيرة ، ثم عادت للحياة بوجه آخر وشكل جديد ، وما ذلك إلا لأن الأمم المتحضرة الغربية لم تمض بأدبها إلا في عصور متأخرة واكتسبت من التجدد المتوالي ما انساها أو أضاع أدبها القديم ... والأمة العربية لا تعرف إلا ادباً واحداً لا يجارى في ميدان لتدوين منظومه ومنثوره في مختلف العصور فظهرت مجاميع مختارة نالت مكانة

وهذه من اجلها (كتاب الأغاني) تأليف أبي الفرج علي بن الحسين الكاتب الاصبهاني المولود سنة ٢٨٤ هـ — ٨٩٧ م والمتوفى ببغداد في ١٤ ذي الحجة سنة ٣٥٦ هـ ـ ٩٦٧ م ، وهو موضوع بحثنا ويستحق التدقيق من بين آثارنا الأدبية وأوضاعنا المشهودة وحالاتنا التي تستدعي الالتفات في آدابها وتدقيق عصر المؤلف من بين العصور الأدبية ؛ وكتاب الأغاني يحتاج الى تمحيص واهتمام من وجوهه المنوعة وهو يحقق تاريخ الأدب الى ايامه ويعرف من بينها موقعه الممتاز وما اكتسب من نجاح

والكتاب يضم بين دفتيه نصوصاً أدبية نظما ونثراً ينطوي الكثير منها على النقد الأدبي لأفاضل كثيرين ، فهو مرآة الأدب وهو صفحة كاشفة عما عندنا ، وخزانة طافحة بالمعلومات والنصوص وآراء الأكابر بضروبها المختارة ، ويرى بعضهم أن صاحب الأغاني أصدق من كتب واكبر من حقق ودقق ، وآخرون ظنوا أنه كذاب أشر . مطعون فيه لا يصلح قوله للاستدلال ، وهذه الأقوال لا تصلح للتوفيق والفجوة بينها بعيدة لا تسدها الأقوال الفارغة أو التعصب له أو عليه .

ليس لنا قدرة في التحقيق عن سرائر الناس ، ولكننا نعرضها على المحك العلمي تبعاً لميزان النقد فنتثبت مما قال

فاذا كان المؤلف قد تمكن من اسناد الأقوال فالإشكال في هذا الإسناد ، ادباء أدّوا الوصف وصح ما نقل عنهم ، وهل كانوا صادقين فيما قالوا ؟ أو أن لذلك دافعاً ساق اليه ، فهذا محل نظر :

١ — التنميق الأدبي والتزويق الكلامي

٢ — قصد الوقيعة في الأمير أو الخليفة أو الوزير

٣ — وقد لا يعرف القصد إلا أن الناقل لم يكن من أهل التحمل للشهادة

٤ — الموضوع الأدبي لا يراد به إلا التزويق والصنعة الأدبية ، وبذلك تتضاءل قيمته ويفقد مزاياه التاريخية وهو الوثوق من الصحة وبذا يفرّق بينه وبين أرباب التاريخ

٥ — الاعجاب بالصنعة

كل هذه وامثالها تدعو الى أنّ هذا الموضوع محل شبهة . وهؤلاء ليسوا من اهل التحمل ، ولا يعوّل على امثالهم ليكون النقل بثقة وطمأنينة وجل أملنا أن يكون الخبر ممن يقصه بلا ترويق ولا تلفيق أو أن ينقل على حقيقته وهذا تابع لأهلية المنقول عنه في اهلية اداء الشهادة

وقد طبع الكتاب مرات عديدة في بولاق مطبعة كستلي وفي غيرها ومن اجلّها طابعة دار الكتب المصرية ولم يتم بعد وهو متداول وفائدته للنقد الأدبي كبيرة فانه يصف أدباء كثيرين في النظم والنثر بما يميزهم عن غيرهم وهذا نقد ووصف مماً يصلح أن يكون منهاجاً لكل اديب وشرعة لكل كاتب وقد ترجم صاحب الأغاني جملة اساتذة اشهرهم :

١ — الأستاذ شفيق جبري

٢ — الدكتور محمد احمد خلف الله

٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه [١] :

الشعر لا يخلو من جيدٍ ، وعالٍ ، ودون وهذه الدرجات يعلمها الاكابر ، ويفهمها الأفاضل نقاد الأدب ، العارفون بسالمه ومعيبه ويخطأ من يظن الصواب في شعر كل شاعر معروف ، والجلال في عظمة كل شعر ، والمرء يظهر أحياناً ، وينحطُّ أحياناً أخرى . وقد يعرف الشاعر بقصيدة ، أو ربما كان بيت منها يعدُّ (بيت القصيد) الا أنَّ القدرة تظهر في القصيدة ، وتكبر مكانة قائلها فيعلو شأنه فهي مختار شعره ؛ وصفوة ادبه تدلُّ على علو المنزلة فترفع شأنه . ولعل بعض الشعراء لم ترفعه الا قصيدة تغطي باقي شعره ، أو لا يلتفت الا الى هذا المختار

والنقد الأدبي يتوجه الى المشاهير في الغالب . ويدرك الضعف في شعرهم الرديء . أو المتوسط فتظهر معايبهم ومن ثم يراعى نقد شعرهم وما ارتكبوه من خلل في اللفظ والمعنى أوالاسلوب والمفهوم ، فلا يبخس الشاعر في النفيس . ولا يغمط في الجيد ولا يلهج بذكره في كل شعر ... كما لا يترك أمره في الدون من الشعر فيعطى حقه والمكانة التي يستحقها وكتب النقد الأدبي جاءتنا بثروة عظيمة من وجوه النقد العام فنرى مؤلفات البلاغة تراعي الجيد وأوصافه

اتَّبع العرب طريقة نقد الشعر والغرض منه بيان القدرة ورواج المعرفة ومراعاة القانون العام وما ينبغي ان يكون عليه ، ومن ثم يتوصل الى الغرض فيكون ذلك توجيهاً حقاً فهذا القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المولود في جرجان سنة ٢٩٠ هـ ـ ٩٠٢ م والمتوفى سنة ٣٦٦ هـ ـ ٩٧٦ م كان من الواردين الى بغداد ، وفيها بدأ علمه وظهر أدبه وتجلت مواهبه باتصاله بأدبائها وعلمائها وكان يذرف الدموع على فراقها ، ويتشوق اليها تشوّق المسهام تناول شعر المتنبي بعد هذا الاتصال ، وكتب ما كتب وذكر الأدب

(١) طبع للمرة الثالثة في مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر

ومراميه ومناحي اتصاله بالأدب القديم ، وبيّن أنه لا يسلم اديب من نقد ، ولا يهمل امره
ومن الضروري بيان مكانته الأدبية كما هي باعتدال وقول صدق وبعد أن ضرب الأمثلة .
وبيّن نقد القدماء ، مال الى الشعر وتناول مطالب عديدة ، توصّل منها الى ادب المتنبي
وأشهر خصائصه ثم عالج موضوع السرقات الشعرية وما آخـذه العلماء به ودافع عنه
فأبرز كتابه الخالد مقروناً بأدبه الجم ...

وهنا ألفت النظر الى الشعر الجاهلي وما فيه من مآخذ أو ما توجه من نقد لأكابر
الشعراء ، وانه لم يسلم احد من نقد ، وبيّن أنّ التمحلات في التوجيه ، والذب عن الشعر
الجاهلي واعتقاد العظمة في اهله مما لا يأتلف والحكم العادل ولا يلتئم والصواب ويريد
ان يقول : إنّ المتنبي لم يكن بدعاً من الشعراء بدعوى أنه لا يصح ان يهفو أو يغلط

ومن المهم أنّ الأستاذ الجرجاني لم يستفد من البيئة العراقية في ادبها المعاصر له وحده
وانما اطلع على الأدب العربي من وجوهه ووقف على آثاره . فانه اعتذر عن المتنبي كما اعتذر
أبو بكر الصولي عن أبي تمام ، وتعرّض للأدب كما تعرّض الشرقي الى تاريخه ...

والملحوظ أنّ مماثلة المعنى أو مقاربته أو التعديل فيه لا يعدّ سرقة . وانما الأديب
يطالع ويكتسب معاني من كتب متفرقة وفي فنون ادب جليلة وهـذه لا عبرة بها اذا لم
يكسبها وضعاً ادبياً خالداً مما نراه في قول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فصقله تلميذه سلم الخاسر فقال :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللـذة الجسـورُ

فغضب عليه بشار ، فارسل اليه جماعة يستشفعون فقال له بشار : أفتأخذ معانيَ التي
عنيت بها وتعبت في استنباطها فتكسوها الفاظاً أخف من الفاظي حتى يروى ما تقول .
ويذهب شعري لا أرضى عنك أبداً . فما زال يتضرع اليه ويشفع له القوم حتى رضي عنه

ومثله قول قيس العامري (مجنون ليلى) كما جاء في كتاب أخبار البحتري للصولي :

تداويتُ من ليلى بليلى من الهوى ‏ ‏ ‏ كما يتداوى شـــارب الخمر بالخمر

فكان هذا من أحسن المعاني بأحسن الألفاظ وإن كان الأصل فيه قول الأعشى :

وكأس شـربتُ على لذة ‏ ‏ ‏ واخرى تداويت منهـا بها

فأخذه أبو نواس ، فوالله ما بلغه وظهر في لفظه تكلف فقال :

دع عنك لومي فإنّ اللومَ إغراء ‏ ‏ ‏ وداوني بالتي كانتْ هي الداء

والكلفـة في قوله : « بالتي كانت هي الداء » فقال البحتري سـارقاً للفظ ومقتصراً على الطبع :

تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى ‏ ‏ ‏ بماء الرُبى من بات بالماء يشرق [1]

والعرب نقدوا من يأخذ آراء غيره نقداً عنيفاً وندّدوا بمن تصدى لمثل ما تصـدى له وبذلك ردعوا أرباب الزيغ ممن يتسمى أديبـاً أو عالماً ولم يسلم حتى المتنبي في علو اسلوبه أن يكون هدفاً في الرماية ولم يبرز له حتى اخذ المعنى ولم يفرقوا بين الســرقات المالية والأدبيـة

وفي كتاب (الكشف عن مساويء المتنبي [2]) للصاحب بن عباد المولود في ذي القعدة سنة ٣٢٤ هـ — ٩٣٦ م والمتوفى بالري في ٢٤ صفر سنة ٣٨٥ هـ — ٩٩٥ م وفي كتاب (الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى [3]) تأليف العلامة أبي سعيد محمد بن أحمـــد العميدي المتوفى سنة ٤٢٣ هـ — ١٠٣١ م ما يوضح العلاقة بهذه السرقات

٩) الموازنة بين أبي تمام والبحتري :

تأليف أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي الأصل البصري المولد والمنشأ توفي سنة

(١) اخبار البحتري للصولي ص ١٣٨ و ١٣٩

(٢) منه نسخة في خزانة الأزهر ج ٥ ص ٢١٨

(٣) طبع بالمطبعة العباسية بالقاهرة

٣٧٠ هـ — ٩٨٠ م وطبعته الثالثة بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٩ م وحقق اصوله وعلق حواشيه الأستاذ محمد يحي عبد الحميد تطرق في الأصل لشعر أبي تمام فبين سرقاته وما أخطأ فيه من المعاني ورجح البحتري عليه من وجوه ولم يخرج في هذا عن دائرة النقد في كتاب الموشح للمرزباني بل ربما كان يفضله المرزباني فيما تناوله من سعة مباحث ، إلا أنه فصل في كتبه الأخرى هذه المطالب كما أنه تجاوزها الى غيرها من نقد أدبي ومن مؤلفاته :

١ — تفضيل شعر امرىء القيس عن الجاهليين

٢ — شرح الحماسة لأبي تمام

٣ — الفرق بين الخاص والمشترك من معاني الشعر

٤ — إصلاح ما في معيار الشعر لابن طباطبا

٥ — الرد على احمد بن عمّار فيما خطأ فيه أبا تمام

٦ — كتاب في أن المشاعر لا تتفق خواطرها

٧ — فعلتُ وأفعلتُ

٨ — المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناياتهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم عنيت بنشره مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ بتصحيح وتعليق الدكتور كرنكو مع معجم الشعراء للمرزباني

٩ — معاني شعر البحتري

١٠) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء :

في العصر الرابع الهجري توضح أمر الأدب العربي ، واتجه اتجاهات عديدة وجديدة ظهرت في الشعر ومحاسنه ، وعيوبه وتجلت اكثر في تاريخ الأدب ونقده ... جاء الشيخ أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني المولود ببغداد في شهر جمادى الآخرة

سنة ٢٩٧ هـ — ٩١٠ م والمتوفى بها في ٢ شوال سنة ٣٨٤ هـ — ٩٩٤ م فذكر ما انكر على الشعر وتناوله الأدباء في موضوع المحاسن والمساوي مما يجب ان تعرف للتجنب عنها بل إن الشعراء توقـوا من أن يركبوا مركب ما مضى عليه الشعر من الضرورات أوالأخطاء وحاولوا قدر طاقتهم وجهدهم أن لا يكونوا في شعرهم مما يستنكر أو يستكره وكان عملهم مبدأ تأسيس قواعد البلاغة ...

والمرزباني لم يكن مبدعاً أو موجداً لهذه المآخذ وإنما جمع ونسق ما قاله العلماء ولم يهمل رأيه وضمنها كتابه الموشح [1] ولعل هذا أول كتاب علمي في (نقد الشعر) تناول ما يتعلق باللفظ واللحن ، وهذا جاء متأخراً في أمر النقد ، والسناد ، والإبطاء والإقواء ، والإكفاء والتضمين ، والكسر ، والإمالة ، والتناقض ، واختلاف اللفظ وهلهلة النسج وسائر ماعيب على الشعراء من نواح كثيرة في الشعر القديم والشعر المحدث وقد أطنب المؤلف في بيانها وأما العيوب النفسيـة ، أو عيوب الأجسام ، أو الأخلاق والطبائع والأنساب ، والديانات وغير ذلك من الخصال فهذه تتكون منها مباحث واسعة ، ولعلها من العيوب في أيامه ... نقد عالجها في كتابه (المفيد) وزوده بأخبار المقلين من الشعراء وخصائص شعرهم ومزاياه ...

وهناك أمور أخرى كانت موضوع النقد ، ومن أهمها :

١ — سرقات معاني الشعر لاسيما إذا كان قصر في السرقة وكان الأصل أكمل وعالجها في كتابه (محاسن الشعر وعيوبه وسرقاته)

٢ — رديء الشعر والمضطرب منه

٣ — توجيهات العيوب ، والتماس مخرج لها ، والرد على العائب والطعن فيه وحاولو أن لا ينسبوا عيباً لمتقدم

---

(١) طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٢ هـ .

٤ — إقرار المؤلف هذه العيوب ، وبيان لزوم اجتنابها وتابعه شعراؤنا فكانوا بعيدين عما يوجب النقد من هذه النواحي ، فجاء شعرهم أجمل ، ولا يعذر المتأخر في هذه المساويء لما نبّه عليها الا أن المؤلف لم يتعرض الى ان الشعر صار صناعة لاملكة فطرية ..

ولم يقف المؤلف عند هذه الحدود وانما تجاوزها الى بيان شعر كل شاعر بذكر أحاسن شعره ، ثم يمضي الى ما يعدُّ رديئاً ، أو معيباً منه ، وسرد أمثلة عملية وأوضاعاً لا تخلو من معرفة حقة ، وأدلة محسوسة وكل هذه تعيّن الشعر ومنزلته ، تناولته الآراء فدخله النقد والتمحيص ، والتوجيه

فنرى المؤلف تبسّط في الموضوع من اطرافه ، وجاءت كتبه وافية بالغرض مستوفية للمطلوب، مستجمعة لما هنالك من نواح عديدة كاشفة عن ادب العرب في الجاهلية والاسلام فكانت ثروة لا يستهان بها وتحفة للاجيال القادمة

والمهم أن نقول : إنه من أكابر اساتذة الأدب ، بل أن نظرة الى مؤلفاته الوافرة المزودة بالنصوص، تعيّن مقدار أدبه ، وعظمة مجهوده في اعلاء شأن الأدب العربي ، ومن كتبه الأخرى :

١ — كتاب الشعر : ويتعلق بصناعة الشعر

٢ — الموثق : في الشعراء من جاهليهم إلى الدولة العباسية

٣ — المستنير : في اخبار الشعراء المحدَثين

٤ — المعجم : في الشعراء ونتف من اشعارهم طبع في القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ وذيّله كمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر بن حمدان المعروف بابن الشعّار الموصلي وسمّاه (تحفة الشعراء) فرغ منه في شعبان سنة ٦٣١ هـ (١)

وقيمة هذا النقد ظاهرة للعيان ، ومن أراد التوسع فليرجع إلى مؤلفاته ومؤلفات

(١) التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ٧٥ و ٧٦ المطبوع سنة ١٩٥٧ م ببغداد

العلماء التالين ليعلم ما زادوا من مادة

١١) نقد الشعر :

تأليف محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي البغدادي المتوفى سنة ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م

١٢) قراضة الذهب في نقد اشعار العرب :

للنقد الأدبي وجوه التفات من الكتاب الأفاضل ساروا عليه نحو مناهج ، وقد سبق ان ذكرت بعضها ومن أهم ما رأيت من كتب النقد الأدبي كتاب (قراضة الذهب في نقد أشعار العرب) للشيخ أبي علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ هـ — ١٠٦٤ م

إن تحقيق النهج الأدبي يعيّن وجوه الالتفات التي سار عليها الأدباء قبله أراد أن يتمها بأخرى عرضت له فحاول أن ينزع بها غيره ويعدّل في خطته ، ويقرر أمراً جديداً جديراً بالرعاية ، فصار يعتقد أن لا مجال وراء ما هنالك ولا سبيل للخروج على ما ذكر من هذه الضروب والأنواع ، فيأتي آخر وهكذا حتى تكاملت علوم البلاغة أو ظهر علم المعاني كما هو الشأن في علم البيان أو الصناعات الأدبية لفظيها ومعنويها بل قد نرى رسائل في موضوع النقد خاصة ، وفيها نواح تستحق العناية من ضروبها المنوعة العديدة

هؤلاء الأفاضل امثال (ابن رشيق) تعاونوا في مختلف الاقطار الاسلامية والعربية وعززوا تكامل الفن بأمل محاولة المعرفة ، وتطلب الزيادة والاتقان من طريقه فجاءت مدوناتهم متلازمة وفي الذروة مع ترقب الحالات ... ولا سبب الاحب الأدب والتوغل فيه وادراك نواحيه وبيانها في (كتب النقد) ، وهي وافرة المادة ...

يعدّ هذا الكتاب ممتازاً من بينها وإن لم يبخس حق غيره في الوجهات الأخرى والسبل المتبعة وأول أمر تناوله بالبحث والتحقيق (السرقات الشعرية) اتخذ فيها أبياتاً سمع النقد فيها وهي :

أَلم ترهم كيف استقلوا به ضحىً ... الى كنفٍ من رحمة الله واسع

إمام خميس ماج في البر بحره ... يسير كمتن اللاجة المتدافع

اذا ضربت فيه الطبول تتابعت ... به عُذُبٌ يحكي ارتعاد الأصابع

تجاوب نوح بات يندب شجوه ... وأيدي ثكالى فوجئت بالفواجع [1]

قابل بين الشعراء مقابلة خبير مطلع . وقرّب بين المعاني تقريباً بديعاً وعين أن التصرف في المعنى المعروف المألوف لا يعد صاحبه سارقاً اذا بذل في العناية وأبدع في الأسلوب . قال :

« هذا التصرف لم يسم آخذه سارقاً لأن المعنى يكون قليلاً فيحصر ويدعى صاحبه سارقاً مبتدعاً ، فاذا شاع وتداولته الألسن بعضها من بعض ، تساوى فيه الشعراء إلا الجيد فان له فضله أو المقصر ، فان عليه درك تقصيره إلا أن يزيد فيه (شيئاً) زيادة بارعة مستحسنة يستوجبه بها ويستحقه على مبتدعه ومخترعه

وقد ألّف العلماء والنقاد في سرقات الشعراء كتباً عدة وصنّفوا تصانيف كثيرة اختلفت فيها آراؤهم وتباعدت طرائقهم غير أن أهل التحصيل مجمعون من ذلك على أن السرقة إنما تقع في البديع النادر ، والخارج من العادة وذلك في العبارات التي هي الألفاظ [2] ... » اه

وكنا نود الإطلاع على ما هنالك من مصنفات في النقد الأدبي بل نريد الإحاطة أو الإلمام بها ، لنعلم مقدار عناية رجالنا بالأدب والاهتمام بشأنه فالحاجة تدعو الى المعرفة الكاملة إلا أن المؤلف لم يشأ إلا أن يتناول ضروب الأدب في اكابر الشعراء وما أثّر به الواحد على الآخر بالمعنى القريب أو البعيد ، فعين وجوه التقارب والتباعد وكتابه كافٍ وافٍ لا يحتاج معه الى غيره ، ومما ذكره بتفصيل ومثّل له وجوه الاستعارة ، ومليح التشبيه

(١) قراضة الذهب ص ١ طبع في مطبعة النهضة بمصر من نشريات مكتبة الخانجي

(٢) قراضة الذهب ص ١٥

والمطابقة، والتجنيس والمبالغة وفي هذه ذكر مآخذ الأدباء وسرقاتهم وقال : « إن الكلام من الكلام مأخوذ ، وبه متعلّق والحذق في الأخذ على ضروب ، أنا ذاكر منها ما امكن وتيسر ، إذ ليست هذه الرسالة موضع استقصاء لا سيما وقد فرغت (من) كتاب العمدة عما يراد أو أكثر والمعاني التي يقال إنها اختراعات واخــذها سرقات إنما هي المقاصد وترتيباتها والطرق اليها هي التي يسمى أخذها سرقة لا محالة [1] ... »

وكتابه العمدة من اجل كتب النقد وفي طليعتها

ولم يكن المؤلف باحثاً ومدوناً لما جرى بجذافيره على وجه الإحاطة والشمول وانما شارك وقارع وعيّن المكانة وأبدى الرأي وحكم ... فهو الأديب المتخلص في أدبه الى الوجهة التي رمى اليها وكان عمله (نقداً) حقاً ، لا تشوبه شائبة ، ولا يدركه خللٌ ، أو يناله التقصير والنقص ولم يترك معاصريه فأوضح العلاقات وبصّر بالصلات الأدبيــة إلى أيامه ...

وقال : (بعد ذكر أمثلة عديدة)

« هذا وأشباهه مما انفرد به كل واحد من الشعراء وان كان ذلك قليلاً جداً لا يكاد يتناوله حاذق إلا أن يزيد فيه زيادة تحسنه أو تنقص من لفظه وتستوفي معناه فيكون أيضاً له فضيلة الايجاز ، وكذلك تحامى الناس اشياء كثيرة من المعاني اخذت حقها من اللفظ ، فلم (تبق) فيها فضلة تلتمس ، والقرائح تتفاضل ألا ترى الى قول جميل في صفة امرأة فاجأها :

غدا لاعبٌ في الحي لم يدر أننا ... نمرّ ولا أرضٌ لنــا بطريق
فلما انتحيناه اتّقانا بكمّه ... وأعلن مــن روعاتنا بشهيق

كيف وصف حقيقة الحال حتى صوّرها تصويراً مع حسن لفظ وجزالة (بيان) ومع

(١) قراضة الذهب ص ٢٩

ذلك ليس ببالغ قول النابغة :

سقط النصيف ولم ترد أسقاطه　　فتناولته واتقتنا باليد

على أن النابغة أقدم عصراً وأشبه بالفخامة من جميل [1]

وهكذا مضى في البيان فأبدع ، قابل ووازن فأجاد وأحسن في المفاضلات الشعرية ، والمقارعات الأدبية لم يترك شاردة ولاواردة ليكشف عن مزايا الشعر لكل شاعر فيما رمى اليه ، وحاول ابداءه من نوع موضوعه الذي هدف اليه ، وهو حقيقة نقد في هذه المفاضلة وتلك الموازنة ، والتعرض للصلة من زيادة ، أو نقص وربما تعرّض لأمور عديدة جاءت موضحة لشعر الشعراء وعلاقاتهم الأدبية وتلاعب في التعبير وذكر حتى السرقات المغتفرة وقال :

والسرقة المغتفرة نظم المنثور ، كقول امرأة من أهل البصرة لبشار : أيّ رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية ؟ فقال بشار اما علمت ان بيض البزاة أثمن من سود الغربان قالت : أما ذلك فحسن في السمع فمن لك بأن (تحسن) شيبتك في العين كما حسن قولك في السمع ؟ وكان بشار يقول : ما أفحمني قط غير هذه المرأة أخذ البحتري قول بشار فقال :

فبياض البازي أحسن لوناً　　إن تأملت من سواد الغراب [2]

ثم ختم رسالته بقوله في وصفها :

دونكها يا سيد الأحرار　　وواحد العصر بل الأعصار

رسالة بيّنة الاعذار　　باحت عما تخفي من الأسرار

أدل من فجر على نهار　　وفضل ذاك السر في الإظهار

---

(١) قراضة الذهب ص ٣٠ — ٣١

(٢) قراضة الذهب ص ٤٢

لطيفة المسلك في اختصار خفيفة الروح على الأفكار
كأنها من جودة العيار (قراضة من ذهب) الدينار
اليك جاءت لا إلى المهاري هل يعرف التبر سوى التجار [1]

والمؤلف جدير بالإجلال ، حقيق بالثناء ولا اظن أن من عنده من وصف فائق ما يستطيع ان يزيد عليه ، وفي كتابه هـذا والحق يقال : عيّن مزايا الكلام ، وقيمة الأدب ، ودرجة العناية به ، ومقدار الاستفادة من نتاج الشعر والنثر ، وإن ذلك ثروة عظيمة ، تحتاج الى رعاية وحماية ، وطريق الافادة ان يأتي المرء بالجـديد ، ويقدم أنفع ما عنـده وأرقى مما تقدمه في الأدب ليكون مقبولاً ، ولينال المكانة ، ويؤدي المهمة المطلوبة في هذه الرسالة

ومهما قيل فيها قليل بل أقل قليل، جمعت أدباً غزيراً ، وانوراء المرء عيناً ناظرة فلا يهمل ما قال ، ولا يسلم من نقد ، أو إكبار ... ولكل واحد نصيب من ادبه ، وقيمة فيما كتب أو عرض ومن ألّف فقد اسهدف

١٣) أعلام الكلام :

مهما تتكاثر الكتب الأدبية أو كتب النقد فانها تحتاج الى تجدد دائماً وإن الأدباء قاموا بهذه المهمة خير قيام ، ومن كتب النقد الخالدة (اعلام الكلام) لأبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني المتوفى سنة ٤٦٠ هـ — ١٠٦٧ م نشره الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب التونسي في مجلة المقتبس [2] تحت عنوان (رسائل الانتقاد) على نسخة في خزانته وأخرى في خزانة الإسكوريال رقم ٥٣٦ من القسم العربي ، وجاء في آخره تمت

(١) قراضة الذهب ص ٥٩

(٢) مجلة المقتبس ج ٦ ص ٣٥ و ٤٥٠ و ٥٢٥ لسنة ١٩١١ م

المقامة المعروفة بمسائل الانتقاد وأعيد طبعه مستقلاً وفيه زيادات عن النسخة السابقة جاء في مقدمته :

« هذه أحاديث صفتها مختلفة الأنواع ، مؤتلفة الأسماع عربيات المواسم ، غريبات التراجم ، واختلقت فيها أخباراً فصيحات الكلام ، بديعات النظام ، لها مقاصد ظراف ، واسناد طراف ، يروق الصغير معناها ، والكبير مغزاها ... » كتبه على لسان أبي الريان الصلت بن السكن من سلامان احد النحارين الأعلام :

« قال في جملة احاديث : وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم واسلامهم واستكشفته عن مذهبه فيهم ، ومذاهب طبقته في قديمهم وحديثهم فقال[1] ... » اه

ويعدّ هذا الكتاب متمماً لكتاب أبي حاتم السجستاني وعلى نمطه أو كان من الهامه وجاء مكملاً لمباحثه ، وافياً بالأغراض المطلوبة ، وفيه شمول أزيد ، ويعدّ من أجلّ المصادر واعظمها ، وربما كان متناً في النقد الأدبي عما بلغ اليه علم زمرة من الأدب فذكر جملة من الشعراء المشهورين في العصور الجاهلية والاسلامية والمولدين وأهمل المجاهيل ، وأغفل شأنهم ، ذاكر أبا الريان وهو شخص مستعار ، أو رجل انتزعه من نفسه فكان مخاطبه أبو الريان يجيبه عما عرف ليقدم عن كل شاعر ما عنده وما يعلمه عنه وكأنه أراد أن يعلم قيمة أثره وتأثيره ، ودرجة علاقته بالوسط ليسمع ما يقال ، ويتجرد عن التبعة لينظر في الأمر ويتحقق الحالة ... وصف جملة من شعراء الجاهلية وقال : « أما ابن حلزة اليشكري فسهل الحزون ، قام خطيباً بالموزون ، وفي العادة أن يسهل شرح الشعر بالنثر وهذا أسهل السهل بالوعر ، مثل قوله :

أبرموا أمرهم بليل فلما ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

---

(١) اعلام الكلام ص ١٤ ؛ طبعة النهضة بمصر سنة ١٩٢٦ وهو من نشريات مكتبة الخانجي

من منادٍ ومن مجيبٍ ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء

فلو اجتمع كل خطيب سائر ، من أول وآخر ، يصفون سفراً نهضوا بالأسحار ، وعسكراً تنادى بالنهوض الى طلب الثار ، لما زادوا على هذا إن لم ينقصوا منه ، ويقصروا عنه وسائر قصيدته على هذا السلك ، شكاية وطلاب نصفة وعتاب في عزة (وأنفة) وهو من شعراء أوائل وأحد ألسنة هاتيك القبائل [1] » اه ثم ذكر من أدركوا الجاهلية والاسلام كأبي ليلى الجعدي ، وهكذا مضى الى الشعراء الاسلاميين ، وذكر شعراء بني أمية ثم ذكر جملة من المولدين ومضى الى من تلاهم ...

وكان يقف عند كل شاعر ، فيقرر وضعه ، وما عرف به ، وأبدى أوصافه كلها ، وما خص به وبهذا يسهل البحث ، ويقرب من المقابلات ، والنقد يركن الى مثل هـذا بل يعد مادته وأصله ، فلا نعجـل بالحكم ، وإنما نستطيع بذلك ان تنفذ الى غرض الشاعر ، والاستحسان أو الاستهجان تابعان للروية وحسن الدربة بأن نمعن النظر ، ونستخدم الفكر ، وإلا كان شأننا خالياً من النفاذ الى كنهه لمعرفة محاسنه ومساويه ، ومستقيمه وأعوجه وان نفطن لغوامضه ومتناقضه ، من جميع وجوهه ، ومناهجه وسرائره ، وإلا كان مع المستعجل الزلل والأمثلة تنبي عما قصدنا أو توضح ما ذكرنا ...

والشعر خاصة منه ما يملأ لفظه المسامع فنتوهم فيه ، ونغلط في معناه أو لا نلتفت الى حقيقة مفهومه ، كما أن بعض ما يتردد من معتاد ألفاظه ، وجليل العناية في مدلوله ، ولا يترتب على جزالة كلماته صحة ذلك الحكم فالمعنى الغاية المنشودة ، والألفاظ قوالب المعاني ، والموازنة بين الأمرين ، والمعرفة الحقة هي الأصل في الاثنين ، ولا يسلم اللفظ من نقد ، ولا يخلو المعنى من استهداف الغرض المطلوب

وهكذا يتطرق الخلل الى وسائل البيان وآلاته ، وان كان نفوذ النظر يستدعي

---

(١) اعلام الكلام ص ١٧

الإلتفات الى ذلك الغرض ، ويؤدي الى الانتباه الى الأصل وادراك روح الهدف ... وإلا كانت الدوافع لاقبول أو الرد بل النقد الى أمر لا علاقة له بالموضوع كأن نستحسن القديم لمجرد قدمه ، و نجله لمطلق تقدمه في الزمن ومن هذا يتطرق الخلل ، ويتوجه النقد ويتسرب النقص وقلت في هذا المعنى :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ... ويرى للأوائل التقديما

إنّ ذاك القديم كان جديداً ... وسيغدو هذا الجديد قديما

وسنة عبادة الأوائل ماتت بظهور الاسلام ، والتقليد لهم هلك بهلاك تلك الآراء والمطلوب أن نجري على المنهاج الحق في جميع احكامنا من إبرام ونقض ، وذكر المؤلف نقداً وجهه على امريء القيس مع اتساع الأقوال في فضله فيظن ان جواد شعره لا يكبو ، وحسام شعره لاينبو ، وهيهات من البشر الكمال ومن الآدميين الإستواء والاعتدال ونقد قوله في قصيدته المقدمة ، ومعلقته المفخمة :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات انك مرجلي

قال : فما أغناه عن الاقرار بهذا ، وما اشد غفلته عما أدركه من الوصمة به وعدّد ما هنالك مما ترتب ... وهكذا مضى الى قوله :

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعاً ... فألهيتها عن ذي تمائم محول

ومضى في نقده ، أو جره الى ذكر قوله :

سموت اليها بعد ما نام أهلها ... سموّ حباب الماء حالاً على حالِ

فقالت لحاك الله إنك فاضحي ... الست ترى السمار والناس أحوالي

حلفت لها بالله حلفة فاجر ... لناموا فما إن من حديث ولاصال

وكان النقد في محله وهو واضح لكل أديب ، بل فاضح لذلك الشاعر الذي يعتقد أنه لاينتقد وهكذا استرسل المؤلف في النقد وأورد الأمثلة من شعره ، ولم يسرح في الخيال

والتبجيل ... ثم أشار الى قوله :

هما دلياني من ثمانين قامة

وقد قرعه جرير بهذا فقال :

تدليت ربي من ثمانين قامةً وقصرت عن باع العلا والمكارم

ومضى في ذكر معايبه ، وانه لم يكن من تلك الصفوة والأسلوب لايمنع بقونه أن يتوجه عليه ما يتوجه فكان خير مثال أورد لما يجب أن يتحلى به الأديب بل توغل في هذا الشاعر خاصة واستدرك عليه ما شاء أن يستدرك

ثم قال المؤلف : وهذه العيوب نزرة بالنظر لما أفرد له من الفضائل الأدبية مما سبق أن قدمه ، أو أوضحه فاذا علا أسلوبه في أمور كثيرة فقد انحط في سلوكه ونهجه في أخرى

وفضلاءُ الشعراء كثيرون جداً ولكل سقطات ربما تسوق الى بعضها الاحاطة والتدريب على (مناهج النقد) لا أن نحرص على التماس النقص في الفصحاء ، وانما يجب أن تكون الخطة في السلوك على قصد ، والا فليس الغرض التنديد بالأدباء دون ذكر المحاسن ، وبيان وجهات النقص

ومثل لذلك بزهير بن أبي سُلمى فقال : إنه على ما وصفناه به ، ووصفه غيرنا من العلو والرفعة في هذه الصنعة من مُهذَّبَته وحكمه فيها ، إلا أنه قال :

رأيتُ المنايا خَبْط عشواء من تصب تُمِتْهُ ومن تُخْطيء يُعمّر فيهرم

واذا كان خالف عقيدتنا ، فانه عارض العقل كذلك وان كان لا تَثريب عليه من جراء ما كان عليه من جاهلية والرأى فائل والقول خبط عشواء ومثله قوله :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحِه يهدم ومن لا يَظلِم الناسَ يُظْلَم

فتجاوز حدود الحق والعدْل وكانت له مندوحة عن هذا ولم يخل بما كان قد سبق منه ، أو عُرفَ عنه في حِكَمِه الأخرى وحسن اسلوبه ورقته ، وغرره ، ومستحسن أقواله

لا ينكر ، وان كان التعصب له أو عليه من الأمور التي لا تُستحسنُ الا بحق فلا يغمط حقه ، ولا يهمل النقد الموّجه عليه ، وكل أحد يؤخذ منه ويرَدْ ...

ثم ذكرَ أن المستحسن لا يُنكر ، والقبيح لا يُهمل وأمثال ذلك مما أطنَبَ في المراد أو أوضحَ وإن ما ذُكر من شعري هذين الفحلين والمتقدمين القديمين ما يُغني عن التقيّس عن سقطات سواها وليُقَس ما لم يقَل ، فقد بيَّن أمراً جليلاً يتعلق بنفسية الشاعر وسلوكه ، أو نقَد شعره مما يتعلقُ بالمجتمع ونهجه

ثم مضى الى أنّ من عيوب الشعر :

اللحن وخشونة حروف الكلمة والزحافُ والأوزان ومجاورةُ الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها والافتتاحاتُ الثقيلة أو قُبح الاستفتاح والسَرَق والإخلال بالتناسب في المعنى والأبيات أو تعقيدُ الكلام

وهذه أوسعها علماء البيان ، أو رجال البلاغة ، وأكابر النحو ما يدعو للالتفات وصارت الأغلاطُ اللغوية معيبة ، واللحنُ يفضح قدرة الأديب ويسقطها ويقلل من شأنها ، والخلل اللفظي في الكلمات ، وفي التأليف مما يلفت الأنظار كثيراً ، ويدعو للنقد المرّ

وهنا تدعو الحالة الى التنبيه الى أمر جدير بالالتفات ، وهو أن فساد اللغة ، وصيرورتها صناعية دعا أن يتوجه النقد فيها كثيراً وان تملأً منه بطون الأوراق ومن العلماء من جمع الأغلاط النحوية ، والأدبية ، واللغوية لاتقان العربية ، وكتب القدماء أمثال أبي حاتم تدعو الى مطالب هي الجديرة بالالتفات مع سلامة ما ذكر مما تعرض له مؤلف (أعلام الكلام)

وأمثلة هذه في شعراء كثيرين أورد ذكرهم المؤلف وجاءت عيوباً في مشاهير من الشعراء وقلّ أن يخلو أديب شاعر من نقص ولكن لا يخل هذا بمنزلته ، ولا يقلل من

قيمته الأدبية ولا يدعُ مجالاً في الموضوع ولعل السببَ الرئيسي في الخلل ناجم عن الاخلال بالصنعة أو التهاون فيها أو الاتصال بالطبيعية والتطبع فيقع المرء بمثل ما وقع ...

ثم ذكر أجود الشعر ومختاره وأنه القدوة لمن سلك السبيل والأنموذج لمن ابتغى أن يدخل البيوت من أبوابها ، فذكر أمثلة في الحِكَم وما جرى مجرى المثل ، وفي الغزل ، وأورد أحسن المراثي وأفصحها ، واوجعها وافرحها وفي المدح قدم خياره وأدل به على اقتداره

هذا ونريد أن نقول : إن نتائج المعرفة في الشعر والشعراء أدب أن ندون عن كل واحد ما عرف عنه ، ويدخل ضمن ذلك النقد ، ونستخلص عيون شعر الشاعر وأن لا نغفل امره لعيب فيه وان نختار ذلك ليكون عوناً لطالب المعرفة ، أو من أراد الاقتداء بعصبة الأدب الفاضلة فكانت النظرة سريعة ، ونحن أحوج اليها من مئات المجلدات ويكفينا من القلادة ما أحاط بالعنق

١٤) البديع في نقد الشعر :

لأبي عبد الله محمد بن يوسف الكفر طابي المعروف بابن المنيرة المتوفى سنة ٥٠٣ هـ — ١١٠٩ م

١٥) ديوان الأبيوردي :

النقد الأدبي تظهر أهميته في ذكر ما يتميز به شاعر عن آخر ، أو ينحط به عن غيره بأن تكون مزاياه محدودة أو عامة ويصعب علينا ادراك هذه الا لمن نفذ نظره في المعرفة الأدبية وما كان من خصال الشاعر أو الأديب في اسلوبه ... والغالب على أدبائنا ان يمدحوا الشاعر لأن التلقي عنه كان بهذه الصورة ، أو وصل الينا خبره من طريق واحد لا نكاد نخرج عليه ، أو لا تتجلى حالته الا من تلك الواسطة ، أو كان الاتجاه معيناً فالجهود

واضح في مثل هذه الحالة ، ولم نلتفت الى تدقيق الشاعر الا من ناحية شعره ، ومن مقابلته بغيره ومراعاة المفاضلات بينه وبين أكابر الشعراء

والأبيوردي هو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد الأموي المتوفى في شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧ هـ — ١١١٣ م شاعر مقبول الأدب ، وافر الحرمة في الصنعة ، متفق على اجلاله .. جاءتنا أخباره كثيرة ، ولكن هل يصح أن نعول عليها ونفكر بما فكر به غيرنا ، أو نلتمس بأنفسنا أدبه وان ندرسه كأننا لم نعرف عنه ما قيل فيه بأن نراعي ما يوحيه رأينا ، وما يهدف اليه تحقيقنا فنقول كلمتنا نتيجة اتصالنا بشعره وبأدبه الفياض ...

اننا نشعر بمزايا عظيمة ، نعجب لشعره ، ولدقة صنعته وجليل أدبه وحكمته وأسلوبه المتين الرائع ، ففي الحماس بلغ الذروة ، وبالفخر تجاوز المألوف وعلا فوصل الى أسمى درجاته وفي الغزل كاد ينفرد بسعة الوصف ودقة المعنى ...

وكل ما علمناه أدخرناه لنعود الى ما قيل في شعره ، وما نطق أكابرنا بفضله ومكانته فهل ينطبق شيء من ذلك على ما شعرنا به ؟ وما مقدار ذلك ؟ وما هي الوجوه التي عددناها فائقة فيه ؟

والأمر الأجل أن يجد المرء من يناصره في فكرته ، أو أن آراء قدمائنا لا تزال جديدة ، أو تتجدد دوماً في إيرادها ، وتعلن عن افتكار صحيح في هذا الأديب الكامل الذي لم يضيع عزة النفس ولم يفقد الاباء ذلك موضوع أدبه بوجه عام

وبحثنا الآن يقتصر على نقد شعره ولا أدل على ذلك مثل قوله :

كلماتي قلائد الأعناق	سوف تفنى الدهور وهي بواقي
دلّ فيها الذهن الجلي بألفا	ظٍ رقاقٍ على معانٍ دقاق
فقريضي يراه من ينقد الأشعار	سهل المرام صعب المراق

لم يشِنْه المعنى العويص ولا لفظ يكدّ الأسماع مر المذاق[1]

وهذا الوصف ينطبق على كل شعر مثل شعره من النعوت الفائقة ، وهي نقد لما خلا منها ، وديوانه ينبيء عن شعره ، وجزالته من جهة ورقته من أخرى فهو يصدق على ما قال ويعد درة في جبين العصر سالمة من كل نقد وعندي نسختان مخطوطتان منه احداهما في غاية النفاسة والاتقان وفي خزانة مجلس الأمة الايراني[2] نسخة كتبت سنة ٦٦٠ هـ وان العماد الكاتب الأصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ — ١٢٠ م قد أدخل هذا الديوان مرتباً على أحرف الهجاء ضمن كتابه (خريدة القصر وجريدة العصر) مما يتعلق بأدباء ايران خاصة وعندي منها نسخة خطية قديمة جميلة الخط ومتقنته وترجع لعهد المؤلف أو بعده بقليل

وكان المترجم خازناً في دار الكتب النظامية ببغداد بعد القاضي أبي يوسف يعقوب ابن سليمان الاسفراييني المتوفى في شهر رمضان سنة ٤٩٨ هـ — ١١٠٤ م

١٦) رسالة المآخذ :

في هذه الأيام كثرت المباحث في (النقد الأدبي) وكلها تلوك بعض الكتب فلم تتجاوزها ولا خرجت عن موضوعها ، ولو استقصينا المآخذ على الشعراء والكتاب بما تناول العلماء من مباحث لطال بنا الأمر ، ولدعا الحال الى مطالب موسعة جداً ، وهناك كتب عامة تتناول الموضوع ، وأخرى خاصة بشاعر أو جملة شعراء أو عصر أو عهد ، ومهمتنا توضيح تاريخ الحركة الأدبية في مختلف عهودها فهي المهمة الجديرة بالتدوين وليس من الصواب الاقتصار على ناحية من نواحيها بل تصعب الاحاطة ومن جهة أخرى تعد تلك المؤلفات ثروة أدبية غزيرة جداً فمن الضروري ان لا تهمل وبناء الفكرة عليها

(١) ديوان الأبيوردي ص ٢٢٥ طبعة المطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٣١٧ هـ وهي سقيمة وطبعت قطعة منه على الحجر في مصر سنة ١٢٧٧ هـ

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ٣ ص ٣

حاجة أدبية وعلمية معاً

وهذه الرسالة وردت في كشف الظنون باسم (الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية) نسبة إلى أبي الطيب سعيد بن المبارك الدهان الكندي عالم بالبلاغة والأدب ، المولود ببغداد في ٢١ رجب سنة ٤٩٣ هـ — ١١٠٠ م وفيها منشاؤه والمتوفى سنة ٥٦٩ هـ — ١١٧٣ م بالموصل [١] ويفهم من ... خواها أنها (نقد لشعر المتنبي) بما أخذه من أبي تمام الشاعر المعروف أو اشتراكه في المعاني وأدى عين الغرض

وهي مقابلة بين آراء المتنبي في شعره ، وآراء أبي تمام وما أبداه في النقل من معاني شعره ولا شك أن هذه صفحة أدبية خاصة تدلنا على درجة العلاقة بهذين الشاعرين وهما صاحبا مكانة مرموقة في الشعر العربي ، وان تدقيق مثل هذه يعين اتجاهاتنا الأدبية بين الشاعرين ومزايا شعر كل منهما ومعرفة قدرة المؤلف في تحقيق الاتجاه الأدبي ، وما عورض به من أديب آخر مشهور أيضاً حيث تتجلى الموهبة الأدبية في الدفاع والانتصار ولكل فضله وعلمه وأدبه

١٧) الاستدراك في الأخذ على المآخذ :

كانت رسالة ابن الدهان قد فقدت أو بقيت في زوايا الاهمال

والاستدراك تأليف كاتب الديوان أبي الفتح ضياء الدين نصر الله المعروف بابن الأثير الموصلي صاحب المثل السائر المولود سنة ٥٥٨ هـ — ١١٩٢ م والمتوفى في سنة ٦٣٧ هـ — ١٢٣٩ م ويعد من أكابر رجال الأدب والمؤلفين المغرمين بالمتنبي وشعره وفيها تتعين لنا العلاقة بين أديبين نحويين مشهورين ابن الدهان وابن الأثير كما أوضحت آراء هؤلاء في المتنبي وأبي تمام وهذا هو النقد الأدبي بأجلى مظاهره والعلاقة بين النحويين

(١) معجم الادباء ج ٤ ص ٢٤١ ولم يذكر هذه الرسالة ، وبغية الوعاة للسيوطي ص ٢٥٦ وهدية العارفين ج ١ ص ٣٩١ والاعلام الاستاذ خير الدين الزركلي ج ٣ ص ١٥٣ الطبعة الجديدة

مشهورة من كتابيهما فنرى تعارض الآراء ، ومكانتهما من البحث العلمي في تقدير مزايا كل منهما ودرجة أدبه

آخذ ابن الأثير نده بما نسب الى المتنبي فانتصر له ودفع عنه ريبة السرقات الشعرية من غيره وناقشه في هذه المآخذ التي نسبها الى المتنبي وفند ما قال .

ومن المهم ذكره أن ابن الأثير لم يتمكن من ضبط نفسه عن بيان المآخذ على المتنبي ولم يسكت عما عثر عليه من تلك المآخذ التي غفل عنها ابن الدهان في شعر المتنبي ، فيكون كما قال المرحوم الاستاذ المغربي قد جمع بين مؤاخذات ابن الدهان وبين ما استدركه هو عليها ، ومن جراء ذلك سمى كتابه (الاستدراك في الأخذ على المآخذ) . منه :

(١) نسخة فيها خرم لدى الاستاذ المغربي وهذه تصلح للمقابلة والتصحيح

(٢) نسخة في خزانة الأستاذ العلامة أحمد تيمور سميت بـ (الاستدراك في الأخذ على المآخذ الكندية من المعاني الطائية [١]) ، وهي كاملة ولكنها لا تستغني عن سابقتها للاستفادة من تصحيحها ومقابلتها

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه كلاماً مسهباً في (نقد الشعر) ولعل هذا محط الفائدة العامة ، واكثر من الشواهد الشعرية فيه ، وقابل بينها الا أنه ذم ندّه وتحامل عليه ونعته بأنه لا بصارة له في (صناعة الأدب) ولا عناية بفن (نقد الشعر)

والكتاب وان كان خاصاً بشعر شاعر ومقابلته بشعر آخر إلا أنه محل ابراز المواهب في مثل هذه النواحي وطريق البحث فيها بوجه أدبي عام ، واتخاذ الموضوع وسيلة للتبسط في الأدب وبيان الاحكام العامة في النقد . والحاجة ماسة لهذه الآثار الخالدة الجديرة بالعناية لاظهار ما فيها ، والتطلع الى الحركة الأدبية من وجوهها العديدة في عصر من عصور كله .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٢٤ ص ٣٩١ من مقال للاستاذ عبد القاهر المغربي في وصف نسخته

ولو فرضنا ان نسخة المآخذ قد فقدت وزالت من البين ، فلا شك ان الاستدراك لابن الأثير يعوض نوعاً ، ويبصر بوجوه النقد له ويعين النهج الأدبي في نظره وان كان لم يذكر مأثرة للاصل ويغمط حق مؤلفه فلم يكن أول من أنتهكت حرمته أو ضيع الناس فضله وكمال ادبه ، والله عادل لم يترك ابن الأثير يتطاول حتى سلط عليه ابن أبي الحديد في نقد كتابه المثل السائر

وعلى كل حال حاجتنا كبيرة في احياء مثل هذا الأثر الجليل وان نقف على المجرى الأدبي في عصر من عصور كماله ويعد صفحة كاشفة عن حالات النقد في تطور الأزمان ومعرفة اثرين جليلين والأمر غير مقصور على النقد وانما التعرف لمثل هذه الآثار ودرجة الاتصال بها

١٨) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر [١]

النقد الأدبي في جاهليته لم يكن تابعاً لقواعد علمية أو لتنظيم وإنما هو تابع للمواهب التي تظهر بين حين وآخر ويداخله الأخذ والرد وفي العهد العباسي اكتسب وضعاً علمياً وقواعد خاصة ، ولا شك أنه استعان بما كان يجري من قواعد علمية وعقلية ، ونتيجة جدل أو ما يقال له (آداب البحث والمناظرة [٢]) أو ما هو قريب منها ، فاكتسب انتظاماً واستمر في سيرته العلمية الى آخر الدولة العباسية

والمثل السائر من آخرها وهو من كتب البلاغة المهمة ومن اجل كتب النقد المعتبرة وأوسعها مطالب . واغزرها مادة ، ونال مكانة في الأوساط الأدبية ، وأحدث ضجة ، فظهرت قيمته فيما رمى اليه من اهداف ، نقد بعض الأدباء نقداً مراً ، وغالبها مما اكسبته

---

(١) طبع في بولاق سنة ١٢٨٢ هـ وفي المطبعة البهية سنة ١٣١٤ هـ وطبع بتحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد سنة ١٣٥٨ هـ — م بمصر

(٢) بحثنا في مجلة القضاء البغدادية ج ٣ ص ١٤ — ١٨ في آداب البحث والمناظرة

التجارب وهو قوي الحجة لا يوازيه انتقاد منتقديه ، ولم يتحاش ذلك مما جلب السخط عليه وهو تأليف ضياء الدين ابن الأثير

تناوله العلماء بالبحث والتمحيص والتحقيق ، فمنهم من اعجب به غاية الإعجاب وعدّه من أفضل ما كتب في موضوعه وبزّ سائر الكتب من نوعه وفيه توجيهات علمية استفادة من الآيات الكريمة والحِكَم القرآنية فاتخذ معانيها اصلاً في المراد بيانه وكذا من أمثال العوام واقتباسها أو تضمينها للنظم والنثر وفيه بيان عدّة الكاتب وما يعرض له من عقبات وما يدعو لتقدمه في صناعته فهو توجيهٌ ونقدٌ معاً انتشر قديماً وحديثاً منه نسخ خطية في الموصل وفي الخزانة الأحمدية نسخة كتبت سنة ١٠٧٧ هـ وفي خزانة الحجيات نسخة كتبت سنة ١٠٧٨ هـ وفي خزانة يحيي باشا نسخة كتبت سنة ١١٢٣ هـ [(١)]

وقد اطلع عليه الشيخ عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد [(٢)] في غرة ذي الحجة سنة ٦٣٣ هـ في بغداد ، وأتم نقده بعد اسبوعين بكتاب سمّاه (الفلك الدائر على المثل السائر) وتعرّض فيه للغة كثيراً ويصلح ان يكون كتاب نقد لغوي كما أنه كتاب نقد أدبي وتعرض له أيضاً عند شرحه لنهج البلاغة في مواطن عديدة منه وكتب اليه أخوه موفق الدين أبو المعالي القاسم مقرظاً له ، قال :

---

(١) مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي طبع سنة ١٩٢٧ م في مطبعة الفرات ببغداد ص ٢٤ و ١٠ و ٢٢٩

(٢) هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدايني ويعرف بـ (ابن أبي الحديد) ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ — ١١٩٠ م وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م بعد أخيه القاضي موفق الدين أبي المعالي القاسم ابن أبي الحديد المدائني بأربعة عشر يوماً وفي رثائه لأخيه المذكور يفيد أنه توفي بعد الوزير ابن العلقمي بنحو اسبوع وهذا توفي سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م وما جاء في فوات الوفيات ج ١ ص ٣١٧ من انه توفي سنة ٦٥٥ هـ فغير صحيح وترجمته مذكورة في آخر شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧١ نقلا عن ابن الفوطي من كتابه (معجز الآداب في معجم الألقاب) وأوسع ترجمة رأيناها له في كتاب نسمة السحر مخطوطة عندي نسختها .

المثل السائر يا سـيدي ... صنفت فيه الفلك الدائرا

لكنّ هـذا فلكٌ دائرٌ ... أصبحتَ فيه المثل السائرا

فاذا كان ابن الأثير أبدعَ في أثره ، وحاول ان ينجح النجاح كله في موضوعه الأدبي وفي النقد من ناحيته فلا ريب أن ابن أبي الحديد فاق في التوجيه وأبدى قدرةً في نقده ، ويصح الجمع بينهما والاستفادة من مَعينهما فلا يستغنى بالواحد عن الآخر وكلٌ منهما مصيب فيما رام نوعاً وموفق فيما قصد ... ولكن النقد الموجه لم يكن كله صحيحاً ولا يزال الآن أصلاً في التوجيه العلمي في البلاغة وعلاقتها بالأدب العربي فكان كل كتاب منهما بقي خالداً لم تنسخه العصور ، ولم تؤثر عليه في مطالبها وأوضاعها المتجددة ...

قال ابن أبي الحديد :

« وجدت فيه المحمود والمقبول ، والمردود والمرذول أما المحمود منه فانشاؤه وصناعته ، فانه لا بأس بذلك الا في الأقل النادر ، وأما المردود فيه فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه ، فانه لم يأت في ذلك في الأكثر الأغلب بما يلتفت اليه ، ولا بما يعتمد عليه ، فحداني على تتبعه ومناقضته في هذه المواضع النظرية امور منهـا إزراؤه على الفضلاء ، وغضه منهم ، وعيبه لهم ، وطعنه عليهم فان في ذلك ما يدعو الى الغيرة عليهم والانتصار لهم ، ومنها إفراطه في الاعجاب بنفسه ، والتبجح برأيه والتفريط لمعرفته وصناعته وهـذا عيبٌ قبيح يحبط عمل الانسان ويوجب المقت من الله والعباد [1] ... » اهـ

ومن خلال سطوره يفهم انه يحاول مناضلته ويريد أن يبديَ قدرته ، ولم يكن الانتصار فيما نقد صحيحاً من كل وجه ، وأظهر نعرةً في الانتصار لبغداد وأنه لا يصح منه ان يفخر على بغداد ولم يقصر في مدح نفسه ، ولا أهمل ناحيته ، وجاهر بأنه خدَمَ بها خزانة الخليفة المستنصر بالله ... وقد نقل كلمات من الأصل فعلق عليها ونقد المصنف نقداً

(١) الفلك الدائر ص ٣ طبعة الهند الحجرية سنة ١٣٠٩ هـ

مراً أصاب في بعضه أحياناً ومن وجه وأخطأ في آخر منه ، وقدرة الرجل مسلمة ولا يخلو كتابه من فوائد . وتوضيحات ومباحث جليلة ..

والنقد الموجه على الأصل جاء بتحامل ولغرض سياسي وهذا لا يقلل من قيمته ولا يجعلنا نتركه لما نشاهد من نقد ومطالبه عظيمة والناقد فاضل . والانتصار وسيلة جاءتنا الفائدتان مجموعتين لا يستغنى بواحدة منهما عن الأخرى وفيهما جلاء عن نفسيات لا يستهان بها

وصنف أبو القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري المتوفى سنة ٦٤ هـ — ١٢٤٣م كتاباً يرد فيه على الفلك الدائر سماه (نشر المثل السائر وطي الفلك الدائر) وصنف بعضهم كتاباً سماه (الروض الزاهر في محاسن المثل السائر) وصنف عبد العزيز بن عيسى كتاباً سماه (قطع الدابر عن الفلك الدائر) [1]

ونجم الدين أبي زكريا يحي بن شمس الدين محمد بن عبدان اللبودي الحكيم الأديب من علماء الأطباء واقف المدرسة اللبودية من مدارس الطب بدمشق صنف كتاب (نزهة الناظر في المثل السائر) والظاهر أنه توفي بعد ابن أبي اصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨هـ—١٢٦٨م فقد أورد له شعراً مؤرخاً في سنة ٦٦٦ هـ ولم يذكر وفاته وجاء في كتاب الأعلام : ولد في حلب سنة ٦٠٧ هـ - ١٢١٠ م وتوفي سنة ٦٧٠ هـ - ١٢٧١ م وما جاء في كشف الظنون من انه توفي سنة ٦٦١ هـ فغير صواب كما ان والده شمس الدين محمد توفي سنة ٦٢١ هـ كما في

(١) كشف الظنون في مادة المثل السائر ج ٢ ص ٣٧٦ من طبعة استنبول القديمة وفي ج ٢ ص ١٥٨٦ من طبعة استنبول الجديدة وجاء في ج ٢ ص ٢٢٨ من الطبعة القديمة و ج ٢ ص ١٣٥٢ من الطبعة الجديدة أن مؤلف كتاب قطع الدابر هو السيوطي وفي قائمة مؤلفاته ما يشير الى ذلك أيضاً أما المؤلف عبد العزيز بن عيسى فلم أجد له ترجمة في الشذرات والدرر الكامنة والضوء اللامع

الشذرات فلا احتمال ان يكتب كتابه قبل تأليف ابن أبي الحديد كتابه الفلك الدائر [1]

وصنف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي كتاباً سماه (نصرة الثائر على المثل السائر) منه نسخة في خزانة المرحوم الأستاذ العلامة أحمد تيمور باشا

وللعلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المعروف بابن العطار الدنيسري المصري المتوفى سنة ٧٩٤ هـ — ١٢٩١ م (نزهة الناظر في المثل السائر) [2]

كل هذه المؤلفات تدل على عناية كبيرة ورعاية من أكابر العلماء منهم من رد عليه ومنهم من انتصر له

ويلاحظ :

أن درجة الاهتمام بالأدب ، وطريق الاستفادة من منظومه ومنثوره ، انما يكون بمقدار مراعاته لأدبه ، واتقانه ، فهو وافر المادة في المعاني المقصودة ، مستكمل العدة جامع المطالب واذا كنا نرى النقد الأدبي مرعياً فهذا لا يبرر أدعياء الكتاب أن يتعثروا في الصرف والنحو ويتهوسوا في أمور لا تغيب عمن يدرك مبادئ العربية والكتب التي وصفناها وأمثالها تربي ملكة الأدب وتنمي النقد الأدبي وفيها كفاية عن الاستقصاء

— نسمع من كتاب عديدين أن الأدب العربي خلو من النقد العام أو النقد الشامل للموضوع وانما يراعي الجزئية وما فيها من مادة خاصة كأن ينقد بيتاً أو كلمة في بيت وما

(١) تاريخ علم الفلك في العراق ص ١٠٥ — ١٠٦ والاعلام للاستاذ خيرالدين الزركلي الطبعة الجديدة ج ٩ ص ٢٠٩ ومنادمة الاطلال ومسامرة الخيال تأليف الشيخ عبد القادر بدران ص ٢٥٢ من منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق سنة ١٩١٠ والدارس في المدارس للنعيمي ج ٢ ص ١٣٥ نشره الأستاذ الأمير جعفر الحسني وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة ج ٢ ص ١٨٥ — ١٨٩ المطبعة الوهبية سنة ١٨٨٢ م

(٢) كتاب الاسفار عن العلوم والأسفار تأليف الأستاذ محمد جميل العظم مخطوطي ص ١٠٢ وهدية العارفين ج ١ ص ١١٦ وكشف الظنون

ماثل ذلك ، وحصروا مثل هذا النقد في انه موجه نحوالموازنات دون حكم أو أنه يرجح ويفضل في هذا الحكم

ولا يهمنا من يكتب كما يريد دون ملاحظة الواقع ، فالأدب العربي مدون في آثاره العديدة . ويستدعي النظر في حقيقة ما قيل أو يقال ... ومن المهم ان نتثبت ، ونرجع الى مدوناتنا ، فنقطع في الموضوع ونعين الغرض المقصود في مثل هذه الأمور ونتتبع كلام العرب ، وهل قاموا بمهمة مثل ما عند الغربيين من نقد أدبي ، ذلك ما تناولناه في هذه المباحث التي صارت غذاءً للعهود التالية ونهجاً للأمة في سيرها الأدبية

والنقد الأدبي من شأن الأدباء وانه ذوق لا يقدره غيرهم ، والاشتغالات اللغوية والنحوية والصرفية من شأنها أن تصلح النطق لا أنها تصلح الأدب وإنما الملكة في الأدب وآثاره هي التي تحقق الأغراض وتنمي الذوق الأدبي وليس لدينا طريقة لتقوية الملكة سوى مراجعة الآثار الأدبية والاكثار من مطالعها

ويهمنا اشتغال ادبائنا وعلمائنا بالآداب ومعرفة تاريخ هذا الاشتغال ضرورية لادراك هذا النقد ، وتطوره وفي هذه الحالة نرى الضرورة تدعو الى معرفة :

(١) الذوق والاشتغال باستمرار ليفسح المجال لتقدير المكانة وموضوعه عظيم الأثر

(٢) عيوب الشعر والنثر ، من ناحية الاخلال بهذا الذوق تارة ، ومن الاخلال بالقواعد من أخرى مع ملاحظة السرقات الشعرية

(٣) دخول الأساليب الغربية وانها تجديد في الأدب ومادته

(٤) استفادة الصنعة مما هو طبيعيٌ وجار على سننه دون المتكلف

(٥) تدقيق الآثار الأدبية وأقوال الأدباء مع مراعاة الصلة بالنقد الأدبي وتاريخه لنتوصل الى نتيجة ومن ثمّ نقارن بين انطباعاتنا وما خلفه السلف

(٦) الأدب العربي صار ينظر اليه بمنظار الأدب العالمي فان مزايا آداب الأمم وسائل جديدة وطريق للمعرفة والفيض الأدبي

٤ — عهد المغول والتركمان

من سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م
الى سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م

استمرت الحالة الأدبية على وتيرة من العهد العباسي فكان غذاؤها المؤلفات السابقة في النقد الأدبي وحدث فيها بعض التجدد فكان لها لونها الخاص من جهة والدوام على ما جرى

وكتب النقد الأدبي تتناول المباحث العامة والقواعد الشاملة في النقد ، ولكن اتخاذ اديب أصلاً في الموضوع أقرب للوجهة العملية والفائدة المتوخاة . فإنها من قبيل اعطاء الحكم بالمثال فاكتسب النقد الأدبي تنظيماً كبيراً ونال مكانة رائعة

ولا شك ان كتب النقد تنتزع منها القواعد ولها نظائر في العهد العباسي وتقتبس الأحكام ولم تكن مسبوقة في التنبيه أو أن المرء يحاول ذكر ما لم يمهد ذكره في الفات النظر

ولم يكن هذا النقد إلا مقارعة في الاتجاهات الأدبية ومعارضة لما هو شائع على خلاف ما نرى من نقادنا الحاضرين ، يتخذون الغلط اللغوي ، وإعادة ما ذكر في المعاجم أو لوحظ في الكتب المعتادة المتداولة كأنهم اكتشفوا أمراً جديداً ، أو فتحوا في اللغة فتحاً غير مسبوق أو جاؤا بأمر لم يعهد ...

وبذلك ظهرت مؤلفات عديدة صارت غذاء أدبياً وثروة لا يستهان بها وهذه

يؤسفنا اننا لم نحافظ على بعضها ، فمن نتائج الاهمال ان حرمنا نفعها كما هو الشأن في الكتب المؤلفة في المثل السائر ، وفي الفلك الدائر في الذب عن آراء كل منهما فحرمنا معرفة الاتجاهات في هذه الحركة الأدبية أو ما يصح أن نسميه المعركة الأدبية لو لم تزعجها تهجمات أو تدخلها قسوة في بعض النقد على خلاف ما تقتضيه آداب البحث والمناظرة

و (النقد الأدبي) وما يعارضه فان من أمثلته الواضحة ومؤلفاته تتجلى في الكلام على (ابن سناء الملك) والنقد الموجه عليه من ابن جبارة وأبي حيان وصفي الدين الحلي ، ومن انتصار الصلاح الصفدي لابن سناء الملك والدفاع عنه وهذه مناضلات أو مراجعات في آراء أدبية ومباريات في توجيهات لغوية يقصد منها ما هو أجل من النقد أعني تثبيت الآراء وتعيين الترجيحات في تاريخ النقد الأدبي ومصادره ومن أهم هذه المصادر :

١ — شعر ابن سناء الملك :

وابن سناء الملك عالم وقاض وشاعر معروف في أيامه ولد شعره أوضاعاً متعاكسة وجر الى مناقشات بين نحارير الأدب ولم يكن النقد بالمستغرب ، وانما سبق ان نقد الأدباء شعراء كثيرين نقدوا شعره من وجوه عديدة من جهة انه لا يخلو من الفاظ عامية أو معربة . أو اصطلاحية أو تعابير ركيكة نشأت من تأثير اتصاله بالعامية وهكذا تناولوا اسلوبه ... ودعا الى حركة ادبية من ايام العهد العباسي فما بعده وبالتعبير الأولى اتخذ وسيلة لاظهار القدرة الأدبية في نقده . وفي الدفاع عنه والانتصار له ، وهو الأديب الكامل ، فيصلح أن يكون شعره موضوعاً للنقد الأدبي ووسيلة لبحثه

وهذا ما نعته به الصلاح الصفدي :

« من الأدباء الذين ما لمحاسنهم إنكار . والشعراء الذين جلوا من اعيننا بأبكار الأفكار ، والفضلاء الذين روقوا سلافات المعاني فحصل منها للألباب إسكار ، وأولي الاختراع الذين يقضي لمحاسن ما شرحوا وابتكروا القاضيان شريح وبكار ، فهو الأديب الكامل عملا ،

واللبيب الذي كم بلغ من الاختراع املا ، والأريب الذي استوفت راح معانيه حولها كملا ، نظم القريض فأبان عن البيان واعرب ، نهز غصون الأعطاف وهزأ بالحمائم فأطرب ، وقال الموشَّح فشرّق (ذكره) فأشرق وغرب فأغرب ، وكلماته في كلّ ما أتي به كما قال الغزي :

عقود في حُلى الأيام تجلى   وطوراً فوق أكمام الكمال

ولكنه حسد على محاسنه ، وحصلت الغيرة منه لكونه غاص على در كلامه ، واستخرجه من معادنه . حسدوا الفتى إذ لم ينالوا . وتعرضوا إذ لم يبالوا ، وقد اعترض عليه جماعة بالغرض وما بذلوا جواهره النفيسة بالعرض [1] ... » اه

ومختارات هذا الشاعر متداولة بين الأدباء ومن شعره المحفوظ قصيدته التي مطلعها :

سوايَ يهاب الموت أو يرهب الردى
وغيري يهوى ان يعيش مخلّدا
ولكنني لا أرهب الدهر إن سطا
ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا

ومنها :

ولي قلم في أنملي ان هززته   فما ضرني أن لا اهز المهنّدا
اذا صال فوق الطرس وقع صريره   فإنّ صليل المشرفيّ له صدى

ومن شعره :

لا الغصن يحكيك ولا الجؤذر   حسنك مما كثروا أكثر
يا باسماً أبدى لنا ثغره   عِقداً ولكن كله جوهر
قال لي اللاحي اما تسمع   فقلت يا لاحي اما تبصر

(١) كتاب الانتصار على جواهر الدلك في الانتصار لابن سناء الملك تأليف الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي — مخطوطي

وابن سناء الملك هو القاضي السعيد أبي القاسم هبة الله ابن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر السعدي المصري ولد سنة ٥٥٠ هـ — ١١٥٥ م وتوفي سنة ٦٠٨ هـ — ١٢١١ م ومؤلفاته :

١ — ديوان شعره : نشر بتصحيح وتعليق الدكتور محمد عبد الحق ومصدر بمقدمة مطولة باللغة الانكليزية وطبع في مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن — الهند سنة ١٩٥٨ م وصفحاته ٨٨٥ والمقدمة ٦٢ صفحة

٢ — دار الطراز في الموشحات

٣ — الرسائل : بينه وبين القاضي الفاضل

٤ — روح الحيوان : مختصر كتاب الحيوان للجاحظ

٥ — فصوص الفصول وعقود العقول: في الأدب منه نسخة في خزانة الاسكوريال [١] وفي خزانة الأزهر

٢ — نظم الدر في نثر الشعر :

تأليف الشيخ شرف الدين أبي الحسن علي بن جبارة علق على قطعة من شعر ابن سناء الملك ونقدها بتحامل [٢] استفادة من شهرته ليبرز في هذا النقد وكأن كتب النقد الأولى قد مضى عهدها ، فأراد أن يبدي قدرة في مناضلة ابن سناء الملك على ما اكتسب من شهرة في زمانه وهذا الكتاب لم يتيسر لنا العثور عليه ، ولا ندري كيف غفلت العصور عنه واهملت أمره مع احتفاظها بمن نقد المتنبي من أدباء ، أو أبا تمام ، أو البحتري وأمثالهم .. وقد انتصر الصلاح الصفدي لابن سناء الملك في كتابه الغيث المسجم بقوله :

« ومن حسن التخلص قول ابن المعتز :

---

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٨٠ طبعة بولاق وهدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ج ٢ ص ٥٠٩ طبعة استنبول

(٢) كتاب الانتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك مخطوطتي ص ٣

والله لا كلمها ولو أنها　　　كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وقد أشار ابن سناء الملك الى هذا بقوله :

ومليحة بالحسن يسخر وجهها　　　بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف

لا أرتضي بالشمس تشبيهاً لها　　　والبدر بل لا اكتفي بالمكتفي

وتعنت عليه ابن جبارة في تعليقته (نظم الدر في نقد الشعر) التي أملاها على شعر ابن سناء الملك وقال عند هذا البيت هذا نوع من الجنون والاختلاط وذلك ان هذا الشاعر كثيراً ما يسمع الشعر ويختلط فيه ذهنه فيأتي بـه على غير ما يقتضيه فان ابن المعتز أنشد البيت وأراد كونها في الحسن كالشمس التي هي آية النهار أو كالبدر الذي هو آية الليل أو كالمكتفي الذي هو خليفة الأرض في عظم الشأن وكبر السلطان فنقله هذا الشاعر الى الحسن. ومن أين للمكتفي صفة الحسن؟ والذي دلت عليه التواريخ أنه أسمر أعين قصيراً وليست هذه من صفات الحسن ؟ وانما ظن ابن المعتز وصفه بالحسن فمشى على ظنه وأخذ في مهيع فنه وليس كما ظنه واعتقد ولا قصد ما قصد [1]... » وتناول هذا الموضوع في كتابه وتلاوة وعلاوة على كتابه الاقتصار على جواهر السلك فقال :

« لما كنت بالديار المصرية حرسها الله تعالى في سنة ٧٣٨ هـ قال لي يوماً بعض أهل الأدب ومن يظن نفسه أنه ينسل اليه من كل حدب أأنت يعجبك قول ابن سناء الملك ؟

لا أرتضي بالشمس في تشبيهها　　　والبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

قلت نعم [1] .. » وتناول في جوابه سعة وتفصيلاً عما ذكر آنفاً ... ويفهم ان المعترض يتمسك بقول ابن جبارة ويعتقد بصحته في سؤاله

---

(١) الغيث المسجم في شرح لامية العجم ج ١ ص ١٢٨ المطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٣٠٥ هـ وأعاد ذكره في ص ٢٢٤ وفي ج ٢ ص ١ و ١٨٢ وديوان ابن سناء الملك حاشية ص ٤٢٧

(٢) تلاوة وعلاوة مخطوطتي ص ٨

٣ — نقد الشعر :

تأليف الشيخ العلامة أبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي النحوي ولد سنة ٦٥٤ هـ — ١٢٥٦ م وتوفي بالقاهرة في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ هـ — ١٣٤٤ م وهو أستاذ الشيخ صلاح الدين الصفدي وتعرض في كتابه هذا نقد شعر ابن سناء الملك ولم نطلع عليه لندرك وجوه النقد

٤ — العاطل الحالي والمرخص الغالي :

للشيخ صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي ويعدّ من كتاب عصره وأدبائه وعلمائه وشعرائه ومن المشاهير في اللغة وكتابه هذا من أهم كتب النقد الأدبي واللغوي ويوضح مدى تمكنه في اللغة وجاء في مقدمته :

« وسميته (العاطل الحالي والمُرَخَّص الغالي) لكونه عاطلاً من الإعراب حالياً من المعاني والآداب مرخصاً بين ذوي الخلاعة والهزل غالياً على ذوي الجد والجزل وجعلت كتابة كل ما أشكل من لفظه على صورة النطق به والتلفظ لا على قاعدة الضبط والتحفظ اقتداء بما فرضه أربابه من الفروض واتباعاً لأئمة علم العروض ... »

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ — ١٢٧٨ م وتوفي ببغداد في المحرم سنة ٧٥٠ هـ — ١٣٤٨ م [1]

جاء في كتاب الاقتصار على جواهر السلك للاستاذ خليل بن أيبك الصفدي ما نصه :

« قال الشيخ الامام الأديب البارع البليغ المفوّه الفاضل شاعر زمانه صفي الدين

---

(١) تفصيل ترجمته في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٩ وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١ ص ٢٧٩ والبدر الطالع والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي مخطوطة برقم ٣٤٢٨ في خزانة نور عثمانية والأعلام للاستاذ خير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٤١ وتفصيل ترجمته في المجلد الأول من كتابنا التاريخ الأدبي في العراق المعد للطبع

عبد العزيز الحلي رحمه الله تعالى في آخر كتابه (العاطل الحالي والمرخص الغالي)

هذه الفنون الأربعة وان عدها قوم من سقط المتاع ، فانها شديدة الامتناع ، خصوصاً على من لم يباشر لفظها ، أو يعاني حفظها وكان من عزمي أن أعرض عنها ، ولا أنظم فناً منها فلما رأيت أهل كل فن يفضلونه على الأشعار العربية والألفاظ الأدبية ، ويدعون أن سواهم كالمتطفل عليهم ، والمرمي اليهم ، نظمت منها قدراً يسيراً . ليشهد لي بالقدرة عليها ، ولم أر أن ألتهي بها عن الأعلى فالأعلى من فنون الأدب . وان اعدل عن الدر المخشلب ، لعلمي أن الإكثار منها يفسد اللسان العربي اذا ألفه

ألا ترى الى القاضي الأجل الكامل عز الدين هبة الله بن سناء الملك مع فصاحة لسانه وفضل بيانه لما كثرت محاورته لأرباب الأزجال وألف ألفاظهم ، وان كان اكثر منظومه الموشح المعرب لكن جعل جميع خرجاته زجلية غلب على نظمه في القريض استعمال اللفظ العامي ، وفساد المعنى ، واختلاف تركيبه ، حتى اخرجوا له جملة من ديوانه من ذلك ومما لايجوز استعماله في العربية جزءاً كبيراً » اهـ (١)

وهنا لم يستهدف الصفي الحلي إلا التوجيه في مفردات اللغة ، وتراكيبها ، فبين ان الاكثار من اللغة العامية والزجل يفسد اللغة الفصحى ويؤثر على ألفاظها وأساليبها

ان الصفي الحلي دوّن ما رآه صواباً من نقد ، وهو العارف بمواطن الكلم والكلام . وهو ما نشاهده بعينه في هذه الأيام فاذا كان لم يصب شاكلة الصواب من كل وجه في اتخاذه قريض ابن سناء الملك موضوعه ، فلا ريب أنه في التنبيه على الافساد كان المجلي ، وحاول سد الباب حرصاً على الفصحى

(١) كتاب الاقتصار على جواهر السلك وهذا النص ليس له ذكر في المطبوع من العاطل الحالي والظاهر أنه حذف منه

بقيت القاعدة التي قررها محفوظة معتبرة ، وكانت ناحية الانتصار لابن سناء الملك مقصورة على الأمثلة ، فهل يصح أن نعد ابن سناء الملك في عداد من ذكرهم ؟

لا نريد أن نتعصب للصفي الحلي وإنما نقول : إن الأيام في تعاقبها تجعلنا نقطع بأن هذه الآراء تتجدد ، وانما محل الأخذ والرد ، وعندنا كثيرون صاروا يودون إبداء ما عندهم بلفظ عامي خشية أن يحاسبوا على الغلط أو يرموا بالجهل ، ولم يدروا أن لغات العالم تابعة لقواعد في صحة التلفظ بالوجه اللائق والضبط الصحيح ، فكان فقدان الملكة ونقصان التمرين من أسباب الفشل . ولم يكن هذا من اللغة وإنما هو من نفس الأدباء ، واللغة العربية في كل أزمانها عبرت عن أجل المطالب وأبدت ما تجدد من نزعات أو نزغات ، وأوضحت كل أمل ، فلم يعوزها بيان

وما مكانة الأدب العامي ، وشعر البادية في النفوس إلا لأنه أرقى في عاميته من شعر شعراء لم يوفقوا في قريضهم لضعف في التعبير وركود في القرائح على خلاف ما نعلمه فيمن فاقت مزاياهم الأدبية ، فبزوا غيرهم وأخذ شعرهم نصيبه من النفوس في قوة التعبير . وسهولة الأداء ، وجذب انتباه السامع

وعلى كل حال لم يكن النقد محاسبة لابن سناء الملك على هفوة ، أو غلطة ، فهذا أيسر ما يقع ، وانما المقصود تصحيح فكرة . والآراء مختلفة بل المهم تعيين نهج أدبي في استعمال الألفاظ . وفي رعاية التراكيب يقول الحلي : هذه نتيجة تعود لاغلط مقصود ومن هذه وأمثالها تكون النقد الأدبي فصار ثروة كبيرة ، وخلد آثاراً عظيمة كانت أجل رأس مال أدبي

هذا و (العاطل الحالي والمرخص الغالي) كما يفهم من نصوصه أنه لم يتعرض لما ذكره الصلاح الصفدي في كتابه (الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك) والظاهر أن هذا الكتاب قد حذف منه ما يتعلق بهذا البحث باعتباره خارجاً عن

موضوع الكتاب ولعله مهذب منه طبع في المانيا سنة ١٩٥٥ من نشريات مجمع العلوم والآداب عني بتصحيحه الأستاذ وهلم هونرباخ

٥ — كتاب الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك : (مخطوطة نادرة)

يصعب علينا تقدير قيمة المرء ، والوقوف على مكانته من كتب التراجم الموجودة ، فان غالبها يكاد الواحد يشبه الآخر في اسلوبه ، ونعوته بل نرى هذه النعوت غير خاصة بواحد ، وعيل الى ان الواحد قريب من الآخر في اشتغاله ، خصوصاً بعد أن نعرف أن المترجمين يزاولون موضوعاً واحداً ، أو يتناولون أمراً عين ما يزاوله الآخر

يعرف المرء بما أوتي من مواهب ، وما ملك من قدرة ، وما أدرك من صنعة وهذه خير مقياس لها أثره . وما خلفه مما له علاقة مكينة بتفكيره ، وما أبداه من رأي ...

ومؤلف هذا الكتاب الاستاذ العلامة الشيخ خليل بن أيبك الصفدي [1] ولد سنة ٦٩٦ هـ — ١٢٩٦ م وتوفي في ١ شوال سنة ٧٦٤ هـ — ١٣٦٣ م ولم يعرف بخصيصة واحدة أو ببعض الخصائل وانما هو ممن جمع فضائل جمة فأمكن أن يعدّ في مصاف أكابر المفكرين ، والعلماء المشتغلين ورجال الأدب

نعم يتفاضل الرجال بما يملكون من هذه المواهب البارزة في آثارهم لا بكثرة الجمع ، ولا بالتنسيق ، وإنما بالادراك المقرون بهذه الأمور ، وتجلت القدرة التاريخية ، والمكانة الأدبية ، والمادة اللغوية ، والمزايا العالية ... لا نريد غير ما ذكر ، ولا نتطلب أكثر ما علم ، ولم نكن لنعلم الحالة بالتخمين ، أو بطريق الاستدلال والاستنتاج ، أو من العدد الكبير الى آخر ما هنالك

---

(١) التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٩٣ وطبقات السبكي ج ١ ص ٩٤ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٨٧ ودائرة المعارف الاسلامية ومعجم المطبوعات ص ١٢١ وفيه المطبوع من آثاره

نريد أن ندرك بعض أساليبه ، وطريقته في البيان ، ودرجة الفائدة ومقدار العناية ، وزيادة التفكير لنتمكن من الوصول الى الغرض ، وندرك الحاجة ومهم للأمر ذلك الاهتمام كله أو بعضه مما لا يكفي وحده أيضاً للمعرفة بل نعين كنه ما زاوله من مطالب ... وكل هذا يتحقق من آثاره

واذا كان مسبوقاً بأدباء أفاضل مثل ياقوت الحموي وابن خلكان وغيرهما فان فضائله لا تكاد تحصى ، والتجدد في البحث الأدبي يجعل له المنزلة العالية في عصر المماليك في مصر وليس غرضنا ترجيحه ، فلكل من أكابر الأدباء فضل ، بل كل أثر من آثاره يعين مكانته الفائقة فتجعله في مصاف من انجبهم العصور الاسلامية من الأفذاذ ، وكل واحد يؤخذ من قوله ويرد ، وانما نحاول بيان خدماته في النقد الأدبي وتاريخ الأدب

وبيدنا كتابه المسمى (الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك) اقتنيت في آخر ايلول سنة ١٩٢٤ في بغداد نسخة مخطوطة منه بخط جميل مضبوط وفيها من التذهيب والتزويق ما يعين الصنعة كتبت للخزانة الكريمة المولوية الأفضلية العلائية لابن فضل الله [١] صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية

أوله : « أما بعد حمد الله على أماطي حميا الحمية ، وتوالي النفوس على الانتصار لمن كان منية الحياة وأصبح رمية المنية ، وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي لم ينقض قوله ، ولم ينقص طوله ، وعلى آله وصحبه الذين تورعوا عن ذكر الأموات ، وراقبوا الله تعالى في المحاضر والخلوات وسلامه الى يوم الدين ... » اهـ

والكتاب يفهم من براعة استهلاله انه ردّ على الصفي الحلي وهو عراقي في كتابه (العاطل الحالي والمرخص الغالي) وعلى شرف الدين ابن جبارة في كتابه (نظم الدر في

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيي بن محمد العمري المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي ولد سنة ٧ هـ — ١٣٠ م وتوفي في ٩ ذي الحجة سنة ٧٤٩ هـ — ١٣٤٨ . وترجمته في فوات الوفيات ج ١ ص ٢ والتعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٨٧

نقد الشعر) انتصر لابن سناء الملك وهو مصري ، كما ان المؤلف الصفدي شامي وهكذا تكون الأقطار العربية قد اشتركت في الموضوع فكان قلم الصفدي واضح الحجة ، ظاهر الدليل ، كامل السعة ، لا يجارى في ميدان وقد ذكرنا عنا قيل :

عليم بابدال الحروف وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطله

ينقل النص ، ويبدي رأيه فيه ، ويعزز ذلك بشواهد ونظائر ، فلا يدع زيادة لمستزيد. ومنه نعلم درجة النقد ووجه الانتصار ، وتظهر مكانته وقدرته في التوجيه الأدبي ويتجلى النقد في :

ساذجة وتزوقت :

كان الصفدي قد ذكر قول الصفي الحلي بالوجه الذي عرضته ، وأبدى رأيه على وجهه، وأورد الأمثلة التطبيقية ، قال الصفي الحلي :

« مما لابن سناء الملك من اللفظ العامي قوله :

ساذجة لكنها بالحسن قد تزوقت

لم يسمع في لغة العرب الساذج أبداً ، لكنه في لغة الصناع والنقاشين مع ما أضيف اليه من لفظة (تزوّقت) العامية » اﻫ

فأجابه الصفدي بما لفظه :

« الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى شاعر عصره ، ونادرة دهره في فنّ النظم مطلقاً ، وهو جواد في جواد الشعر مقدّم ، وان كان في هامش الزمان جاء ملحقاً الا أنه الآن تعصّب وجاء الى هذا الزركش المصري فجعله من المقضّب أو المقصب ، ولو ادّعى ذلك غيره لكنت حاكمته اليه ، وجعلته صريع الحق لديه ، وكان هو من أكبر الأنصار على ما كان في ظني ، وخيله لي فيه ذهني فقوله : إن (ساذجة) و (تزوّقت) من ألفاظ العوام ، أقول : ساذجة وان لم تكن من الفاظ العرب فانها قد صارت في العرف حقيقة ،

واشهرت اشتهاراً لا يكتمه الجهل ، ولا يسع أحداً انكاره حتى ان أرباب المنطق يقولون (التصور هو الادراك الساذج) والحقائق العرفية لا ينكرها الأصوليون ، ألا ترى أن العرب العرباء لما دار في عرفهم وفيما بينهم ، واشتهر ما لا هو من كلامهم ، بل هو من لسان الحبشة ، ومن لسان الروم ، ومن لسان الفرس ، ومن لسان الترك جعلوه من كلامهم ، وتداولوه فيما بينهم ، وأكثروا من استعمالهم ذلك حتى نزل به القرآن العظيم عليهم مثل (دسّاها) و (مشكاة) فانهما بلسان الحبشة ، ومثل (فردوس) و (القسطاس) فانهما بلسان الروم ، ومثل (اقليد) و (استبرق) فانهما بلسان فارس . ومثل (غساق) فانه بلسان الترك

وإذا كان هذا في القرآن العظيم الذي نزل على مثل فصحاء قريش وهم على ما هم من الفصاحة العظمى ، والبلاغة التي اذا ارتوى منها أحدهم فما يظمأ ، فما الظن عمن جاء في هذا الزمن الأخير ، ونظم الموشح والزجل ، ومزج هذا بالشعر القريض فإنكار هذا من مثل صفي الدين عجيب الى الغاية على ان ابن الجواليقي قال في المعرّب [1] الذي له : (والساذج فارسي معرّب) .. فصار حكمه حكم اقليد واستبرق ، ولا طعن على ابن سناء الملك ويا عناء ابن سناء الملك ، ويا خيبة آماله فيما نظمه ، وتوهمه في محاسنه التي لا يدركها إلا مثل صفي الدين وأشباهه من أشياخ الأدب وأرباب الذوق ... ! » اهـ

ثم أورد أمثلة من (كتاب الخصائص) ، ومن (كتاب ذم السماع) للامام أبي بكر بن الحسين الآجري في استعمال هذه اللفظة وقال :

« وأما دعواه أن (تزوقت) من ألفاظ العوام فغير مسلم لأن ذلك لفظ جاء في

(١) المعرب من الكلام الأعجمي تاليف أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي المولود سنة ٤٦٦ هـ — ١٠٧٤ م والمتوفى سنة ٥٣٩ هـ — ١١٤٤ م طبع في ليبسك سنة ١٨٦٧ م ثم طبع بتحقيق وشرح الأستاذ أحمد محمد شاكر بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٦١ هـ على عدة نسخ ومن أجل وأنفس طبع

الحديث وهو (لا ينبغي لنبي أن يدخل بيتاً مزوقاً) أورده صاحب (الفردوس الأعلى) وقد قال الجوهري : والزاووق الزئبق في لغة أهل المدينة وهو يقع في التزويق [1] لأنه يجعل مع الذهب على الحديد ، ثم يدخل في النار ، فيذهب منه الزئبق ويبقى الذهب ، ثم قيل لكل منقّش مزوّق وان لم يكن فيه الزئبق وزوقت الكلام اذا حسنته وقومته [2]

فقد ثبت أن (تزوقت) كلام عربي » الى آخر ما قال ثم أورد شواهد لشعراء آخرين وقال :

« هذا البيت الذي لابن سناء الملك هو من جملة أبيات أولها :

يا ويح نفس عشقت معرية تدمشقت
ساذجة لكنّها بالحسن قد تزوقت

ومنها :

وكم لها من عاشق لحيته قد حلقت
ظبي اذا ما سكتت وظبية ان نطقت
وزوّرت لحية مسك نفحت رعبقت
وما اكتفت بكتب نو ن الصدغ حتى مشقت
هويت منها علقة من نظرة تعلقت

وهي خمسة وعشرون بيتاً [3] من هذا النمط : فما لصاحب ذوق أن ينكر (ساذجة)، و (تزوّقت) »

إن ورود هذه الألفاظ في الحديث وفي كلام الشعراء وغيرهم لا يخرجها عن كونها

(١) ورد في الصحاح للجوهري التزاويق

(٢) الصحاح ج ٢ ص ٩٠ وقال في مادة زئبق أنه معرب

(٣) ديوان ابن سناء الملك ص ١٢٧ وفيه الابيات كاملة

معربة والمهم — كما قال الصفي الحلي — أن تاريخها متصل بتاريخ الصنعة ، وهو تاريخ (التذهيب على الحديد) ، ثم (التنقيش والتصوير) ، وبعد ذلك التحسين ، ثم تحسين الكلام وتزويقه أو أن يكون ساذجاً وجاء في خطط المقريزي ذكر (كتاب النبراس وانس الجلاس في أخبار المزوّقين من الناس) لو تيسر الحصول عليه لادركنا تاريخ الصنعة ، ولكن الصفدي لم يدع في القوس منزع ، فأوضح الصنعة ، والمراد بأوجز عبارة

وتعرض لهذا الموضوع المرحوم الأستاذ العلامة أحمد تيمور باشا في كتابه (التصوير عند العرب) ، كما تعرض له الدكتور زكي محمد حسن في كتابه (كنوز الفاطميين) ، وعرف الاتصال بالتنقيش والتصوير والسذاجة ، وفي تاج العروس ما يؤيد قول الصفدي

وهنا المراجعات العلمية أوضحت تعيين اللفظ العربي والمعرب ، وأن لا نتجاوز في الأخذ بما يعد مصطلحاً فكان الخصام يدور حول الاستعمال الأدبي وقد رأينا احياناً مصطلحات فقهية ونحوية وغيرها تدخل الشعر ... ويعاب في الغالب على أرباب العلم أو الصنعة أن يستقلوا بألفاظهم فيتخذوها لسان الأدب ، أو أن يجعلها الأديب لسان أدبه ، اذ للمصطلح لغة خاصة

نكرشوا وطرطشوا :

وقال الصفي الحلي :

« انّ العلوق جميعهم قد نكرشوا ورجّنوا وتقبّحوا وتوحّشوا[1]

قد أحسنوا في النتف لكن ماحوا تلك الخطوط به ولكن طرطشوا

فلا أدري أي الألفاظ العامية فيها أعدّد أأعدّد ما في البيت الأول أو البيت الثاني وأما لفظة نكرشوا وطرطشوا فلم ينطق بها عربي أبداً وهذه لغة ناظمي الأزجال والمواليا » اهـ

(١) ان هذا البيت والذي يليه لم اجد لهما اثراً في ديوان ابن سناء الملك ،

قال الصفدي :

« قد مرّ الجواب عن استعمال مثل هذه الألفاظ مع تسليم كونها غير عربية ... والظاهر أن اصل نكرش تكرّش لأن العرب تقول تكرّش وجهه اذا تقبّض ، وكأن الانسان اذا أسنّ تكرّش وجهه وتقبّض وصارت فيه غضون لا تليق بالغصون كما يكون في الجبين المغضّن على أن لفظة (نكريش)[1] بالأعجمي[2] معناه (ذقن جيد) ، الى أن قال وقوله وهجنّوا تقول العرب ان هجين الأمر تقبيحه وقوله تقبّحوا عربي فصيح وهو تفعلوا من القبح وقوله توحّشوا لفظة عربية قال الجوهري جاءني أوحاش من الناس أي سقاطهم وقوله النتف عربي فصيح فثبت بذلك ان ما معه في البيتين من الألفاظ الخارجة عن كلام العرب إلا نكرشوا وطرطشوا وما يقال في لفظتين ما أدري ما أعدّ . أعدّ ما في الأول أم ما في الثاني ، ولكن التعصب يؤدي الى التغضب ، والتحامل ينهي بصاحبه الى التخامل ، وما أحسن قول ابن سناء الملك :

قد احسنوا في النتف لكن ما محوا تلك الخطوط ولكن طرطشوا

ان هذا المعنى حسن فيه غوص وابداع لأنه جمع فيه جميع الألفاظ التي يتداولها صغار المكاتب من قولهم محا لوحَهُ وطرطش لَوْحي وخطيّ ... »

الفاظ أخرى :

وهكذا مضى الحلي في نقد ألفاظ أخرى واستمر الصفدي في الاجابة فاعترض الحلي على (التمنيق) في بيت لابن سناء الملك ، فسلم الصفدي بانه غير وارد في اللغة ، ولكنه تمسك بجواز القياس ثم مضى الى استعمال لفظة « الشلاق » ، وهي من المعربات ، وهل يجوز استعمالها دائماً أو يقتصر على ما جاء في ألفاظ أكابر الأدب مثل لفظ النوروز والمهرجان وغيرها ؟ ثم ذكر ألفاظاً لم يجر العرب عليها باطراد بل في شذوذ مثل

(١) اصلها نيك ريش

(٢) بالاصل وردت بالعجمي

(هذاك) أما الصفدي فانه لم ير بأساً فيها

وهذه الأمثلة لا تعين اللفظ العامي ، أو المعرب بل تناولت ألفاظاً عربية ، وذكر مواطن اتساقها من ناحية الفصاحة مما هو معلوم في علم البلاغة

فساد المعنى واضطراب التركيب :

« قال الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى وأما ما أخرجوا له من فساد المعنى واختلاف تركيبه فكثير جداً كقوله في مليح أصابه يرقان :

قالوا غـــدا اليرقان ملء جفونه ... وبدونه يدنو ســلوّ الأنفس

فأجبتهم كيف السلوّ وانما ... في اليوم قد كملت صفات النرجس

فما كفاه ان جعل اليرقان في الأجفان وانما هو في بياض العين حتى جعل ما في النرجس من البياض أصفر ، وما فيه من الصفار أسود وأخلى النرجس من البياض وجعله أصفر بين أسودين ولولا اشتغاله بألفاظ العامة وتراكيبهم لما فاته مثل ذلك

أقول : لا يلزم من قوله ملء جفونه أنه في نفس جفونه وانما أراد بذلك أن اليرقان ملء ما بين جفونه كأنه قال ملء عيونه ، وقوله جعل ما في النرجس من البياض أصفر ... لا يثبت على محك البرهان ، وقد سامحت العرب أشياء كثيرة من هذا النوع ، انهم يطلقون الشيء على ما يجاوره ... ولم ينكر ذلك أحد عليهم وعدوه من المحاسن ... والشاهد على هذا كثير . على أن ابن سناء الملك رحمه الله تعالى ما ادعى صفة اليرقان للنرجس هو وحده ، ولا هو الذي اخترعه ، فهذا ابن الرومي وهو ممن لا يدافع قوله في التشبيهات يقول في هجو النرجس :

أنظر الى نرجس تبـدّى ... يوماً لعينيك منـه طاقه

واكتب لشأني مشبهيـه ... بالحمق في دفـتر الحماقـه

وأي حسن يُرى لعين | مع يرقان يحل ماقه
كُبْريتة ركبت عليها | صفرة بيض على رقاقه

وقول أبي بكر الصنوبري يفضل الورد على النرجس :

زعم الورد أنه هو أزهى | من جميع الأزهار والريحان
فأجابته أعين النرجس الغض | بذلّ من قولها وهوان
أيما أحسن التورد أو مقـ | لة ريم مريضة الأجفان
أم فماذا يرجو بحمرته الور | د إذا لم يكن له عينان
فزها الورد ثم قال جئتنا | بقياس مستحسن وبيان
ان ورد الخدود أحسن من | عين بها صفرة من اليرقان

وابن سناء الملك من هنا أخذ قوله وإيّاه قلد ...

قال الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى وقوله :

أكمن في كمي دموعي حياً | فهل سمعتم انّ كمي كمين

والدمع هو الكمين لأنه فعيل بمعنى فاعل مثل قدير وعليم ورحيم ، فالدمع هو الكامن في الكم بدليل قوله اكمن في كمي دموعي حياً والكم هو الموضع المكمن فيه ، ثم قال كمي كمين ، وأضاف الى ذلك فساد اللفظ بقوله أكمن ، ولم يرد للعرب إلا كمن بغير الف .

فقد جمع في هذا البيت عدّة عيوب مع أن لفظه مضطرب ، وهو خلو من البلاغة

أقول (القول للصفدي) :

قد تقدّم الكلام أن الشعر لايثبت نقده على محك البرهان

والشعر لمح يكفي إشارته | وليس بالهذر طوّلت خطبه

... ومن ذلك مثل قوله تعالى : « فقبضت قبضة من أثر الرسول » والتفسير أن السامري قبض قبضة من أثر فرس الرسول .. »

وذكر توجيهات لما أورده الصفي ...

« قال الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى وقوله في المدح :

تفضّل منك أغلى بيام قيمي ومنّة منك أغلتني لهم قيما

فالمفهوم من صدر هذا البيت هو المفهوم من عجزه بعينه لفظاً ومعنىً ولم يغيّر في لفظه سوى التفضّل بالمنّة ومعناها واحد ، فلا فائدة في هذا العطف لكونه عطف الشيء على نفسه وهذا لايفوت من هو دونه

أقول :

ليس الأمر كما ادّعاه ابن سناء الملك لم يقله كما قاله هو ، وانما هو حرّفه عليه ، أو الناسخ غلط ووهم فصحّف وحرّف ، فان كان الناسخ وهم فله العذر في ذلك إذا كان مثل صفي الدين الحلي وهم فيه والذي أعرفه أنا من هذا البيت انه :

تفضّل منك أغلى بينهم قيمي ومنة منك أعلتني لهم قمما

فالأول أغلى بالغين معجمة وقيمي بالياء آخر الحروف جمع قيمة والثاني أعلتني بالعين مهملة من العلو وقمماً بميمين جمع قمّة .

فحينئذ هذا البيت كله بديع ، ومعناه من ألطف المعاني وأمدحها فهو عكس ما أراده الشيخ صفي الدين ... ولو فرض ان البيت كما ادّعاه الشيخ صفي الدين لأمكن الجواب عنه »

وهكذا مضى في تفصيل المباحث ، وأورد شواهد وأمثلة لتبرير ما قاله ابن سناء الملك وتوجيه ما توجه اليه من نقد ...

ثم إنه كتب رسالة في توجيه ما وجده من نقد في مصر موجه على ابن سناء الملك ، فجعل غالبه ناجماً من تصحيف شعره جعلها ذيلا على كتاب الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك بعنوان (تلاوة لذلك وعلاوة عليه) وادله ضمنها ما أراد .

وهذه قد كتبت بعد ذلك الكتاب وهي جديرة بالاهتمام وليس الغرض أن أقص جميع ما في الكتاب أو ما في تلاوته وعلاوته وغالب ما اعتذر الصفدي به لابن سناء الملك قوله : انه ورد الشعر بوجه آخر مما يدعو الى (تصحيح النقل) وقد وضح مجرى النقد والانتصار

وفي هذه الأيام لا تزال المناقشة قائمة بين الأدباء في مثل هذه الأمور . فهؤلاء كلهم متفقون على استعمال الفصيح في اللغة ، وعلى مراعاة حسن التأليف في التركيب مما يدلنا على خطأ رأي القائلين باستعمال العامية . والاكثار من المعربات

ومن الأدلة المسرودة يظهر ان الصفي الحلي قوي الحجة في نقده ، لايقل عن نده، وكان حريصاً على اللغة أن يدخلها ما يفسد صفوها وبهاءها ، ولا نزال نرى الأمم في تعصب للغاتها في الشرق والغرب . فتسعى لتنقية ألفاظها ، وتراعي لهجتها ، ولا تزيغ عن تلفظها بوجه الصواب وهكذا نرى الصفدي عظيماً في توجيهه الأدبي، وانتصاره لابن سناء الملك الذي تواتر عليه النقد من أفاضل كثيرين في الأدب

٦ — كتاب الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم :

هـذا الكتاب من أجل كتب الأدب يحوي استعراضاً في (التاريخ الأدبي) ، وفي (النقد) ولم يتصد مؤلفه المؤرخ الأديب الصفدي لنقد خاص بأحد ما

وجعل هذا الشرح للقصيدة المعروفة بلامية العجم واستهل كتابه بقوله « أحببت أن أضع عليها شرحاً يزين جيدها (فرائد) وقصيدها (فوائد) ولا أغادر فيهـا لغة ولا إعراباً ، ولا ايضاح معنى ولا إغراباً ... هذا الى ما يستطرد اليه الكلام من نكتة ، وتعترض جملة (تذكر) بغتة ... ليكون هـذا الشرح انموذج الأدب ، وعنواناً يدل على الفضيلة التي امتاز بها لسان العرب فقد اودعت فيه فوائد جمة ، وقواعد مهمة وشواهد

هي لجامحات المعاني أزمة [١] ... » اهـ

كان وافياً بالحاجة مع الاختصار كفيلاً بالبيان وان لم يراع الاطناب فهو صفحة تنبيء عن نموذج العصور وصفوة الآداب ومجمل تاريخها ، نأبان عن معنى الأدب ، والذوق الأدبي ونقل أقوالاً وافية للجاحظ وابن قتيبة وما قاله صناديد الأدب في الأدب ووصاياهم فيه فأبدع في النقل والقول ، فتجلت موهبته في الأدب والصنعة

بدأ بترجمة حياة الناظم وهو العميد مؤيد الدين فخر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي ثم شرح معنى الطغراء ... فتجلت القدرة التاريخية بارزة للعيان وسار في الأدب بتحقيق وتدقيق بل بعناية وعناء كأنه كشف عن أدبه المكتوم وأبان عن كامن قدرته ابانة لا تنكر قيمها ، ولا يصح أن يهمل شأنها

اتخذ موضوع أدبه نهجه فلم يترك نظمه ولا نثره ولعله أراد ان يشرح جميع ثقافته ويوضح حتى ما قيل في الكيمياء ونسبها اليه . والمعارضات لها ، وأورد :

أعيا الفلاسفة الماضين في الحقب ... ان يصنعوا ذهباً الا من الذهب

أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة ... الا من الفضة المعروفة النسب

فقل لطالبها من غير معدنها ... أضعت نفسك بالتنكيد والتعب [٢]

والموضوع بيان أدب أديب ، والمهارة في التصرف الأدبي ، وما يعوز من مظان مما له علاقة لجعله مجموعاً وافياً وثروة أدبية خالدة ... أحيا بأدبه ذكر الطغرائي ، وخلد شعره ، وعيّن منزلته بين الشعراء والأدباء المعاصرين له أو قبل عصره لجاهلي أو اسلامي وأفاد في علاقاتنا بالأدب العربي ومختاراته كثيرة جداً ، هي انتقاد أديب ، لا يستطيع إيرادها أو

(١) الغيث الذي انسجم (الغيث المنسجم) في شرح لامية العجم ص ٣ المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هـ وهذه الطبعة خالية من التحقيق والتدقيق ومثلها طبعة المطبعة الوطنية في الاسكندرية سنة ١٢٩٠ هـ .

(٢) الغيث الذي انسجم ص ١١

جمعها غير أمثاله ثم يوضح ما في المقامات أو يتنـاول التعليق على ديوان لا نستغني عنـه فان السبق كان نصيب من كان سابقاً في مجال الأدب والتفوق شأن الحائزين على العـلم الوافر والحظ العظيم

تطرق للعروض والأوزان ونقل عن العلامة شمس الدين محمد بن سـاعد الأنصاري انه لا يبعد أن يكون الخليل أخذ عروضه من اليونان وتبسـط في ذكر نوادر عليه ، وتعرض للنقد والبلاغة والنحو ... وفي كل هذا كانت مادته خصبة ، ومباحثـه طلية مرغوباً فيها وتعد بحق إجمالاً لتاريخ الأدب العربي ومطالب نافعة اتخذ الاستطراد فيها وسيلة للترويح عن النفس لئلا عل قارىء الشرح . ولا يضجر د استعراض أدباء العصور ، وأحياناً يذكر ما يسمى احماضاً ربما كان السبب في بقاء هذا الـكتاب متداولاً

هذه المجموعة لم تكن في ظاهرها أدباً معاصراً الا انها تكشف عن قدرة هذا الأديب الكامل بل تزيد أحياناً العلاقة العلمية بالأدب ، ينقد الشعراء والأدباء عند تسرب الخلل وظهور الزلل ... ويزيد على نقـده الأدبي الخاص بالألفـاظ وانسجامها والمعاني واتصالها وصفوها ...

نرى هذا الأثر الجليل تناول النقد الأدبي واللغوي والنحوي والبياني ولم يقتصر على المنظوم وما فيه من صنعة أدبية ، بل تناول المنثور وما فيه من مزايا ، فكأنه استوعب وجوه الأدب ، وذكر غرره لأدبائنا وشعرائنا كما أورد نماذج من شعره وفي عمله هذا يبدي أدب المعاصرين واضحاً ويعين مكانتهم بوجه لائق وممن تعرض لهم :

١ — الشيخ صفي الدين بن سرايا الحلي

٢ — الشيخ مجد الدين محمد بن أحمـد بن عمر المعروف بابن الظهير الاربلي الحنفي وذكر له أبياتاً [1]

(١) كتاب الغيث الذي انسجم ج ١ ص ١٥٢

٣ — الشيخ الامام الأديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود ... ذكر له من الشعر الشيء الكثير وذكر له كتاب حسن التوسل

٤ — الشيخ أثير الدين أبو حيان ، من العلماء وشاعر أيضاً

٥ — جمال الدين محمد بن محمد بن نباته [١]

٦ — ابن دانيال الموصلي

٧ — شرف الدين علي بن جبارة

ولم يترك علاقته بعلماء اللغة ، ولا بالأدباء الآخرين فذكر في خلال مباحثه بيتي الحريري :

سِم سِمَةً تحمد آثارها | واشكر لمن أعطى ولو سِمسِمَه
والمكر مهما اسطعت لا تأته | لتقتني السؤدد والمكرمه

وذكر نموذجاً من هذا القبيل وان للصاغاني مجلدة في معارضة البيتين [٢] ولأبي البيان نبا بن محمد بن محفوظ الدمشقي العالم اللغوي شيخ الطريقة البيانية المتوفى بدمشق في غرة ربيع الأول سنة ٥٥١ هـ ـ ١١٥٦ م قصيدة نظمها على هذا النمط ثم شرحها وكان الدافع له على ذلك تجرؤ الحريري البصري ومبالغته في الدعوى حيث جاء في المقامة الحلبية :

« فقال له : انشد البيتين المطرفين ، المشتبهي الطرفين ، اللذين اسكتا كلّ نافث ، وأمنا ان يعزّزا بثالث ، فقال له اسمع لا وقِر سمعك ، ولا هزم جمعك وانشد من غير تلبّث ولا تريّث البيتين المذكورين » وكأنه أراد أن يلفت الأنظار الى أن الأدب بأجمعه ثروة الأمة ، ولا ينبغي أن يكون مقصوراً على عهد من عهوده ، فلا يترك أدب أديب ، ولا يهمل الشؤون الأدبية وان الروح الأدبي ذا الصنعة هو صاحب التقدير

(١) كتاب الغيث الذي أنسجم ج ٢ ص ١٣

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٥٦

للفروق الأدبية دون التحليل العلمي ، فلا يزاحم الأدباء في الحكم وللمارسة حقها

وتفضل هذه المجموعة بألوان أدبها وتاريخه وان كان امثالها من شروح لامية العرب وغيرها لا تخلو من فوائد إلا أن فوائد هذه جمة واختيارها بالغ حده ، بل أن ثقافة صاحبها وقدرته الأدبية جعلت لها هذه المكانة ، فلم يترك مناسبة إلا أورد لها ما شاء أن يورد من أدب متصل فكأن الأدب طوع ارادته كأنه مخزون في حافظته يختار منه ما شاء متى شاء

وهذه المجموعة اكتسبت رواجاً ومكانة ، ورغب فيها الأدباء ، فكانت من خير الثروات الأدبية وصارت واسطة للاتصال بالموضوع الأدبي وفي الموصل عدة نسخ منها نسخة في الخزانة الحسنية كتبت سنة ٨٧٣ هـ وفي خزانة يحيي باشا نسخة كتبت سنة ١٢٠٨ هـ [١] وفي دار الكتب الوطنية في طهران نسخة كتبت سنة ٨٦٨ هـ [٢]

وفي خزانة المتحف العراقي نسخة نفيسة كاملة فيها تذهيب وتلوين ، كتبها عمران ابن محمد المغربي سنة ١٧ ١ هـ وأخرى نفيسة وقديمة كتبت في حياة مؤلفها تقع في جزئين ضمن مجلد واحد ونسخ أخرى [٣] .

ومنه نسخة خزائنية وأخرى ناقصة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد ونسخة كتبت سنة ٩٨٢ هـ في خزانة الأزهر مع نسخ أخرى [٤] واختصره جماعة من العلماء منهم :

١ — كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى الدميري المصري ، ولد سنة ٧٤٢هـ - ١٣٤١م وتوفي سنة ٨٠٨ هـ — ١٤٠٥ م أتمه في أربعة أيام سنة ٧٦٩ هـ منه نسخة في خزانة مجلس

(١) مخطوطات الموصل ص ١٣٤ و ٢٢٩

(٢) مجلة المخطوطات العربية ج ٣ ص ٢٥

(٣) مجلة سومر ج ١٤ ص ١٧٦ من مقال للأستاذ كوركيس عواد

(٤) الكشاف ص ١٦٥ وفهرس خزانة الأزهر ج ٥ ص ١٩٦

الأمة الايراني بخط محمد بن ابي بكر السمنودي من تلامذة المترجم مؤرخة سنة ٨٠٥ هـ وعليه اجازة بخط المؤلف [١] ونسخة أخرى كتبت سنة ١٢٤٥ هـ

٢ — جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي المولود ليلة النصف من شهر شعبان سنة ٨٦٩ هـ ـ ١٤٦٥م والمتوفي بالهند ليلة العشرين من شهر شعبان سنة ٩٣٠ هـ ـ ١٥٢٣م وسماه (نشر العلم في شرح لامية العجم) أوّله : الحمد لله الكريم المنان المنعم بالايجاد والاحسان ...

واقتصر فيه على ما يتعلق بشرح القصيدة وحل غريب لغاتها وتوضيح معانيها وكان يظن أن المقصود أمر علمي وأنه يجب أن يقتصر على الحاجة ، فلا يتجاوزها في حين ان تكثير الأمثلة والاستطراداب خير ممارسة وتمرين على الأدب للتمكن والتضلع فيه وهذا الاختصار أزال صفوها وأحبط أمل مؤلفها وغايته من وضعها وقد أخل بالكثير مما أراده الصفدي وحذف منها ما عده فضولاً ولكنه لم يدرك المغزى بل أهمله وأضاع الغرض والقصد العظيم الذي قصد ، ومهما كان فليس من الانصاف أن نقتصر على بعض ما فيه دون بعض

منه نسخ خطية فيدارالكتب المصرية وطبع في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٩ هـ و١٣٢٠ هـ [٢] وفي المطبعة الكستلية سنة١٢٨٣ هـ و ١٢٩٣ هـ ضمن مجموعة وعنديمخطوطة منه ومنه نسخة ضمن مجموعة في خزانة السيد اليزيد بن صالح حاكم تطوان [٣] ونسخة في خزانة المتحف العراقي مؤرخة في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢١٥ هـ

ورد عليه الدماميني في كتابه نزول الغيث وسيأتي بحثه

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ٣ ص ٤٢

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٤١١

(٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ١ ص ١٨٢

٧ — نصرة الثائر على المثل السائر :

تأليف الصلاح الصفدي منه نسخة في خزانة المرحوم الأستاذ أحمد تيمور باشا وهذا الكتاب ولد حركة فكرية تجاه تال من المثل السائر والفلك الدائر وسبق ان ذكرنا المؤلفات المتعلقة بهذين الكتابين من نقد وتأييد فلا نعيد القول ثانية ..

٨ — خبر الشعر :

تأليف جمال الدين أبي بكر محمد بن محمد المعروف بابن نباتة المصري ولد بالقاهرة سنة ٦٨٦ هـ — ١٢٨٧ م وتوفي سنة ٧٦٨ هـ — ١٣٦٦ م الكاتب الشاعر وهذا الكتاب في مخترعاته وما سرق منها ويشير فيه الى سرقات الصفدي منه [1]

٩ — الحجة في سرقات ابن حجة :

تأليف شمس الدين محمد بن حسن النواجي المصري ولد سنة ٧٨٥ هـ — ١٣٨٣ م وتوفي سنة ٨٥٩ هـ — ١٤٥٤ م وابن حجة هو تقي الدين أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي المولود بحماة سنة ٧٧٧ هـ — ١٣٧٥ م والمتوفى سنة ٨٣٧ هـ — ١٤٣٣ م منها نسختان في خزانة الأزهر [2]

١٠ — ردول الغيث :

التتبع الأدبي حرّ والآراء فيه تابعة للمواهب وكل أديب يدقق الأدب حسب اتجاهه ومقدار علمه ... والأمل معقود في أن ينال التمحيص حقه واختلاف وجهات النظر فيما يتطلبه الأدب في أصوله ومزاياه ونقده ، فينال حظه من تراثنا الأدبي في الدرجة الأولى ، ولا يهمل الاستفادة من آداب الأمم لتتسع آفاق الثقافة الأدبية وهذا جلّ ما يهدف وغاية

(١) هدية العارفين ج ٢ ص ١٦٤

(٢) فهرس خزانة الأزهر ج ٥ ص ٦٩

ما نبتغي ، فيؤدي الى حركة فكرية من طريق التاريخ الأدبي ونقده

وكتاب « نزول الغيث » تأليف بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميني العالم النحوي فرغ منه في ١٩ شهر ربيع الأول سنة ٧٩٥ هـ وكانت ولادته بالاسكندرية سنة ٧٦٣ هـ — ١٣٦١ م ووفاته في شعبان سنة ٨٢٧ هـ — ١٤٢٤ م تناول كتاب (الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم) للشيخ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي فأوسع القول فيه وتصدى لنقده وناقش . وطرق فيه مطالب غزيرة في مادتها العلمية والأدبية بالرغم من ضيق مباحثه إلا ان فوائده جمة وعلمه وافر وسمّى كتابه « نزول الغيث » لأنه أنزل مباحث الصفدي الى الحضيض ، وأوقعه من اعتراضاته الأدبية في الطويل العريض . حسب تعبيره ثم أطال في تسمية لامية العرب وما يقابلها من لامية العجم ثم علّق على بحث مبهم في العروض يدل على تمكنه منه [1] ونقد ابن حجّاج في انّ شعر الورى كان صحيحاً قبل أن يخلق الخليل بن أحمد . وغلّط الصفدي في الزحاف وأخذ عليه في قوله :

اصالة الرأي صانتني عن الخطل   وحلية الفضل زانتني لدى العطل

ان تاء التأنيث الساكنة في صانتني فاعل . ولم يجعلها علامة التأنيث ، فقال : إن هذا قول بعض النحاة إلا أنه على خلاف رأي الأكثرين المعوّل عليهم ، وكرر القول فيها عند الكلام على قوله :

إن العلى حدّثتني وهي صادقة   فيما تحدث أن العزّ في النُقَل

فبيّن الأستاذ الصفدي أنها (علامة التأنيث) ولم يجعلها فاعلاً بل قال : إن الفاعل ضمير مستتر فلم يجعل هذا مصححاً فيه لما ذكر سهواً أو عمداً لابداء الآراء ، فاستعمل

---

(١) ألف في العروض (جواهر البحور) ثم شرحه بكتابه (معدن الجواهر)

تاء التأنيث الساكنة فاعلاً في حين أن الصفدي كان قوله الأخير مصروفاً الى أنها علامة تأنيث وصاحبنا أصر في محاولة أن يبدي خلافاً ، فكانت هذه المحاولة فاشلة .

ثم أورد عليه ما اقترحه في (بيت البحتري) في توجيه النظم الى نوع من أنواع البديع ورجّح ان تبدل بعض ألفاظه بغيرها ليظهر أثر الصنعة الأدبية فأبدى الدماميني أن هذا تابع لرغبة المتأخرين ، وان البلاغة مراعاة مقتضى الحال لما كان أيام البحتري فكان صواباً ولنقده هذا قيمته الأدبية ولا نزال نرى كثيرين ساروا على طريقة الصفدي ، ولم يعبأوا بالزمن وأدبه الشائع في حديثه والأدب القديم ووجوه استعماله فان أيام العماد الاصبهاني والقاضي الفاضل ، وابن حجة الحكاي غير أيام الجاحظ وابن المقفع وأمثالهما في أدب العصر الذي كانوا فيه والفروق بينه وبين عصر أولئك ، ومن بعدهم أمثال ابن حبيب وابن عربشاه ، والصفدي نفسه ولعل الاعتياد والإلفة مما أوقعا في الغلط .

وهكذا تكلم في حسن التعليل المسمى عند بعضهم (بالتذييل المثالي) وناقش المؤلف فيه وضرب الأمثلة الموضحة . فكانت خير ما يستشهد به وتدلّ على غزارة علم ومما ذكره الصفدي ان الجمع لا يوصف الا بما يوصف به المفرد من الجمع بالمفرد ومثله المثنى أو كما قال الدماميني من أنه اذا وصف المثنى أو الجمع بشيء فلا بد أن يكون مفرد الصنعة صالحاً لأن يتصف به مفرد المثنى أو الجمع ، فاختلف الواحد عن الآخر في الوجهة التطبيقية فقد ذكر الصفدي ذلك بمناسبة البيت :

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني بالمح من خلل الأستار والكلل

وأورد الآية « وأخر متشابهات » ومضى على هذا المنوال وكان الصفدي اشترط عذوبة الألفاظ ، وأنها أمر مهم في البلاغة فعارضه المؤلف في محل استعمال الغريب والوحشي المتوعر مع التسليم بما ذكر . وهكذا بيّن محل استعمال (لا) النافية

للجناس ، وذكر مذاهب النحويين في وجود نحوية عـــديدة ، وأورد اختلافهم فيها والمفروض ان الأديب مستكمل العدة فيها وغلطه نده في (ناء عن الأهل) وان أصله (نائي) ولم يكن كما ذكر من مثل جاء وشاء ... والمسألة صرفية ، ويظهر أن القول قول الناقد وان الحق معه دون الصفدي إذ لا ضرورة الى تمحلات بعيدة

وغلطه في مسائل نحوية وصرفية عديدة وهي من اختصاصه وابدى تقصيره ، وأكد أن توجيهه لم يكن في محله من هذه المسائل ... وذكر من النحويين شمس الدين الاصفهاني والتاج التبريزي وأورد شرحها على الكافية وغلطه في اللغة في معنى (سائر) مبيناً ان الجوهري اذا انفرد لا يقبل قوله ما لم يؤيده آخر ، وهذا ما نقوله دائماً من ان الصحاح والقاموس قـــد جرت عليها تصحيحات واستدراكات ونقد فأهملنا ذلك ، وجدنا على كتاب بعينه

والملحوظ أنه تحامل تحاملاً منكراً في مواطن مثل قوله : « لو استحي هذا الرجل ما سطر بقلمه في الكتب هذه الفضائح » ويريد الأدب المكشوف وقوله « هـــكذا يكون الأدباء العارفون بلغة العرب لمعنى الحقيقة والمجاز ... ؟ » اه في محل الاستهزاء ، وقوله : « وهذه سقطة لا يغسل دنس عارها البحر » اه

ولا حاجة بنا الى ايراد كل ما قال ، كما أنه ليس من الصواب الاعتذار له وقد قيل قديماً « مناظرك نظيرك » فلم يكن للطعن فيه وجه والمرء لا يكون معصوماً من غلط ، ولا يؤاخذ بهذا العنف مما لا نعتقد بصحة ما قال الدماميني أو ما قال نده وكل احد يؤخذ من اقواله ويرد في مثل هذه المباحث

ولعل السب والشتم من بعض المعاصرين مقتبس من أمثال هذا ، وإلا فلا نستطيع ان نعدّ منهم ذلك طبيعة ولا يصح بوجه ان نقول : إن النهج الأدبي يقتضي الســـب ، والأدب بمعناه العام يمنع قبول ما هو خلاف الأدب

ويهمنا التنبيه على بعض ما وجد من نقص أو غلط نقطع بصحته مهما كان منشؤه .
والملحوظ أنه أراد أن يظهر قدرته ، فاتخذ ذلك وسيلة ولكنه لم يلتفت الى قيمة كتاب الصفدي النفيس في الأدب العربي وتاريخه . والنقد ومكانته ، فلا شك أنه كان أكثر صلة بالأدب ومزاياه من الناقد ، فجاء التحامل عليه منتقداً بل لو لم تكن له إلا معرفة العلاقة التاريخية لكفاه فضلاً الدلالة على ادبه الغزير . وفضله الكبير ، ومقدار علمه الوافر وهذا ما لا يقتضيه واجب الذمة في النقد وربما كان مبناه الاعتقاد بصحة ماذهب اليه المؤلف الذي توجه عليه النقد وفي هذا نكران للمكانة الأدبية فمن الضروري النظر اليها كالنظر الى تلك بمقياس متساو بل أكثر ...

وهبنا علمنا أن له أخطاء أو أغلاطاً فهذه لا تخل بمكانته ولا تؤدي الى التقليل من شأنه كما اننا لا ننكر فضل الناقد ويلاحظ هنا : أن النقد متوجه على ما يخص الأغلاط النحوية والصرفية واللغوية دون النقد الأدبي كما هو الشأن فيه أيام العصور العباسية ومن ثم روعي هذا النقد وحده دون غيره واستمر في حين أن النقد الأدبي اكتفي فيه بما جاء في كتب البلاغة

ونزول الغيث منه نسخة ناقصة الأول بخط المؤلف ضمن مجموعة في خزانة الدكتور داود الجلبي وجاء في مخطوطات الموصل (وبعد ختام الكتاب تأتي صفحة بخط مغربي جميل وإذا به خط ابن خلدون وقد قرض الكتاب بقوله « الحمد لله وقفت على هذا الكتاب ، روضة المنتاب ، ونزهة المجتاب ، وشفاء الجاهل والمرتاب ؛ والكفيل لغريم الفوائد بالرضى والأعتاب واذا البحر يعب عبابه ، والتنقيح الصريح قد تمخض لبابه ؛ والفخر للفئة العلمية قد تظاهرت اسبابه ، وروض المعارف ذو الظل الوارف قد استجد شبابه ، وطور الكمال للفكر الانساني ، والعلم اللساني ، قد انفتح بابه ، وما لساحب هذه الأردان والسابق في هذا الميدان . ان لا يكون له بالفخر يدان . ويشمخ بأنف بني

عبد المدان ، فيبعد في جو الكمال بمنظاره كتبه محبه العارف بكماله عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وفقه الله وأعانه على الانصاف والاعتراف عنه وجوده » ويظهر الورقة تقريض آخر لأحمد بن محمد السبتي المالكي وبخطه أيضاً ثم يأتي تقريض ثالث آخره ناقص [1])

وعندي نسخة من هذا الكتاب مؤرخة في ١٨ من شهر رمضان سنة ٨٧٨ هـ بخط عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد المغربي السبتي وعليها اعتمدت في بحثي

هـذا ما أمكن بيانه في النقد الأدبي وتاريخه وذكر مصادره وما جرى أخيراً على الاستاذ الصفدي من نقد وقع من الاستاذ الدماميني ولم يقف الأمر عند هذا الاستاذ بل تناوله آخرون فكان نقدهم قاسياً ومنهم أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمساني المعروف بابن أبي حجلة صاحب التصانيف العديدة ولد سنة ٧٢٥ هـ ـ ١٣٣٤م وتوفي في سلخ ذي القعدة سنة ٧٧٦ هـ ـ ١٣٧٥ م قال في نقد الصفدى :

إن ابن أيبك لم تزل سرقاته   تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه   جهلاً فراح كلامه في الريح

وامثال هذا يدل على حنق سواء من ابن نباتة أو من الدماميني أو من غيرهما والانظار تختلف وقد تكون من محب مفرط أو من عدو مبغض ...

عباس العزاوي

(١) مخطوطات الموصل ص ٢٢٨ للدكتور داود الجلبي المتوفى في الموصل بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٦٠ ومنه نسخ في دار الكتب المصرية الفهرس ج ٣ ص ١٠ :

البحث العلمي عند العرب المسلمين

انصب معظم بحوث المحدثين في تأريخ العرب على الناحيتين السياسية والأدبية. أما النواحي الأخرى من نواحي الحياة، ولا سيما الناحية العلمية، فلم تحظ إلا بعناية قليلة، مع أنها ليست بأقل خطورة منها من الناحية السياسية أو الناحية الأدبية لأمة ما ولهذا كان علمنا بالبحث العلمي وباشتغال العرب المسلمين بالعلوم ضئيلاً ساذجاً، وأكثره من النوع العام الذي لا يستند الى دراسات نقد وتحليل ومقارنات ومقابلات مع الأصول القديمة فجاء فجّاً ناقصاً. لا يقدم مادة في تأريخ تطور العلم، ولا رأياً في درجة تقدمه ومقدار صفائه عند العرب المسلمين

وحينما أقول : العلم، أقصد ما يقال له « Science » في الانكليزية من أصل كلمة « Scientia » اللاتينية و « Wissenschaft » في الألمانية. ولهذا لن أتحدث هنا إلا عن الموضوعات التي يدخلها أبناء هذا اليوم في هذا الإطار، كالكيمياء والصيدلة والفلاحة والرياضيات والفلك وأمثال ذلك. وسأحصر كلامي هنا في التحدث عن الكيمياء والفلاحة

هذا، ولا بد لي، قبل الدخول في الموضوع، من الإشارة الى أن من أهم أسباب جهلنا بتأريخ تطور العلم وتطور بحوثه عند العرب المسلمين هو قلة المطبوع من كتب العلوم العربية القديمة، وسقم أكثر المطبوع من حيث التحقيق والاخراج وكثرة الخطأ فيه. وانصراف أكثر المحققين والناشرين للمخطوطات عن تحقيق المخطوطات العلمية والحرفية وميلهم الى تحقيق الكتب التأريخية والأدبية، وهي كتب يكتب لها البيع

والانتشار بسهولة ، فبقي معظم كتب العلم مخطوطاً مختبئاً في زوايا المكتبات لا يعرف عنه إلا القليل

وهذا مما حرمنا الوقوف على الحركة العلمية عند العرب وقوفاً صحيحاً واضحاً وللتغلب على هذه المشكلات وأمثالها لا بد من قيام المؤسسات الثقافية الرسمية وشبه الرسمية في الأقطار العربية من بعث المخطوطات العلمية بما لها من قدرة مادية وعلمية ومعنوية ، واسناد ذلك كله الى أعضائها العلماء أو الى العلماء المتخصصين بتحقيق المخطوطات والعلماء المتخصصين في المادة التي تخصها المخطوطة بدراستها من النواحي اللغوية والاختصاصية وتحقيقها تحقيقاً علمياً مع دراسة تحليل ونقد ، ليكون إخراج الكتاب كاملاً مفيداً للمؤرخين والباحثين والمطالعين ، وبذلك يكون في وسع المؤرخ الاستناد الى مثل هذه المراجع في ابداء رأيه في الحركة العلمية عند العرب المسلمين

ولما كان التراث العربي العلمي نتاج جهود علماء جميع الأقطار العربية والإسلامية ، وكان ذلك يحتاج الى وضع خطة موحدة بين المؤسسات العلمية والثقافية في نشر المخطوطات وتحقيقها تحقيقاً علمياً دقيقاً صحيحاً ، فمن الواجب مراجعة دائرة نشر المخطوطات في الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية عند إقدام أية جهة حكومية في البلاد العربية، على نشر مخطوط، للاستئناس برأيها في هذا الموضوع ، ولإبلاغ الجهات المعنية بنشر المخطوطات في البلاد العربية أو الأجنبية بذلك ، لتكون على علم وبينة من الأمر ولوضع خطة علمية موحدة على أساس توزيع العمل ، بقيام كل قطر عربي بنشر ما يخصه نشراً علمياً دقيقاً ، وبذلك تتوحد الجهود العلمية والثقافية العربية في هذا المضمار

والمطبوع الموجود بين أيدينا من تأريخ تطور المعرفة عند المسلمين ، وابتداء اشتغالهم بها في جميع حقولها وأبوابها من علم وأدب وفن وصناعة ، يرينا أن المعنيين بتدوين تأريخ العلوم والآداب والفنون والصناعة كانوا قلائل ، وأنهم لم يتوسعوا في البحث ولم يكتبوا فيه بسعة واحاطة ، وان هذا الموضوع لم يكن قد خطر ببالهم إلا بعد مدة من اشتغال

المسلمين بالكتابة والتأليف فلما شرعوا في التدوين لم يجدوا أمامهم مادة كافية ، ولم يصل الى مسامعهم غير هذا القليل المدون ، وأكثره مما يحتاج الى نقد وغربلة وتمحيص وقد أخذ المتأخرون منهم ماوجدوه أمامهم مما قد دون قبلهم ، فسجلوه كما هو ، ولم يتعبوا أنفسهم بالبحث والاستقصاء لايجاد شيء جديد يضاف الى ما جاء به القدماء

ولا تجد هذا التقصير في موضوع تدوين العلوم أو الفن أو الصناعة وحده ، بل تجد ذلك حتى في تدوين منشأ العلوم العربية والعلوم الشرعية أيضاً فأنت اذا رجعت الى كتاب الفهرست لابن النديم ، وهو من أقدم المراجع المؤلفة في هذا الموضوع ، لا تجد فيه شيئاً ضافياً واضحاً عن كيفية نشوء العلوم العربية وعن مبلغ صلتها بالحركة العلمية عند الجاهليين ، ولا تجد فيه كيفية اهتداء أبي الأسود الدؤلي مثلاً الى وضع قواعد النحو وكيفية تطور النحو ونموه من يوم ظهوره الى ساعة وصوله وتدوينه في كتاب سيبويه ولا تجد فيه كذلك نقداً لكيفية ظهور علم العروض وسائر العلوم اللسانية والشرعية عند المسلمين

والواقع أن فهم الناس للتأريخ في ذلك العهد لم يكن على النحو الذي نفهمه عنه نحن في الزمن الحاضر فقد كان التأريخ في ذلك الوقت تأريخ حوادث ووقائع ، انصرف الى أعمال الخلفاء والملوك والرجال الذين لهم أثر ظاهر في الحياة أما تأريخ التدوين وكيفية تطور المعرفة وربط بعضها ببعض وارتباط العلماء المتأخرين بالمتقدمين وما أوجده النوابغ من آراء واختراعات . فلم يكن موضوعاً مهماً بالقياس الى تلك الأيام ، إلى أن ظهرت الحاجة اليه ، فكان ما فقد كثيراً ، وكان الضائع غزيراً وقد سبب ذلك لأمثالنا الجهل بتأريخ نشوء المعرفة وتطورها بصورة عامة في العصور الأولى للاسلام

ونحن إذا ما أردنا التحدث عن العلوم ، فلا بد لنا من الابتداء بعلم كان وما زال له صداه في حياة الإنسان وفي تطوره ، هو علم الكيمياء وهو علم اختلطت به في ذلك

العهد المشعبذة بالبحث ، والخيال بالعلم فاجتمع السحر بالتجربة ، واتصل الطمع بالحصول على الثروة والمال بالبحث العلمي المجرد ، بقيا على ذلك أمداً ، إلى أن تغلبت التجارب العلمية فيه على الشعبذة ، وفازت المعرفة العلمية على الآراء الخيالية البالية ، فنقي هذا العلم من الشوائب ، وصار علماً بل علوماً استقلت منه على النحو المعهود في العهد الحاضر وستظهر منه فروع جديدة في المستقبل بالطبع

وعلم الكيمياء في ذلك العهد علم يرتاده طالبوه طمعاً في الحصول على الذهب والمال في الغالب ، وقلما حفل به غير هؤلاء وهو ذو أصول شرقية وغربية ، تغلبت على أصوله الشرقية الطلسمات والسحر والتعاويذ ، وتغلبت على أصوله الغربية النزعة الى التجربة واستخدام الآلات والأدوات والنار والحوامض و « الفلزات » لتحويل المعادن الخسيسة الى هذا المعدن النفيس الذهب محبوب القلوب وعدت الكتب المؤلفة فيه ، من الكتب الثمينة الغالية ، كما عد المشتغلون به الكيمياءَ صنعة ذات أخطار وذات أسرار لايجوز إفشاؤها ولا البوح بها إلا لخاصة الخاصة

والحديث عن مبدأ هذا العلم عند العرب حديث غير ممكن في الزمن الحاضر، لسبب واحد بسيط ، هو عدم وجود مادة في أيدينا تمكننا من الوقوف على كيفية نشوئه وظهوره عند الجاهليين والاسلاميين ولكننا إذا كنا في هذا الجهل بكيفية ظهور الكيمياء عند العرب وبأبطالها ورجالها في تلك الأيام ، فإننا نستطيع أن نأتي بخلاصة موجزة عن رجال اسلاميين ، ذكر في كتاب الفهرست وغيره أنهم كانوا ممن اشتغلوا بالكيمياء ، وبالصنعة كما يطلقون عليها أيضاً

وبعد ، فان الحديث عن الكيمياء يدفعنا الى الابتداء بالتحدث عن ثلاثة أعلام يرتبط كل واحد منهم بهذا العلم ، هم : خالد بن يزيد بن معاوية ، وجعفر الصادق ، وجابر بن حيان

أما الأول ، فهو أبو هاشم خالد ابن الخليفة يزيد الأول ثاني الخلفاء الأمويين ، وحفيد معاوية مؤسس الدولة الأموية فهو من أسرة شريفة حاكمة ، ومن بيت قديم من بيوتات مكة ، عرف بمنافسته لبني هاشم في الجاهلية وفي الاسلام وهو أول من ورد اسمه من العرب المسلمين مقروناً بهذا البحث وقد نسبت اليه بحوث مدونة وغير مدونة فيه ، بقيت منها نتف واقتباسات في بطون الكتب ، وأشعار في الصنعة يذكر راووها أنها مما نظمه هذا الأمير العالم في علم الكيمياء وفيما يتعلق به

أما سيرته فكل ما نعرفه منها أنه عاش في كنف والده زهاء عشرين عاماً ، وعاش حتى سنة (٨٥) للهجرة (٧٠٤ م) [١] ، وأنه لم ينل الخلافة بعد وفاة أخيه معاوية الذي كان لا يكبره في السن إلا ببضع سنين والذي لم يتمكن من الحكم الا أياماً معدودات بلغت أربعين في رواية ، أو ستين في رواية أخرى [٢] توفي بعدها فأتت الخلافة « مروان بن الحكم » ، ثم ابنه من بعد وفاته « عبد الملك » ولم تعطف على خالد ولم تمل اليه

ويظهر من الروايات عن وفاة « معاوية بن يزيد بن معاوية » ، أنه كان هو السبب في حرمان أخيه وبقية اخوته وأهل بيته من السفيانيين من الخلافة ، إذ رفض أن يعهد بها الى أحد منهم حينما حضرته الوفاة ، قائلا : « والله ، ما ذقت حلاوة خلافتكم ، فكيف أتقلد وزرها ، وتتحلون أنتم حلاوتها ، وأتعجل مرارتها ؟ اللهم ، إني بريء منها ، متخل عنها ! اللهم ، إني لا أجد نفراً كأهل الشورى، فأجعلها اليهم ينصبون من يرونه أهلاً لها » وهذا مما أثار غضب أمه وأهله عليه وسبب حرمان بني سفيان منها ، وانتقال الخلافة منهم الى

---

(١) علم الملك : تأريخه عند العرب في القرون الوسطى ، (١٩١١) ، (ص ١٣٢) ،
Brockelmann Supl I. S. 106.

(٢) مروج الذهب (٣/ ٢) « ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم »

آل مروان، ومنهم خالد بن يزيد [1]

ويظهر من بعض الأخبار أن صلات خالد بن يزيد بالخليفة مروان بن الحكم لم تكن على ما يرام ، وذلك لاعتقاده أن مرواناً قد اغتصب حقه في الملك ، وأنه أخذه منه ظلماً وفي بعض الأخبار ما يفيد وقوع ملاحاة بين الاثنين ، وأن ذلك دعا إلى تآمر أم خالد من زوجها مروان فوضعت مرفقة على وجهه وقعدن عليها هي وجواريها حتى مات [2]

ولم يرو المؤرخون شيئاً كثيراً عن صلاته بالخليفة عبد الملك بن مروان إلا ما ذكروه من أن عبد الملك أرسل اليه حين فكر في ضرب العملة في بلاد المسلمين ، وتحويلها من دنانير رومية الى دنانير عربية ، يسأله رأيه في ذلك ، فأشار عليه أن يضرب العملة ، ويمنع التعامل بدنانير الروم [3] وهو خبر يتعارض مع أخبار أخرى أوردها أهل الأخبار عن ابتداء ضرب العرب للدنانير في العصر الأموي وهي أقدم منه عهداً لورودها في كتب هي أقدم من الكتب التي اشارت الى نصح خالد لعبد الملك في أمر تعريب الدنانير [4]

وإلا ما ذكروه من قصته مع عبد الملك في شأن أخيه عبد الله بن يزيد بن معاوية والوليد بن عبد الملك ، وكان يعبث به ويحتقره ويظهر من ثنايا القصة أن صلته بالخليفة لم تكن على ما يرام [5]

وقد كان خالد كما يبدو من بعض ما أورده أهل الأخبار عنه معجباً بنفسه ، معتداً بأهل بيته ، على الرغم من خسارته الملك وذهاب الخلافة منه وقد أدى ذلك الى وقوعه في

(١) مروج الذهب : ٣/ ٢) « ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية »

(٢) الأغاني (١٦/ ٨٦ وما بعدها)

(٣) Karabacek, S. 15. f.

(٤) Ruska, S. 11.

(٥) ابن خلكان (٥/ ١٤٧ وما بعدها)

مشاكسات مع بعض الناس ، مثل الحجاج ، والى تطاولهم عليه بالقول [١] ولعلهم كانوا يندفعون في ذلك بإيحاء من مروان ومن ابنه عبد الملك ، للحط من منزلته ، وإبعاده عن كل تفكير في استعادة الخلافة من آل مروان

واذا كان خالد قد أخفق في نيل الخلافة أيام أخيه الضعيف وأيام مروان الطاعن في السن ، فقد كان من غير الممكن بالنسبة اليه استلابها من « عبد الملك » ذي الشخصية القوية والبأس الشديد والظاهر أن خالداً كان كأخيه ضعيف الارادة لم تتوفر فيه الصفات التي يجب أن تتوفر في شخص يريد استرجاع ملك ضائع منه مسلوب ، لم يكن في امكانه تكوين جماعة تلتف حوله لمساعدته في استرجاع حقه في ملك أبيه ، ولم تكن لديه المؤهلات التي يجب أن تتوفر فيمن يريد الحكم والزعامة ، ولهـذا قبع في بيته مفضلاً الانزواء على الاصطدام بآل مروان ، معزياً نفسه بالاشتغال بنظم الشعر وقراءة الكتب القديمة ، ولا سيما كتب الكيمياء والطب ، وملازمة المشتغلين بها ، وملازمة بعض أصدقائه الخلص ، حتى وافته منيته وهو على هذه الحال

قال فيه محمد بن اسحاق بن النديم صاحب كتاب الفهرست : « الذي عني باخراج كتب القدماء في الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية وكان خطيباً شاعراً ، فصيحاً حازماً ذا رأي وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء وكان جواداً ، يقال إنه قيل له : لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة ، فقال خالد : ما أطلب بذاك إلا أن أغني أصحابي وإخواني إني طمعت في الخلافة ، فاختزلت دوني ، فلم أجد منها عوضاً إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة ، فلا أحوج أحداً عرفني يوماً أو عرفته الى أن يقف بباب السلطان رغبة أو رهبة ويقال ، والله أعلم إنه صح له عمل الصناعة » [٢]

---

(١) الأغاني (١٦/٨٦)

(٢) الفهرست (ص ٤٩٧) ، طبعة القاهرة .

ومن يدري ؟ فلعله كان يرى في الكيمياء المخرج المؤدي الى استرجاع الخلافة . والسبيل المؤدي اليها ، بما كان في هذه الصنعة من أسرار اذا وقف الانسان عليها صار في إمكانه تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب ، والذهب هو الكفيل بالحصول على كل شيء في هذا الكون ، وفي جملة ذلك الخلافة فسينفق منه على الناس ، وبذلك يمتلكهم . ويجعلهم في جانبه في استرجاع الخلافة من مغتصبها عبد الملك بن مروان

وذكر بعض أهل الأخبار أن خالد بن يزيد « هو الذي وضع خبر السفياني ، وكبره ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك ، وروج أمه[1] ». وهناك من يشك في صحة هذه الرواية ، ويرى أن خبر السفياني خبر ورد بطرق متعددة ومن رواة مختلفين [2]

ولا ندري بالطبع كم كلفت هذه الصنعة خالد بن يزيد من مال ولكننا نستطيع أن نقول على كل حال إنها كلفته كثيراً ، وإنه ظل يعمل جاداً ما شاء الله في هذه الصنعة طمعاً في الوصول الى هدفه المنشود ، وإنه كان كلما تراءى له شبح شيء براق لونه يشبه لون الذهب زاد أمله في الحصول عليه ونحن نعرف أن هذا الأمل أذلس كثيراً من الناس ، وذهب بعقل بعض منهم ، حين خابوا في الحصول على الثروة والمال والتحكم في المعادن الخسيسة ، تحكم علاء الدين في خاتمه أو في المصباح السحري المنسوب اليه

والواقع أن اعتقاد القدماء أن في امكان المتفرس بعلم الكيمياء التوصل الى سر تحويل المعادن الخسيسة الى معدن نفيس ، هو الذي حمل أكثر الكيمياويين على دراسة هذه الصنعة والانصراف اليها ، حتى في هذا العهد فاننا نجد بعض الناس يقبلون على مطالعة الكتب الكيمياوية القديمة ، ويدرسونها ليل نهار ، ويعملون بما يرد فيها من توجيهات للتوصل الى ذلك السر : سر تحويل القصدير والمعادن الرخيصة الى إكسير التبر .

---

(١) الأغاني (١٦/٨٥)

(٢) المصدر نفسه

وقد ذكر ابن النديم حكاية أخرى عن خالد ، فقال : « كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلاً في نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل بمدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية . وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة » [1]

فالذين نقلوا الكتب من اليونانية والقبطية الى العربية ، هم كما ذكر ابن النديم جماعة من الأجانب الأعاجم ، ممن كانوا بمصر ، كانوا قد اتقنوا العربية وتفصحوا فيها ، كما كانوا قد أتقنوا الصنعة والعلوم الأخرى وتخصصوا فيها ولم يذكر ابن النديم اسم أحد من هؤلاء النقلة إلا اسم رجل واحد دعاه « اصطفن القديم » وقال فيه : إنه نقل له كتب الصنعة ويعني بها كتب الكيمياء واذن يكون « اصطفن القديم » أقدم رجل ورد اسمه على وجه التأكيد وترجم الكتب العلمية من اللغات الى اللسان العربي [2]

ولكن مَنْ هذا الفيلسوف اليوناني المتقن للعربية الفصيح بها « اصطفن القديم » ؟ إن علمنا بسيرته جد قليل لم يرو ابن النديم من خبره ما يوضح سيرته وعمله لم يذكر متى ولد ومتى توفي ، ولمَ لقب بـ « القديم » ، وأين عاش ، وما آثاره ومؤلفاته إن كانت له آثار ومؤلفات وكيف كانت صلاته بخالد بن يزيد ؟ لقد أشار ابن النديم في أثناء كلامه على « أسماء الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة » الى رجل دعاه اصطفن ، وقد ذكره بعد خالد بن يزيد في الترتيب ، وقبل اسم رجل آخر دعاه « حربي » ، وقد ورد اسم « حربي »

---

(۱) الفهرست (ص ٣٥٨) ، نقل هذه الفقرات كاتب جلبي صاحب كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون دون أن يشير الى الفهرست ، راجع الجزء الثالث من طبعة « فلوكل » ، الصفحة (٩٠)

(۲) الفهرست (ص ٣٤) « أسماء النقلة من اللغات الى اللسان العربي » ، كشف الظنون ٣/٩٧ ، « طبعة فلوكل » .

هـذا قبل اسم جابر بن حيان [1] فهل أراد ابن النديم بـ « اصطفن » هـذا « اصطفن القـديم » ؟.

وورود اسم اصطفن بعد اسم خالد بن يزيد ، يدل بالطبع أنه كان من المعاصرين له ، ولما كان هذا الرجل من أصحاب هذه الصنعة ، فلا يستبعد أن يكون هو الذي دعاه ابن النديم بـ « اصطفن القديم » وقد ذكر ابن النديم بعد انتهائه من الكلام على خالد بن يزيد وفي أثناء حديثـه عن « أسماء الكتب التي ألفها الحكماء » اسم كتاب في الصنعة دعاه « كتاب اصطفن » [2] لكنه لم يذكر شـيئاً عن هذا الكتاب وموضوعاته وعنوانه الحقيقي فهل يعد هذا الكتاب من صنعة اصطفن المعاصر لخالد بن يزيد ؟ قد يجوز أن يكون من مؤلفاته أو من منقولاتـه ، لكنني لا أستطيع أن أقول ذلك جازماً ، فهنالك جملة مؤلفين عرفوا بـ « اصطفن » أو « اصطفان » . ولهذا أرى التريث والتروي في إبداء رأي قاطع في نسبة هذا الكتاب

وقـد ورد في بعض رسـائل الكيمياء المنسوبـة الى خالد بن يزيد أن خالداً راجع كثيراً من كتب الكيمياء كما راجع رجال الصنعة ، ولكنه لم يتمكن من فهم الصنعـة والوقوف على أسـرار تلك الكتب ، حتى اهتدى الى رجل نصراني اسمه « أستفانس الراهب » ، فزاره ، واتصل بـه ، وكتم أمره عنه ، ولم يبح له باسمه ، الى أن تعلم الصنعة منه ، ونال منه « معاني الفوز » ، فكشف له عندئذ عن حقيقته [3] فمن هذا الراهب المشتغل بالصنعة والكيمياء ؟.

لقد ذكر ابن النـديم ، في اثناء كلامه على علماء الصنعة والكيمياء ، اسم رجل دعاه

(١) الفهرست (ص ١٦٧)

(٢) الفهرست (١٩٨)

(٣) H. E. Stapleton and R. F. Azc, an alchemical Compilation of the thirteenth Century, A. D. Memoirs, AS. Soc, Bengal, 1910. Vol., III. No. 2 P. 86, Ruska, S. 10

« اصطفن الراهب » ، فقال انه « كان بالموصل في عمر يقال له ميخائيل ، وكان يحكى عنه أنه عمل الكيمياء فلما مات ، ظهرت كتبه بالموصل ، فرأيت منه شيئاً وهي : كتاب الرشد ، كتاب ما حدثناه ، الباب الأعظم ، كتاب الأدعية والقرابين التي تستعمل قبل صناعة الكيمياء ، كتاب الاختيار النجومي للصناعة ، كتاب التعليقات ، كتاب الأوقات والأزمنة » [1]

ولم يذكر ابن النديم الزمن الذي عاش فيه هذا الراهب . ولهذا فليس في وسعنا أن نزعم أنه هو الشخص الذي تعلم منه خالد صنعة الكيمياء هذا . وذكر ابن النديم رجلا آخر قال إنه « من الفلاسفة أهل الصناعة الذين شهروا بها ، وألفوا فيها كتباً » وقد دعاه « اسطانوس الرومي » وذكر أنه كان من أهل الاسكندرية ، وله من الكتب على ما ذكر في بعض رسائله ألفُ كتاب ورسالة ، ولكل كتاب ورسالة اسم يسمى بها [2] ولكنه لم يذكر أيضاً زمن هذا المؤلف الفيلسوف الكيمياوي ، ولهذا فليس في استطاعتنا أن نتحدث عن وجود صلة له بخالد بن يزيد

وقد ذهب بعض المستشرقين الى احتمال أن يكون « اسطانوس » أو « اصطفن الراهب » المذكور هو « استفانوس Stephanus » أحد الباحثين في الكيمياء والطب في أيام القيصر « هرقل Herakleios » وله بحوث في الموضوعين المذكورين وشروح للكتب المتقدمة التي وضعها علماء اليونان [3] أما أنا فأرى صعوبة تصور ذلك ، لفارق الزمن بين الاثنين ، ووجوب تخيل عمر طويل للعالم اليوناني ليكون في الامكان اتصال خالد بن يزيد به

---

(١) الفهرست (ص ٦ ٥)

(٢) الفهرست (ص ٤٩٦)

(٣) Ruska, Arabische Alchemisten, S. 50 ff

ويفهم مما ذكره ابن النديم عن خالد بن يزيد أن خالداً كان قد ألف عدة كتب ورسائل في الصنعة، وأنه كان قد نظم شعراً كثيراً في هذا المعنى وقال إنه رأى منه نحو خمسمئة ورقة، وأنه رأى من كتبه: كتاب الحرارات، وكتاب الصحيفة الكبير، وكتاب الصحيفة الصغير، وكتاب وصيته الى ابنه في الصنعة [1] وذكر صاحب كتاب كشف الظنون كتاباً سماه «سر البديع في فك رمز المنيع في علم الكاف»، زعم أنه لخالد، ويظهر أنه وقف عليه كما يفهم ذلك من قوله: «أوله اعلم أيها الأخ الخ... [2]» كما أنه ذكر له كتاباً آخر سماه «فردوس الحكمة في علم الكيمياء»، وقال في صفته: إنه «منظومة في قوافي مختلفة، وعدد أبياتها ألفان وثلاثمئة وخمسة عشر بيتاً، وان أوله:

الحمد لله الواحد الفرد الذي له الفخر والمجد الخ:

يا طالب لصناعة الكيمياء منطقاً حقاً بغير خفاء [3] »

ويظهر أنه من هذا الكتاب كان نقل الأبيات التي نجدها في كتب الصنعة، وأنه هو كتاب «الفردوس» الذي اشار اليه الجلدكي كما سنرى فيما بعد

وقد نسب صاحب كشف الظنون له كتاباً آخر دعاه «كتاب الرحمة»، وصفه فقال إنه يشتمل على أربعة فصول في معرفة الحجر وفي الأوزان وفي التدبير وفي الخواص [4]

وأشار صاحب كشف الظنون في باب الميم الى مقالة لخالد بن يزيد في الكيمياء، قال فيها إنها رسالة عظيمة في هذا الشأن [5]، ولم يذكر من أمرها شيئاً

(١) الفهرست (ص ٧ ٤ وما بعدها)

(٢) كشف الظنون (٢/٥٠٢)

(٣) كذا ورد كشف الظنون (٤/١٠٤)

(٤) « ولخالد بن يزيد كتاب الرحمة أيضاً، يشتمل على أربعة ١ فصول ، و معرفة الحجر ٢ في الأوزان ٣ في التدبير ٤ في الخواص » ، كشف الظنون (٥/٨٧)

(٥) كشف الظنون (٦/٥٣).

وقد ورد في بعض المؤلفات أن أحد وزراء مصر وجد سنة ٤٣٥ هـ في خزانة الكتب بالقاهرة كرة تمثل السماء مصنوعة من النحاس من عمل بطلميوس ، وقد كتب عليها : « حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية [(١)] »

وقد ذكر « الجلدكي » ، عز الدين أيدمر بن علي بن أيدمر [(٢)] ، في كتابه « غاية السرور في شرح ديوان الشذور » أن خالداً « كان مشتغلا بالحكمة والفلسفة في حياة جده معاوية . واستمر على ذلك مدة أيام أبيه . وطلب للخلافة بعد موت أبيه ، فامتنع وولي الخلافة أخوه معاوية وصحب خالد مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، وتجهز معه الى بلاد الروم . وحضر حصار القسطنطينية الى أن فتحت صلحاً ، وظفر منها بكتب كثيرة من كتب اليونان واشتغل في حداثة سنه على الراهب مريانس كان في دير خارج دمشق وباشر عنده العمل بعد العلم مدة عشر سنين من خلافة جده معاوية وتم وصوله واتصاله في خلافة أبيه يزيد »

وذكر أيضاً أن خالداً لما توفي . « كان سبباً لضعف شوكة بني أمية ، وأخذ حالهم من بعده في النقص ، مع أنه عمل بدمشق طلسمات كثيرة في الجامع الأموي وحول الجامع وفي سور دمشق وبعضها باق الى الآن ، تغمده الله بالرحمة والرضوان وبسببه جلبت الكتب من بلاد الروم الى الشأم الجلية الأولى في الفلسفة والحكمة والطب والهندسة والنجوم والحيل والأعمال وجر الاثقال وغير ذلك وصنف هو كتباً كثيرة في عدة علوم . وأعلى

(١) تأريخ الحكماء لابن القفطي (ص ٤٤) « طبعة أوربة » ، نالينو علم الفلك : تأريخه عند العرب في القرون الوسطى (١٣٧)

(٢) « الجلدكي : علي بن محمد بن أيدمر الجلدكي ، عز الدين » ، المتوفى بعد سنة ٧٤٢ للهجرة » ، الأعلام (٥/١٠٧) ، هدية العارفين (١/٧٢٣) ، الذريعة (١/٣٠٥) ، (٣/٦٩ و ٨٩) ، Brockelmann. II,158. Suppl., 427 f. II. 171. 1035., III, 597.

كتبه في الصنعة : الفردوس . وهو كتاب نفيس [1] » وذكر الجلدكي أن طلبة زمانه لا يعرفونه ولا يفهمونه إلا باللفظ والمطالعة للعيان وأما بفهم المعاني ، فهم في البعد الأبعد ونقل منه أبياتاً في كتابه هذا ، وفي كتابه انوار الدرر في ايضاح الحجر [2]

وفي العبارات المتقدمة عن فتح القسطنطينية خطأ تأريخي لا حاجة بي الى بيانه ، وقد وقع أيضاً في أخطاء تأريخية أخرى معروفة لا تهمنا هنا أما استجلابه الكتب من القسطنطينية، فلا يستبعد ذلك ، فقد كان علماء النصارى يذهبون الى القسطنطينية ، ويتصلون برجال الدين الروم ، فلا يستبعد أن يكون خالد قد كلفهم شراء الكتب منها ، كما لا يستبعد شراؤه بنفسه الكتب وهو في صحبة مسلمة بن عبدالملك وقد ذكر أيضاً أنه كلف جماعة استجلاب كتب العلم اليه من مصر وأنه هو نفسه اشتراها من مصر وقد ثبت هذا المؤلف مكان « مريانس » فجعله في دير من الأديرة خارج دمشق أما زعمه من أنه اشتغل في حداثة سنه على الراهب ، وباشر عنده العمل بعد العلم مدة عشر سنين من خلافة جده ، فأمر يحتاج الى نظر . إذ يصعب تصور موافقة معاوية على ارسال حفيده وهو في هذا السن الى راهب في دير خارج دمشق

ونجد في بطون الكتب شيئاً كثيراً من الشعر منسوباً الى خالد وفي « كتاب العلم المكتسب في زراعة الذهب » لأبي القاسم محمد بن أحمد العراقي ، أشعار عديدة منسوبة اليه ولما كان هذا الكتاب في الصنعة والكيمياء ، فإنه لم يحو من شعر خالد إلا ما له علاقة بهذا الموضوع وأول ما أستشهد به من شعره هو في الفصل الثاني ، في الاستشهاد على الكمية الأولى ، وهو في قافية القاف ، وأوله :

نحاسك بيضه بماء الزوابق تنل سعة في الرزق من فضل رازقِ

(1) A. Siggel. Kata. der Arab. Alche., 1949, P 56.

(2) راجع الصفحات ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، Siggel. S. 84

وزاوج لطيف الماء إن كنت عالماً بلين هواء كامنٍ في المناطقِ [1]

وفي أثناء استشهاد « العراقي » بأقوال الحكماء في كيفية الابتداء ، قبل تسمي العمل الأول وتسمى العمل الثاني ، أورد بيتاً لخالد بن يزيد هو :

أول هذا العلم تكليس الحجر بحر نارٍ دونها نار سقر [2]

ثم أورد له شعراً في قافية الهمزة ، ذكره في الفصل الرابع في الاستشهاد في كيفية الابتداء في القسم الأول من العمل الأول ، وهذا مطلعه :

يا باحثاً عن صنعة البرباء ودقيق ما صنعوا من الأشياء
ميّز ، فديتك ، ما أقول، ولا تكن كالجاهل الجوّال في عمياء [3]

وأورد له أشعاراً أخرى في المواضع الباقية من الكتاب ، كلها على هذا النسق من تعليم الصنعة وشرحها وفي كيفية العمل بها [4]

وأورد « العراقي » نبذاً من أجوبة رجل من أصحاب الصنعة اسمه « مريانس » عن أسئلة وجهها اليه خالد بن يزيد ، يظهر منها أن مريانس كان مرجعاً في علم الكيمياء يرجع خالد اليه ، وأنه كان على صلة وثيقة بالأمير الأموي وفي جملة ما أورده جوابه عن سؤال لخالد في موضوع « اكسير الحمرة » و « الاكسير الأحمر » ، فقال : « وقد قال سائر الحكماء : إنه ينمو بلا نهاية ، ويزيد في صبغه بلا نهاية ، ولهذا قالوا : إن المثقال منه علا ما بين الخافقين ، ولهذا قال مريانس الحكيم لخالد بن يزيد : إعلم ، أيها الأمير ، أنه يزيد بلا نهاية كمية وصبغاً » [5]

---

(١) كتاب العلم المكتسب في زراعة الذهب (ص ٣١) ، « طبعة باريس ١٩٢٣ »
(٢) المصدر نفسه (ص ٣٦)
(٣) كذلك (ص ٣٩ وما بعدها) ،
(٤) كذلك (الصفحات ٤٠ ، ٤٣ وما بعدها ، ٤٧ ، ٤٩ وما بعدها)
(٥) العلم المكتسب (ص ٢٧)

وفي الفصل الذي عقده « العراقي » على وحدة الماهية المتقوم منها صورة الاكسير وتعريفها ، اقتبس أجوبة لهذا الحكيم عن أسئلة سألها خالد ، فقال : « وقال مريانس لخالد بن يزيد : أما ما سألت عنه من الأصل أمن شيء واحد أم من أشياء شتى ؟ فإن ذلك شيء واحد وجوهر واحد ونوع واحد ، ومنه وبه ، لا يزاد عليه ولا ينقص منه » [1]

وأورد « العراقي » سؤالاً لخالد في موضوع العلاج الثاني وجهه لأستاذه « مريانس » ، وذلك في « الفصل الثاني : في الاستشهاد من أقوال الحكماء في القسم الثاني من العمل الثاني » وأورد معه جواب « مريانس » عليه [2] وهو آخر ما أورده هذا المؤلف من مقتبسات في الكيمياء لهذين الرجلين

والأسئلة والأجوبة المذكورة تشير الى وجود مراسلات وصلة بين خالد و « مريانس » ، وتشير الى أن خالداً كان يرجع اليه في هذا الموضوع ، وأنه كان في جملة من تعلم منهم علم هذه الصنعة ونجد في كتاب وَفَيات الأعيان لابن خلكان إشارة اليه في ترجمته لخالد بن يزيد . فقد ذكر المؤلف أن خالداً « أخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس الراهب الرومي ، وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهنّ ما جرى له مع « مريانس المذكور » وصورة تعلمه منه . والرموز التي أشار اليها » [3] فيظهر من اشارة ابن خلكان الى هذا الرجل أنه كان من رجال الدين ، وأنه كان راهباً ، وأنه كان من الروم

وقد أشار كاتب جلبي الى وقوفه على رسالة في الصنعة والكيمياء ، قال إنها رسالة عظيمة في هذا الشأن ، ودعاها « مقالة مريانس الراهب » في الكيمياء ولم يتحدث بشيء عن مضامينها وذكر بعدها أنه كان لخالد بن يزيد مقالة مماثلة في الكيمياء [4]

---

(١) المصدر نفسه (ص ٢٨ وما بعدها)

(٢) العلم المكتسب (ص ٤٨ وما بعدها)

(٣) وفيات الأعيان (جـ ١٤٦/٥ وما بعدها) « طبعة عيسى البابي الحلبي »

(٤) كشف الظنون (٥٠٣/٦)

وذكر في بعض الكتب رجل آخر قيل إن خالداً أخذ منه العلم . وذلك هو يحيي النحوي المعروف بالبطريق ، وكان من الدارسين للفلسفة والطب ومن المؤلفين وقد ذكرت أن خالداً أخذ الطب منه [1]

ويحي النحوي المعروف بـ « Joannes Grammaticus » عند الغربيين وبـ « Joannes Philoponus » كذلك هو من رجال القرن السادس للميلاد [2] وقد ألف وكتب باليونانية . ونقل بعض مؤلفاته الى العربية. وقد ذكره ابن النديم في الفهرست وسمى مؤلفاته وقد توفي خالد بن يزيد سنة ٨٥ للهجرة (٧٠٤ م) ، فلا يمكن أن يكون ممن أخذ العلم عن « يحي النحوي » وممن اتصل به ولا يمكن أن يكون « يحي » ممن أدرك الفتح الإسلامي لمصر ، وبلغ أيام عمرو بن العاص كما ذهبت الى ذلك بعض الموارد العربية [3] وقد أخطأت هذه الموارد في تعيين الشخص ، ولم تصب في اختيار الرجل الصحيح ، وذهب الأب لويس شيخو الى أن هذا الرجل المقصود هو « يوحنا النقوي أو النخوي » أسقف « نخو » ، وهو صاحب كتاب في التأريخ ألفه في اليونانية ، ضاع أصله ، وبقيت ترجمته بالحبشية وقد تعرض فيه لوصف فتح العرب لمصر ، وقد كان بمصر أيام عبدالعزيز ابن مروان [4] وأن الأمر التبس على المؤلفين العرب . فظنوا أن « يحي النخوي » هو « يحي النحوي » المؤلف المشهور [5] ويحتمل في نظري أن يكون هو الشخص الذي

(١) كتاب تتمة صوان الحكمة ، لاهور ١٣٥١ هـ) (ص ٢٤) . تأريخ حكماء الاسلام ، لظهير الدين البيهقي (تحقيق محمد كرد علي) (ص ٤)

(٢) لويس شيخو اليسوعي : كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، بيروت ١٩٢٤ (ص٢١٣) المشرق : المجلد السادس عشر (١٩١٣) (ص ٤٧ وما بعدها)

(٣) الفهرست (ص ٢٥٤) « طبعة أوربة » ، « ص ٣٥٦ » طبعة مصر ، المشرق : المجلد السادس عشر (١٩١٣) (ص ٤٧ وما بعدها) ، ابن القفطي (ص ٣٥٤) ، تأريخ ابن العبري (ص ١٧٥)

(٤) المشرق : المجلد ١٦ (١٩١٣) (ص ٥٢ وما بعدها)

(٥) المصدر المذكور

أشار اليه « البيهقي » ، ويحتمل أن يكون غيره ، كأن يكون شخصاً آخر اشهر في ذلك العهد باسم « يحيي » أي « يوحنا » ، وقد عرف ببحوثه في الطب والكيمياء وظن الأخباريون خطأ أنه « يحيي النحوي » ، وقد وقع أهل الأخبار في كثير من أمثال هذه الأغلاط من جرّاء التشابه في الأسماء

واذا استثنينا الأشعار والمقتبسات التي ذكرناها ، المنسوبة الى « خالد » ، وبعض الرسائل المنشورة باللاتينية ، فاننا لا نملك حتى الآن أثراً مطبوعاً في أي علم من العلوم الثلاثة : الكيمياء والطب والنجوم التي اشهر وعرف بها كذلك لا نملك اليوم ترجمة ما لكتاب من الكتب التي ذكر العلماء أن المترجمين كانوا قد ترجموها له تلبيةً لطلبه ولو حصل العلماء على احداها لكانت من أقدم الكتب المعربة في العلوم عند العرب ولا شك

إن اشتغال خالد بطلب الكيمياء لم يقابل بالرضا في المجتمع في ذلك العهد فلم يكن من المناسب في نظره اشتغال العربي الشريف بأمثال هذه الصنعة التي لا تليق إلا بالهجناء والعامة والموالي ولذلك عيّر باشتغاله بها وعيب عليها كالذي ذكروه من أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص اختصم يوماً مع خالد ، وذلك بسبب قول خالد له : « ما يقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة » فظن محمد أنه يعرض به ، فقال له : « وما يمنعهم من ذلك وقد قدم قوم من أهل المدينة على النواضح ، فنكحوا أمك وسلبوك ملكك ، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب وعمل الكيمياء الذي لا تقدر عليه [1] » وكالذي ذكره « الأصبهاني » مؤلف الأغاني عنه قوله : « وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء ، فأفنى بذلك عمره ، وأسقط نفسه [2] »

---

(١) الأغاني (١٦/٨٦)

(٢) المصدر نفسه (ص ٨٤)

وقد شك ابن خلدون في اشتغال خالد بن يزيد بالكيمياء ، وخطأ من يزعم أن خالد بن يزيد كان من رجال الكيمياء ، بل ذهب الى القول بوجود خالد آخر غيره ، ليوفق بين رأيه هذا في نفي الصناعة عن خالد ، والأخبار المتواترة عن اشتغاله في الكيمياء وحجة ابن خلدون في النفي أن « خالداً من الجيل العربي والبداوة اليه أقرب ، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة فكيف بصناعة غريبة المنحى ، مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد (؟) آخر من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه ، فممكن [1] »

وحجة ابن خلدون هذه ، لا تقوم على دليل تأريخي مقبول مقنع في نفي الكيمياء والعلوم الأخرى عن خالد ، وقد قامت ورسخت لدى ابن خلدون من نظريته التي هيمنت عليه ، من أن العرب كانوا قوماً أعراباً ، والأعرابي - حسب رأيه - بدائي بطبعه يكره العلم والصناعة ولهذا لم يمل اليها عند ظهور دولة المسلمين الا الأعاجم والموالي أما العرب الخلص - حسب رأيه أيضاً - فقد انصرفوا بحكم طبيعهم وغريزتهم الى الملك والسلطان وهي نظرية لا مجال لمناقشتها في هذا المكان : لا تقوم بالطبع إلا على رأي لم ينبعث عن تتبع وتحليل للتأريخ ، وإنما عن ملاحظات عامة صورت للمؤلف تلك الصورة فحاول تفسير تأريخ العرب بموجبها ، وبحسب هذا الرأي

وبعد ، فقد رأينا أن من الصعب التثبت من مقدار احاطة خالد بالكيمياء ومن هذا المنسوب اليه شعراً أو نثراً في هذه الصناعة [2] ولكن شيئاً مهما جداً يمكن استخراجه من هذا المروي عنه ، وهو مهم بالنسبة لهذا اليوم ، هو اشتغال خالد نفسه بصورة عملية

(١) نص مقدمة ابن خلدون : ٤٤٥ ، طبعة بولاق

(٢) راجع : كارل بروكلمان : تأريخ الأدب العربي ، تعريب الدكتور عبد الحليم النجار ، (١/٢٦٢ وما بعدها)

في صنعة الكيمياء واجراؤه تجارب فيها ، وبهيئته الأدوات والمواد اللازمة للاشتغال ، على أمل تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة. وهذا العمل هو عمل مختبري ، تجري فيه تجارب للتوصل الى الغاية التي وضعها صاحب هذه التجارب في ذهنه عنها ، وهو عمل يستحق عليه كل تقدير. ونحن نأسف ، لأننا لا نملك شيئاً مدوناً يروي لنا بصورة تفصيلية أعمال خالد في الصنعة وكيفية اشتغاله للتوصل على رأيه الى صناعة إكسير الذهب ، وهو غاية خالد من كل هذه الصنعة.

ثم شيء آخر نستخلصه من ذلك ، هو أن أميراً عربياً كان قد أمر بترجمة الكتب في العلوم وبنقلها من اليونانية الى العربية قبل بدء الترجمة في عهد دولة بني العباس بأمد طويل وأن حركة التعريب والترجمة كانت قد بدأت في الواقع قبل أيام الدولة العباسية ، ولكن الأيام لم تبق من المعربات شيئاً ، كما أنها قضت على أكثر معالم التأريخ في عهد الأمويين ، وقد يكون ذلك ببواعث سياسية. ومن هنا صار جهلنا بأكثر نواحي تأريخ تلك الأيام.

أما الرجل الثاني الذي يرد اسمه مقروناً بالكيمياء وبعلوم أخرى عديدة أكثرها في الكشف عن الأسرار والمغيبات ، فهو جعفر الصادق الإمام السادس عند أكثر فرق الشيعة المتوفى سنة « ١٤٨ » للهجرة. وهو ابن الإمام محمد الباقر المنسوب اليه كتاب في تفسير القرآن. ذكر ابن النديم أنه رواية أبي الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية[١]

واسم الامام الصادق من أشهر الأئمة الاثنى عشر وروداً في الكتب وفي الحركة العلمية في الاسلام. ورواية الحديث والفقه عند الشيعة اليه ترجع في الغالب وعنده

(١) الفهرست (ص ٥٠) « تسمية الكتب المصنفة في تفسير القرآن » ، المعارف (١١) تأريخ كزيدة (٢٠٥) ، روضة الأئمة (١٤) ، سفينة الأولياء (٢٥) ، تأريخ الأدب العربي لبروكلمان (٢٠٩/١)

تقف وله عـدد كبير من الرواة ، تتلمذوا عليه . وأخذوا العلم منه ، ولهم في الجـدل والـكلام شهرة . ولهم بحوث ومؤلفات في علوم أخرى منهم جابر بن حيّان الذي ذكر ابن خلـكان أنه كان من تلامذة جعفر الصادق ، وأن له كتاباً يشتمل على ألف ورقـة تتضمن رسائل جعفر الصادق ، وهي خمس مئة رسالة [1]

وقد رَجَعَ أكثر المشتغلين (في صنعة الـكيمياء والسيمياء والجفر والفأل والجفر وعلم الرمل وعلم الاختلاج [2] وأمثالها من الصناعات القائمـة على نظرية هتك الحجب والأستار وكشف المغيبات) علمَهُمْ بالصنـاعات المذكورة الى الإمام الصادق فنجـدهم يشيرون في رسائلهم اليه . وينسبون وقوفه على تلك الأسرار ونحن لا نكاد نجـد في ذلك شخصاً ينافس اسمَهُ اسمَهُ

وقد وصلت الينا أسماء رسائل وكتب منسوبة الى جعفر الصادق لم يشر اليها ابن النديم ولا غيره من قدماء أهل التأريخ والأخبار ومن بينها كتاب نشره المسـتشرق « رسكا » « Julius Ruska » بعنوان « كتاب رسالة جعفر الصـادق في علم الصناعـة والحجر المكرم » ، نشره بطريقة « الحفر » . مشفوعاً بترجمته بالألمانية [3] وقـد افتتحه بعد البسملة بقوله : « رسـالة الوصايا والفصول لسيدنا الإمام جعفر الصـادق لولده رضي الله عنه » ، مما يدل على أن عنوان الـكتاب الأصلي هو هذا العنوان

(١) وفيات الأعيان (٣/١٧٦ وما بعدها) « طبعة عيسى البابي »

(٢) « علم الاختلاج : وهو من فروع علم الفراسة قال المولى أبو الخير : هو علم باحث عن كيفية دلالة اختلاج أعضاء الإنسان من الرأس الى القدم على الأحوال التي ستقع عليه وأحواله ونفعه والغرض منـه ظاهر . » ، كشف الظنون (١/١٩٣) ، « اختلاج الأعضاء » ، تأريخ الأدب العربي (١/٢٦٠) ،

Diels. Zur lit. des Gliederzuckens. 1908, S. 58. ff.

(٣) Julius Ruska, Arabische alchemisten. Ga 'far alsadiq der sechste Imam. II. Heidelberg 1924.

لكن لغة الكتاب وأسلوب إنشائه وطريقة عرضه تدل على أنه من الكتب المتأخرة ، وأن صاحبه ممن عاشوا بعد الصادق بأمد طويل وفي الكتاب نفسه دليل على تفنيد نسبته الى الصادق ، إذ ورد في الصفحة (١٦) من المخطوطة اسم ذي النون المصري . ونص ذلك : « وقد كان ذوالنون رحمه الله وقف على هذا التدبير وعمله لا شك في ذلك وكان زاهداً عابداً وكان له تلامذة كثيرة وأتباع من الزهاد والعباد غير قليل وكان يقوت بأقواتهم ويجري عليهم مما أفاء الله عليه من هذا العلم » [١] وكانت وفاة ذي النون في سنة ٢٤٦ للهجرة (٨٦١ م) ، أي بعد وفاة الامام جعفر الصادق بحوالي قرن [٢]

وذكر الحاج خليفة في كشف الظنون كتباً له ، هي كتاب تقسيم الرؤيا [٣] ، والجامعة في الجفر [٤] ، وكتاب في علم الحروف والأسماء دعاه خافية جعفر الصادق [٥] ، وآخر في التفسير على طريقة أهل التصوف ، استفاد منه بعض المفسرين مثل أبي العباس بن عطاء الذي قيل انه أخذه عن جعفر [٦] . ورسائل لم يذكر عنها شيئاً دعاها رسائل جعفر الصادق [٧] .

وقد ذكر بروكلمن كتباً أخرى منسوبة اليه . مثل كتاب مصباح الشريعة ومفتاح

(١) الصفحة (١٦ وما بعدها)

(٢) الفهرست (٥٠٣ وما بعدها) ، تأريخ ابن عساكر (٥/٢٧١ وما بعدها) .
Brockelmann, I, 198, Suppl., I. S. 553.

(٣) كشف الظنون (٢/٣٩١)

(٤) المصدر نفسه (٢/٥٨١ ، ١٠٤) ، « كتاب الجفر للامام جعفر الصادق » ، كشف الظنون (٥/٧٠)

(٥) « خافية في علم الحروف .. والامام جعفر الصادق بن محمد الباقر المتوفى سنة ١٤٨ ذكر البسطامي أنه جعل فيه الباب الكبير » ، كشف الظنون (٣/٥٣ ، ١٢٨)

(٦) كذلك (٣/٧٩) ، (٦/١٤١)

(٧) كشف الظنون (٣/٥٠٩) .

الحقيقة ، وكتاب التفسير رواية ذي النـون المصري ، ورواية محمد بن ابراهيم بن جعفر النعمان المتوفى سنة (٣٢٨ هـ) من تلامذة الكليني . وكتاب هيا كل النور وتوجد نسخة منه في المكتبة الأهلية بباريس . وكتاب منافع سور القرآن وتوجد نسخة منه في « كوتا » وأخرى في « الفاتيكان » ، وكتاب بحر الأنساب [١]

وذكر ابن النديم رسالة دعاها كتاب الهليلجة . قال ان بعض الناس ينسبونها الى الامام الصادق . وهذا محال وهي رسالة لا يعرف مؤلفها [٢] وهناك رسائل وكتب أخرى تنسب اليه ، وهي لا يمكن أن تكون منه

والحديث عن سيرة جعفر الصادق . وعن أسماء تلامذته ، ومن أخذ منه ، وعن المؤلفات والأحاديث المنسوبة اليه ، يخرجنا عن صلب موضوعنا هذا ، وهو البحث العلمي عند العرب ، ونحن لا نستطيع أن نتحدث عنه هنا إلاّ بالمقدار الذي تتسع له حدود هذا الموضوع . ولهذا أجتزئ بهذا القدر ، وقد أبحث فيه في فرصة أخرى

ولا بد لي هنا من أن أشير الى إمام آخر من أئمة الشيعة الاثني عشر ، قيل إن له مؤلفاً في العلوم ، هو الأمام علي بن موسى الرضا ، معاصر الخليفة المأمون ، والمتوفى بخراسان من إيران المعروفة الآن باسم مشهد فقد نسب له مؤلف في الطب أسمه الرسالة الذهبية في الطب ، ومنه نسخة في خزانة كتب الأحمدية بتونس كما جاء ذلك في مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية [٣]

وأما جابر بن حيان ، فانه أبو موسى أو أبو عبد الله كما في بعض المراجع جابر بن

(١) Brockelmann, Supp., I, P. 104. ، تأريخ الأدب العربي (١/ ٢٦)

(٢) الفهرست (الصفحة ٤١١) ، « كتاب الاهليلجة » ، تأريخ الأدب العربي (١/ ٢٦) ، بحار الأنوار (٢/٢/٤٢)

(٣) م ٥/ج ٢/٢١٦

حيان بن عبد الله المعروف بالكوفي وبالصوفي وهو من الشخصيات الغريبة التي تحدث الناس عنها كثيراً وقد تحدث عنه ابن النديم فقال : « واختلف الناس في أمره، فقالت الشيعة إنه من كبارهم وأحد الأبواب ، وزعموا أنه كان صاحب جعفر الصادق ، رضي الله عنه ، وكان من أهل الكوفة وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم وله في المنطق والفلسفة مصنفات ، وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت اليه في عصره وأن أمره كان مكتوماً ، وزعموا أنه كان يتنقل في البلدان لايستقر به بلد خوفاً من السلطان على نفسه وقيل إنه كان في جملة البرامكة ومنقطعاً اليها ومتحققاً بجعفر ابن يحيى ، فمن زعم هذا قال إنه عنى بسيده جعفر هو البرمكي ، وقالت الشيعة إنما عنى جعفر الصادق ، وحدثني بعض الثقات ممن تعاطى الصنعة أنه كان ينزل في شارع باب الشأم في درب يعرف بدرب الذهب ، وقال لي هذا الرجل : إن جابراً كان أكثر مقامه بالكوفة ، وبها كان يدبر الإكسير لصحة هوائها ولما أصيب بالكوفة الأزج الذي وجد فيه هاون ذهب فيه نحو مئتي رطل ، ذكر هذا الرجل أن الموضع الذي أصيب ذلك فيه كان دار جابر بن حيان ، فانه لم يصب في ذلك الأزج غير الهاون فقط وموضع قد بني للحل والعقد هذا في أيام عز الدولة بن معز الدولة وقال لي أبو اسبكتكين دستاردار ؛ انه هو الذي خرج ليتسلم ذلك ، وقال جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين : إن هذا الرجل ، يعني جابراً ، لا أصل له ولا حقيقة

وبعضهم قال إنه ما صنف وان كان له حقيقة إلا كتاب الرحمة ، وإن هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوه إياها ، وأنا أقول إن رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب فيصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة ، يتعب قريحته وفكره بإخراجه ، ويتعب يده وجسمه بنسخه ، ثم ينحله لغيره ، إما موجوداً وإما معدوماً ، ضرب من الجهل . وان ذلك لا يستمر على أحد ، ولا يدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم وأي فائدة في هذا ، وأي عائدة ؟ والرجل له

حقيقة ، وأمره أظهر وأشهر ، وتصنيفاته أعظم وأكثر . ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة ، أنا أوردها في مواضعها ، وكتب في معان شتى من العلوم ، وقد ذكرتها في مواضعها من الكتاب وقد قيل إن أصله من خراسان والرازي يقول في كتبه المؤلفة في الصنعة : قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان » [١]

وقد اختلف أهل الأخبار في نسبته . فنسبه بعضهم الى الأزد ، ونسبه بعضهم الى طوس ، فقال عنه الطوسي . وجعله بعضهم من طرسوس ، فقال الطرسوسي ، وجعله أحدهم من حرّان فقال عنه الحرّاني ، وجعل أصله من الصابئة ، وذكر أنه كان صابئياً ثم أسلم ، وتزهد وتصوف كما نسبه بعضهم الى الكوفة . فقال عنه جابر بن حيّان الكوفي [٢]

ولم يشر أحد الى سنة ولادته أما سنة وفاته ، فموضع شك وقد ذكر في بعض الروايات أنها كانت سنة مئتين للهجرة في بعض الموارد [٣] وذكر في رواية أخرى أنها كانت قبلها ، وأنها كانت سنة ١٦٠ هـ [٤] وذكر أنه أخذ العلم عن خالد بن يزيد وعن جعفر الصادق [٥]

وذكر ابن النديم نقلاً عن بعض الثقات ممن تعاطى الصنعة أن جابراً كان أكثر مقامه

(١) الفهرست (ص ٩٩ : وما بعدها)

(٢) جابر بن حيان الطرطوسي ؟ « الطرسوسي » ، المتوفى سنة ٢٠٠ » ، كشف الظنون (٥/٣٤) ، كتاب الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الامامية ، تأليف شمس الدين محمد بن طولون ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، (طبع دار صادر ، بيروت ١٩٥٨ (الصفحة ٨٥)

Ency. Of Islam, I, P. 987.

(٣) الأعلام (٢/٩١)

(٤) كشف الظنون (٥/٣٤ ، ٧٩ ، ومواضع أخرى)

(٥) « جابر بن حيان الصوفي من تلامذة خالد » ، كشف الظنون (٥/٢٨٠) ،

Ency. Of Islam, I, P. 987

بالكوفة ، وأنه كان ينزل في شارع باب الشام في درب يعرف بدرب الذهب ، « وبها كان يدبر الاكسير لصحة هوائها ، ولما أصيب بالكوفة الأزج الذي وجد فيه هاون ذهب فيه نحو مئتي رطل ، ذكر هذا الرجل أن الموضع الذي أصيب فيه ذلك كان دار جابر بن حيّان ، فانه لم يصب في ذلك الأزج غير الهاون فقط ، وموضع قد بني للحل والعقد ، هذا في أيام عزالدولة بن معز الدولة وقال لي ابو اسبكتكين دستاردار ، أنه هو الذي خرج ليتسلم ذلك » (١)

ومعارفنا عن جابر جد قليلة ومشوشة وليس هذا شأننا وحدنا في القرن العشرين ، بل هو كذلك شأن من تقدم علينا بمئات من السنين وقد أوردت لك نص ما كتبه ابن النديم عنه ، وما ذكره من شك بعض المعاصرين لابن النديم ، وبعض المتقدمين عليه في وجود جابر ، وفي صحة نسبة تلك الرسائل والكتب اليه ما ذكره منها وما لم يذكره ، وكيف أنه خالفهم في ذلك وسفه رأيهم في انكار وجود ذلك الرجل واذا كان هذا حال الناس في أمر جابر في ذلك العهد . فكيف يكون حالنا ونحن اليوم في القرن العشرين ؟

أما التقاء جابر بخالد بن يزيد ، فذلك أمر لايمكن وقوعه ، فقد كان جابر من المنقطعين للبرامكة ومن المتصلين بهم ولا سيما جعفر بن يحيي البرمكي وقد ألف جملة مؤلفات لهم ، رسمها باسمهم ، وقد توفي خالد بن يزيد حوالي سنة أربع وثمانين للهجرة في أكثر الروايات وفي سنة تسعين للهجرة في أبعد الروايات (٢) وقد اشهر أمر البرامكة في أيام الرشيد ، فلو فرضنا أن عمر جابر كان قد بلغ المئة عام ، وأنه أدرك أيام خالد بن يزيد بالفعل ، فيجب أن يكون طفلاً عند ذاك ، ولا يعقل لطفل أخذه العلم عن خالد وهو في هذا العمر

وأما اتصاله بجعفر الصادق وأخذه العلم منه ، ففي الكتب المنسوبة الى جابر اشارات

(١) الفهرست (ص ١٩٩)
(٢) الأعلام (٢/٣٠٢)

عـديدة الى ذلك وقد ذكر ذلك أيضاً كثير من المؤرخين من الشيعة ومن غيرهم وعدّ المشتغلون بالصنعة وهواة السيمياء والطلسمات والعلوم السرّية جابر الحلقة الموصلة بين رجال هذه العلوم وجعفر الصادق الذي يعدّ المرجع الأكبر والأهم فيها فاذا ذكروه قالوا عن جابر عن جعفر الصادق أو جابر تلميذ جعفر الصادق وهو في هذه الشهرة أشهر تلميذ من التلاميذ المنسوبين الى الامام [1]

ومن أمثلة الإشارات الى جعفر الصادق الواردة في الكتب المنسوبة الى جابر ، والتي تؤكد معاصرته له ولرجلين آخرين أخذ جابر العلم عنهما ، هذه العبارات في« كتاب أسطقس الأس الثالث» ، وهي « ... ولكن لو كان يتفق له أن يكون في زمان مثل زماننا ، فيخرج له من الفضلاء مثل من خرج في زماننا نحن مثل سيدي جعفر بن محمد ومثل معلمي حربي واذن الحمار المنطقي ... [2] » وهذه العبارة في : «كتاب الرحمة الصغير » : « قال جابر ابن حيان : قال لي سيدي جعفر : يا جابر : فقلت : لبيك يا سيدي فقال : هذه الكتب التي صنفتها جميعها وذكرت فيها الصنعة وفصلتها فصولا وذكرت فيها من المذاهب وآراء الناس ، وذكرت الأبواب وخصصت كل كتاب منها بعمل ... [3] » والعبارة الواردة في : «كتاب المقابلة والمماثلة » ، وهي : « اني لما صنفت كتابنا المقابلة التي يكفي به (؟) وفسرت فيه الكتابين وذكر الآخرة والأخبار (؟) الأربعة الذين ذكرتهم فيه ،

(١) « وله « أي جعفر الصادق » كلام في صناعة الكيمياء والزجر والفأل وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي وقد صنف كتاباً يشتمل على الف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمس مئة رسالة » ، الشذرات الذهبية (ص ٨٥)

(٢) مصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن حيان الصوفي (باريس ١٩٢٨) (ص ١)

(٣) المصدر نفسه (ص ١٤٧)

عرضته على سيدي جعفر بن محمد عليه السلام : فقال له (؟) : إقرأه علي ... [١] » ...
وغير ذلك من مواضع

وقد أفادتنا العبارات الواردة في « كتاب اسطقس الأس الثالث » فائدة كبيرة لذكرها اسمي « حربي » و « اذن الحمار المنطقي » في جملة الرجال الذين أخذ جابر العلم منهم أما حربي فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم ذكره مرة في المقالة العاشرة المحتوية أسماء الكيميائيين والصنعويين من القدماء والمحدثين ذكره بعد خالد بن يزيد واصطفن وقبل اسم جابر بن حيان ؛ وذكره مرة أخرى في تعداد أسماء مؤلفات جابر ، وفي أثناء كلامه على المصححات التي ألفها جابر في تصحيح آراء ومقالات غيره من المتقدمين عليه والمعاصرين له فذكر أن لجابر تصحيحاً لآراء حربي سماه كتاب مصححات حربي [٢]

وتفيدنا أسماء بعض المؤلفات التي عزاها ابن النديم لجابر وبعض الأسماء التي وردت في فهرس ابن النديم ولها علاقة بجابر فائدة كبيرة في تعيين الزمن الذي عاش فيه جابر ، وفي تشخيص رسائله وتثبيت حقيقتها والرسائل التي عزاها ابن النديم اليه وتفيدنا في هذا الباب . هي : كتاب الى جمهور الفرنجي ، وكتاب الى علي بن يقطين ، وكتاب الى علي بن اسحاق البرمكي . وكتاب تليين الحجارة الى منصور بن احمد البرمكي ، وكتاب أغراض الصنعة الى جعفر بن يحيى البرمكي [٣]

وأشهر هؤلاء المذكورين وأشرفهم ، هو : جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، وزير

---

(١) A. Siggel, Katalog der Arabischen alchemistischen Handschriften Deutschlands, Berlin, 1949, S. 15.

وفي النص العربي المقتبس اغلاط كثيرة نحوية وصرفية واملائية لا يمكن وقوعها من رجل معروف مثل جابر . ولا من أي مؤلف آخر عاش في ذلك العهد وهي من أغلاط النساخ ولا شك . ٥٠٢٩

(٢) الفهرست (ص ٥٠٢)

(٣) الفهرست (ص ٥٠١)

الرشيد الشهير ، والمقتول بأمره سنة ١٨٧ للهجرة [١] . وقد كان جابر من المتصلين به والمنقطعين اليه ، كما ذكر ذلك ابن النديم ، قال : « كان في جملة البرامكة ومنقطعاً اليها ، ومتحققاً بجعفر بن يحيي ، فمن زعم هذا قال إنه عنى بسيده جعفر هو البرمكي وقالت الشيعة إنما عنى جعفر الصادق [٢] »

وكان يحيي بن خالد البرمكي « ١٩٠ هـ » ، والد جعفر نفسه من المشتغلين بالعلوم ، كما كان من الأدباء أصحاب الأسلوب وقد ذكره ابن النديم في جماعة الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة ، وجعله في جملة المؤلفين ، ولكن لم يورد له مؤلفاً وقد أمر بتعريب عدد من المؤلفات المدونة بالهندية واليونانية والفارسية وذكر ابن النديم بينها كتاب المجسطي ، فقال : « وأول من عنى بتفسيره واخراجه الى العربية يحيي بن خالد بن برمك ، ففسره له جماعة ، فلم يتقنوه ، ولم يرض بذلك ، فندب لتفسيره أبا حسّان وسلماً صاحب بيت الحكمة ، فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقله المجوّدين [٤] ». وذكر ابن النديم كتاباً في العطر قال إنه ألف ليحيي بن خالد [٥]

وأما علي بن يقطين ، فكان من رجال الشيعة المنقطعين الى الامام جعفر الصادق ، ومن المؤلفين والمتولين لبعض الوظائف في عهد المنصور والمهدي وكان ممن يوالون جعفر الصادق ويؤيدونه ويحملون اليه الأموال ، وهذا ما عرضه الى غضب الدولة والى الشك في اخلاصه للعباسيين وقد ولد سنة « ١٢٤ هـ » وتوفي سنة (١٨٢ هـ) وكان والده

---

(١) الطبري (حوادث السنة ١٨٧) ، ابن خلكان (١/١٠٥) ، البداية والنهاية (١/١٨٩ ، ١٩٤)

(٢) الفهرست (ص ٤٩٩)

(٣) الفهرست (ص ٤٩٧)

(٤) الفهرست (ص ٣٧٤)

(٥) ص ٤٤

« يقطين » من وجوه الدعاة ضد الأمويين وقد طلبه مروان فهرب ، ولم يظهر إلا عند ظهور دولة بني العباس ، فتوظف في دولتهم ، ولكنه كان كابنه يرى الإمامة في آل أبي طالب ، ويعتقد برأيهم ، وقد توفي سنة (١٨٥ هـ) أي بعد وفاة ولده علي وقد نسب ابن النديم لعلي بن يقطين كتابين : أحدهما كتاب ما سأل عنه الصادق من أمور الملاحم ، والآخر كتاب مناظرته للشاك بحضرة جعفر [١]

وأود ، والكلام على صلة جابر بالبرامكة ، أن أشير الى شطحة بسيطة فيما أرى ، ندت من السيد اسماعيل مظهر في أثناء كلامه على جابر قد تورد من يقرأ مقاله في الخطأ ، فأحببت تصحيحها ، وهي قوله : « وكان صديقاً للبرامكة وزراء هارون الرشيد ، وانه عاش ردحاً من الزمان في بلاط بغداد [٢] » ، وقوله : « وانه اضطر الى الإفضاء ببعض أسرار الصناعة (أي الكيمياء) الى هارون الرشيد ... » ، وقوله : « وكل ما يهمنا في هذه الرواية أن المعروف على رواية ابن النديم أنه توفي سنة ١٦٠ هـ » [٣] وحجى خليفة أنه توفي سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ — ٧٧٧ م) ، ولكن اذا صحت رواية الجلدكي ، فلا بد من أن يكون جابر قد عاش بعد هذا العهد بزمان طويل [٤] »

وفي تعبير السيد اسماعيل مظهر : « وانه عاش ردحاً من الزمان في بلاط هارون الرشيد » وهم يفهم القارىء منه أن جابر بن حيان كان نازلاً في قصر هارون الرشيد وفي بلاطه ، وانه كان على صلة وثيقة به ، وأنه أعطاه سر الصنعة وهو كلام لم يقله أحد ، ولم يروه راوٍ من المتقدمين ثم إن كون جابر من المتعلقين بالبرامكة المراجعين لهم والمنقطعين اليهم ، لايحتم كونه من المراجعين لهارون الرشيد والمنقطعين اليه ، فقد كان بعض الناس

(١) الفهرست (ص ٣١٤)

(٢) تأريخ الفكر العربي ، (القاهرة ١٩٢٨) (ص ٧٢)

(٣) المصدر نفسه ، (ص ٧٤)

(٤) كذلك ، (ص ٧٤) وفي النص « الجلدقي » ، والصحيح الجلدكي

من المراجعين لهم ، ولكنهم لم يكونوا من المنقطعين الى الخليفة ثم إنه رجل عالم ، وقد كان العلماء يضطرون الى الاتصال بأصحاب الجاه والنفوذ للحصول على مساعدتهم ومؤازرتهم ويؤلفون لهم ويذكرونهم في كتبهم رجاة مؤازرتهم ومساعدتهم في هذه الحياة وذلك لا يعني أنه عاش في قصر ذلك العظيم ، وانه قضى ردحاً من الزمن فيه ، وأنه علمه علمه . وأفضى اليه بسر الصنعة إن كان للصنعة سر

ويظهر مما ذكره ابن النديم عن جابر من أن أكثر مقام جابر كان بالكوفة ومن نعت بعض من ترجمه له بالكوفي أن جابراً كان قد أقام أمداً في الكوفة ، وأنه اشتغل بها في الكيمياء ومارس حرفته بها ، خاصة وأن ابن النديم قد نص على اسم المكان الذي اشتغل فيه جابر بالصنعة وأجرى تجاربه فيه بأجهزته ومعادنه لتحويل تلك المعادن الى الإكسير أما اختفاؤه وتنقله في البلدان خوفاً من السلطان على نفسه ، كما ذكر ذلك ابن النديم ، فنحن لا ندري سبب ذلك ، ولم يشرح من كتب عنه من القدماء ذلك أيضاً ، ولم يشيروا الى اسم السلطان الذي كان يتعقبه وكان جابر يخشى منه ، هل هو المنصور أو المهدي أو الهادي أو الرشيد ؟ ولم كان ذلك ؟ ألأنه كان من الميالين الى العلويين الداعين الى امامهم ؟ أم لأنه كان من الموالين للبرامكة فغضب عليه الرشيد وأمر بالقبض عليه ، أم لأنه كان يدعي الصنعة والوقوف على أسرارها ، وتمكنه من تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب ، فهو لذلك خائف من السلطان وقد كان الخلفاء وأصحاب الجاه يتعقبون أمثال هؤلاء ، لما لذلك من أثر في السياسة العامة وفي عقول الخاصة والرأي العام

وقد أشار ابن النديم الى ثلاثة أشخاص ذكر أنهم كانوا من تلامذة جابر بن حيان ، هم : الخرقي ، وابن عياض المصري ، والإخميمي أما الخرقي ، فكل ما ذكر عنه ابن النديم أنه ينسب الى سكة الخرقي [1]

(١) الفهرست (ص ٥٠٠)

وأما ابن عياض المصري ، فلم يذكر ابن النديم من خبره ومن مؤلفاته شيئاً .[1] وقد أشار اليه في موضع آخر ، في أثناء كلامه على أبي العباس أحمد بن محمد بن سليمان ، من الرجال المشتغلين في صناعة الكيمياء كذلك وقد ذكر له كتاب الافصاح والايضاح في برانيات ، وكتاب الجامع برانيات ، وكتاب الملاغم ، وكتاب المعجونات ، وكتاب التخمير ثم قال : « ويقال إن كتاب الافصاح والإيضاح لابن عياض المصري تلميذ جابر »[2]

وأما الاخميمي ، فإنه عثمان بن سويد أبو حرى الاخميمي ، من اخميم بمصر وقد كان من المعروفين باشتغاله في صناعة الكيمياء ، وكان من المعاصرين لابن وحشية ، وله معه مناظرات ومكاتبات . وقد ذكر ابن النديم هذه الكتب له : كتاب الكبريت الأحمر ، وكتاب الابانة ، وكتاب التصحيحات ، وكتاب صرف التوهم عن ذى النون المصري ، وكتاب آلات القدماء ، وكتاب الحل والعقد ، وكتاب التدبير ، وكتاب التصعيد والتقطير ، وكتاب الجحيم الأعظم ، وكتاب مناظرات العلماء ومفاوضاتهم[3]

وهناك رجل آخر لم يشر اليه ابن النديم في جملة من أخذ العلم عن جابر ، هو : يحيى بن أحمد بكر البرمكي وقد ذكره بروكلمن استناداً الى ما جاء في مقدمة كتابه المسمى : « سراج الظلمة والرحمة في معرفة جوهر وروح وموازين وتدابير ؟ »[4]

وقد نشر المستشرق « الفريد سيكل Alfred Siggel » كتاباً من الكتب المنسوبة الى جابر حيان ، عنوانه « كتاب السموم ودفع مضارها » ، نشر نصه العربي بطريقة

---

(١) الفهرست (ص ٥٠٠)

(٢) المصدر نفسه (ص ٥٠٦)

(٣) الفهرست (ص ٥٠ ٥)

(٤) Brockelmann, Suppl., II, S. 249.

التصوير مشفوعة بترجمة ألمانية ، ومقدمة مختصرة صغيرة في جابر بن حيّان وفي النسخ العربية التي استفاد منها في ترجمته هذه ومظانها وأماكن وجودها [١]

وهذا الكتاب في السموم وخواصها وأصنافها وكيفية استخراجها وقد أخذ مؤلفه علمه بها من علم العلماء اليونان المتقدمين ، أمثال «هبوقراط Hippokrates» و« جالينوس» « Galen » و« اندروماخس Andromachos » وبعض الفلاسفة أمثال أرسطو وأفلاطون، ومن موارد فارسية ، بدليل ورود أسماء عقاقير عرفت عند الفرس و نباتات فارسية والغريب أنه أهمل اسم « ديسقوريدس Dioskurides » مع أنه من أشهر علماء اليونان في الصيدلة وتركيب الأدوية والسموم ، وهو نفسه صاحب مؤلف في السموم [٢]

وقد ذكر المؤلف بعض الأدوية وقال إنه أشار اليها في مؤلفين له ، هما : كتاب الطب الكبير ، وكتاب في الأدوية المفردة [٣]

ولم ينص ابن النديم الذي ذكر أسماء أكثر كتب جابر بن حيان على هذين الكتابين بالاسم ، ولكنه ذكر أنه ألف كتاباً عظيماً في الطب . وألف كتباً صغاراً وكباراً نحواً من خمس مئة كتاب في هذا الموضوع كذلك [٤] وقد سبق للمؤلف نفسه أن دعا كتابه في الصفحات الأولى المتقدمة بـ «الكتاب الكبير في الطب » [٥]، وهو يقصد ذلك الكتاب ولا شك

وذكر مؤلف السموم اسم مؤلف آخر له سماه « كتاب المزاج » وأشار الى أن له

(١) راجع عنه ، المجلد الخامس من الجزء الثاني من مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية (الصفحة ٢٨٦) ، Brockelmann, Suppl., I, S. 225

(٢) Siggel, S. 5.

(٣) راجع (ص ١٩٢ ب)

(٤) الفهرست (ص ٥٠٣)

(٥) (ص ٩٩) من النص العربي و ص ١٧ من الترجمة الألمانية)

مؤلفات عديدة أخرى [١] ثم ذكر اسم كتابين آخرين له ، هما : كتاب الفلسفة ، وكتاب الخواص [٢] كما ذكر كتاباً آخر اسمه كتاب الحيوان [٣] ، وكتاباً آخر في النبات سماه كتاب النبات [٤] ، وذكر أنه ألف كتاباً في الموازين ليرجع اليه الباحثون في تركيب الأدوية ، وقد سماه « كتب الموازين » [٥] ، وكتاباً آخر باسم كتاب الضمير [٦]

هذا وقد أشار في متن هذا الكتاب الى كتب أخرى ذكر أنه ألفها ، منها : كتاب النواميس ، وكتاب الرد على افلاطون ، وكتب الموازين المئة والأربعة والأربعين [٧] ، وكتب الحيل الحربية والمكايد [٨] ، وكتاب الحشائش وكتاب الحجارة [٩]

ويساعدنا فهرست ابن النديم مساعدة كبيرة في تعيين هذه الكتب ، ففيه جريدة طويلة بأسماء كتب منسوبة الى جابر بن حيان ، وفي ضمنها أكثر الكتب المذكورة ؛ مثل : كتاب الخواص ، وكتاب الحيوان ، وكتاب النبات [١٠] ، أما الكتاب الذي سماه « كتب الموازين الأربعة والأربعين » ، فلم يرد بهذا الاسم في الفهرست ، لكننا نجد في هذه الجريدة كتابين لهما علاقة به ، هما : كتاب الميزان ، وكتاب الموازين [١١] فلعلهما

---

(١) « ص 7 a » من النص العربي والصفحات ٥١ و (٨١) من الترجمة الألمانية

(٢) (ص 33 a من النص العربي و ص 42 من الترجمة الألمانية)

(٣) (وأوضحنا ذلك في كتاب الحيوان ، ص 42 a من النص العربي)

(٤) « الصفحة 52 b من النص العربي »

(٥) الصفحة 58 a من النص العربي و 69 من الترجمة الألمانية

(٦) الصفحة 132 b من النص العربي و 140 من الترجمة الألمانية

(٧) ص 134 b من النص العربي ، ص 142 من النص الألماني

(٨) ص 36 b من النص العربي ، ص 14+ من النص الألماني

(٩) ص 115 a و 115 من النص العربي ، ص 125 من الترجمة الألمانية

(١٠) الفهرست (ص ٥ وما بعدها)

(١١) المصدر نفسه

هذا الكتاب ، أو لعل أحدهما هو الكتاب المذكور

أما كتاب الحجارة ، فلا نجد له ذكراً بهذا الاسم في « الفهرست » ، لكننا نجد فيه أسمي كتابين ذكرهما ، قد تكون لهما علاقة بهذا الموضوع ، هما : كتاب الأحجار ، وكتاب الأحجار الثاني ، ثم نجد استطراداً ورد بعد ذلك ، قد تكون له علاقة بهذا الكتاب ، هذا نصه : « ... ثم يتلو ذلك رسائل في الحجر : أولى ، ثانية ، ثالثة ، رابعة ، خامسة ، سادسة ، سابعة ، ثامنة ، تاسعة ، عاشرة ، ولا أسماء لها وله بعد ذلك عشر رسائل في النبات : أولى الى العاشرة ، وله في الأحجار عشر رسائل على هذا المثال فذلك سبعون رسالة » [1]

ويظهر من كلام صاحب الفهرست أن ما سماه بـ « رسائل في الحجر » ، وهي عشر رسائل ، هو الشيء الذي قال عنه نفسه بعد كلمات ، قال : « وله في الأحجار عشر رسائل على هذا المثال » ، وأن الشيئين المذكورين هما شيء واحد ، وهو كتاب يتضمن عشر رسائل عن الأحجار ، وأن هذه الرسائل هي قوام كتاب الحجارة المذكور في كتاب السموم

وأما أسماء كتاب النواميس وكتاب الرد على أفلاطون وكتاب الحيل الحربية والمكايد وكتاب الحشائش ، فلم ترد في هذه الجريدة ولست أستبعد وقوف « ابن النديم » عليها وذكره لها في هذه الجريدة ، ولكن باسم آخر وبعنوان يختلف عن هذا العنوان الذي ذكره المؤلف في كتابه في السموم ففي «الفهرست» اسم كتاب دعاه « كتاب مصححات فلاطون » ، في جملة كتب نسبها الى المؤلف دعاها مصححات هي : « كتاب مصححات فيثاغورس ، كتاب مصححات سقراط ، كتاب مصححات فلاطون ، كتاب مصححات

(١) الفهرست (ص ٢٠٥)

أرسطوطاليس ، كتاب مصححات أرسنجانس ، كتاب مصححات أركاغانيس ، كتاب مصححات أمورس ، كتاب مصححات دمقراطيس ، كتاب مصححات جربي ، كتاب مصححاتنا نحن »[1] ، ويقصد بذلك تصحيحات آراء وأفكار هي أوهام وأغلاط في نظر المؤلف فلعله قصد بـ « كتاب مصححات فلاطون » هذا الكتاب الذي ذكره المؤلف نفسه وسماه « كتاب في الردّ على أفلاطون »

وقد أفادنا مؤلف كتاب السموم فائدة كبيرة بذكر أسماء هذه المؤلفات وبالنص عليها ، كما أفادنا في تكوين رأي فيه وفي البحوث والموضوعات التي اشتغل بها وبحث فيها ويظهر من هذا المذكور أنه كان واسع الاطلاع ، ذا علم بالعلوم ، وأنه على طريقة ذلك العهد وأسلوب الموسوعيين شَغَلَ نفسه وألف في معظم بحوث المعرفة الإنسانية ، وأنه كان نشيطاً جداً كما يظهر ذلك من أسماء هذه الكتب ، ومن أسماء كتب أخرى منسوبة اليه

ومما يلاحظ على هذا الكتاب أنه خلو من ذكر اسم الإمام جعفر الصادق وقد جرت عادة المؤلف ذكره في كتب الصنعة والكيمياء ، كما جرت عادة المشتغلين بالصنعة وبالكيمياء ذكره أيضاً باعتباره من المؤسسين للموضوعين ومن الواقفين على السرّ فيهما ، وأنه أخذ هذا السر من آبائه عن علي بن أبي طالب عن الرسول .

ولم يذكر ابن النديم اسم هذا الكتاب الذي أتحدث عنه : « كتاب السموم ودفع مضارها » ، مع أنه ذكر في جريدته المذكورة أسماء أكثر كتب جابر بن حيان : وقد أخذها كما يقول عن فهرست كبير ، زعم أنه له ، أي لجابر بن حيّان ، دوّن فيه جميع ما ألف في الصنعة وغيرها ، وفهرست آخر صغير يحتوي على ما ألف في الصنعة فقط . ثم لم يكتف — كما يقول ابن النديم — بذلك ، بل ذكر جملاً من كتبه رآها « وشاهدها

(١) الفهرست (ص ٥٠٧)

الثقات فذكروها » له [1] كما أورد بعض العبارات التي تدل على نقله من ذلك الفهرست ، كقوله : « قال محمد بن اسحاق ، قال جابر في كتاب فهرسته : ألفت بعد هذه الكتب ثلاثين رسالة لا أسماء لها ، ثم ألفت بعد ذلك أربع مقالات وهي ... » وقوله : « قال أبو موسى : ألفت ثلاث مئة كتاب في الفلسفة ...... » [2]

ولم يشر ابن النديم الى هـذا الكتاب كذلك في أثناء كلامه على الكتب المؤلفة في السموم ، مع أنه ذكر كتباً فيها مثل كتاب السمومات لابن البطريق ، وكتاب السمومات للهند ، وكتاب السمومات ودفع ضررها للكندي ، وكتاب السمومات ودفع مضارها لقسطا بن لوقا ، وقد ذكر كتاباً دعاه : كتاب السمومات وتركيبها وأصولها ، لكنه لم يذكر اسم مؤلفه ، وكل ما ذكره عنه أنه يقع في نحو خمسين ورقة [3]

هـذا ولا بد لي من التنويه هنا بأهمية الموازنة بين هذا الكتاب والكتب العربية الأخرى الواردة في السموم ولكتب السموم منزلة كبيرة في البحوث العلمية عند العرب وعند القدماء عموماً وقـد ألف اليونان والهنود والفرس فيها كتباً ، نقلت بعضها الى العربية وقد اعتنى بها رجال السياسة في ذلك العهد عناية خاصة ، وكانوا يستدعون العلماء المشتغلين بالسموم اليهم ، ويطلبون منهم التأليف فيها والبحث في ايجاد سموم جديدة وفي إبطال مفعول السموم ، إذ كان السم في ذلك العهد من أهم الأسلحة الفتاكة التي تستعمل في القضاء على الخصوم والأعداء ، وفي التخلص من المواقف المحرجة ، كسلاح في أيدي عدوّ يعلم أنه سيقضى عليه حتماً ، وسيمثل به شرّ تمثيل ، ويتفنن في تعذيبه قبل أن يلحقه بالعالم الثاني ، تشفياً منه ، وتنفيـذاً للعواطف الاثيمة التي تستولي على بعض النفوس .

(١) الفهرست : ص ٥)

(٢) الفهرست (ص ٢ ٥ وما بعدها)

(٣) الفهرست (ص ٤٤)

وهناك آلاف من الضحايا السياسيين ، قضي عليهم بدس السم لهم في طعامهم أو شرابهم من حيث لا يعلمون

هذا وقد نشر أحد المستشرقين ، وهو « أرگث يحيي هولميارد Erig John Holmyard » في سنة ۱۹۲۸ م مجموعة من المصنفات المنسوبة الى « جابر » في الكيمياء تحتوي على رسائل يقع بعضها في جملة أوراق ، نشرت في كتاب واحد بهذه العناوين : كتاب البيان ، وكتاب الحجر ، وكتاب النور ، وكتاب الايضاح ، وكتاب أسطقس الأس الأول على رأي الفلاسفة ، وكتاب أسطقس الأس الثاني ، وكتاب أسطقس الأس الثالث ، وكتاب تفسير الأسطقس ، وكتاب التجريد ، وكتاب المنفعة ، وكتاب الرحمة الصغير ، وكتاب الملك [1]

وكتاب البيان ، هو ثماني صفحات من صفحات هذا الكتاب الحاوي على الرسائل المذكورة وقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم [2] وكتاب الحجر ۲۸ صفحة . وكتاب النور ثلاث صفحات ، وكتاب الايضاح ثماني صفحات ، وكتاب أسطقس الأس الأول ، ست عشرة صفحة ، وكتاب أسطقس الأس الثاني ، ثماني عشرة صفحة فأما كتاب أسطقس الأس الثالث ، أربع عشرة صفحة ، وكتاب الأسطقس عشر صفحات ، وكتاب التجريد ست عشرة صفحة ، وكتاب المنفعة صفحتان ، وكتاب الرحمة الصغير احدى عشرة صفحة ، وكتاب الملك اثنتا عشرة صفحة

ونرى من هذا التعداد أن ما قيل له كتاب ، هو في الوقع رسالة . وأن تلك الكتب هي رسائل بعضها رسائل صغيرة ، لو أعيد طبعها لكانت في حدود صفحة واحدة ليس غير وقد جمعها أرگث يحيي هولميارد هذا ، وطبعها كلها في نحو (۱۷۲) صفحة وهي لو

---

(۱) طبعت بمدينة (باريس) بمطبعة « Paul Geuthner »

(۲) ص ٥

طبعت من غير فراغات لجاءت أقل من هذا العدد بكثير

وقد ورد في هذه الرسائل أسماء مؤلفات أخرى للمؤلف أحال القارىء عليها ، ويظهر أن من أسلوبه في مؤلفاته الإشارة الى أسماء كتبه ، ليحيل القارىء عليها عند بحثه في موضوع قد يصعب فهمه عليه وقد أفادنا بالطبع في طريقته هذه ، إذ أرشدنا الى بعض مؤلفاته ، ومكننا من الوقوف عليها ومن رجوعنا الى فهرست ابن النديم لمقارنها بأسماء الكتب الواردة في هذا الفهرست نرى أنها من كتب جابر بن حيان .

ومن هذه الكتب التي وردت أسماؤها في هذه الرسائل : كتاب الحيوان ، وكتاب الحجر ، وكتاب النباتات [١] ، وكتاب الامامة [٢] وكتاب السبعين [٣] ، وكتاب الباه وتولد الجنين [٤] ، وكتاب المئة وأربعة وأربعين [٥] ، وكتاب الرحمة [٦] ، وكتاب الذكر والأنثى [٧] ، وكتاب المني [٨] ، وكتاب الخمائر ، وكتاب الكمال [٩] ، وكتاب التدابير في الخمائر [١٠] ، وكتاب غرض الأغراض [١١] ، وكتاب النظم ، وكتاب الملك من الخمسمئة ، وكتاب صفة الكون [١٢] ، وكتاب المفرد [١٣] ، وكتاب الاثنين والثلاثين [١٤]

(١) هولمیارد : مصنفات في علم الكيمياء (ص ١٧)
(٢) المصدر نفسه (ص ٢٢) .
(٣) كذلك (ص ٢٤ ، ١٤٩)
(٤) كذلك (ص ٣٢)
(٥) كذلك (ص ٣٦)
(٦) المصدر نفسه (ص ٤٥)
(٧) كذلك (٨٤)
(٨) كذلك (ص ٨٥)
(٩) « (ص ١٠٤)
(١٠) « (ص ١٠٥ ، ٩٠)
(١١) « (ص ١١٧)
(١٢) « (ص ١٤٩)
(١٣) « (ص ١٥٥)
(١٤) « (ص ١٥)

أما كتاب الحيوان ، فقد ورد اسمه في كتاب السموم ، وذكره ابن النديم كما قلت وأما كتاب الحجر ، فيظهر أنه الكتاب الذي ورد ذكره في كتاب السموم باسم كتاب الحجارة الذي تحدثت عنه من قبل وأما كتاب النبات ، فقد تحدثت عنه كذلك ، وقد ورد اسمه في كتاب السموم . وأما كتاب الامامة ، فلم يرد له ذكر في كتاب السموم ولا في فهرست ابن النديم ، ولم يشر اليه « بروكلمن » كذلك [١] وأما كتاب السبعين ، فالظاهر أنه كان رسائل يبلغ عددها سبعين رسالة ، أطلق على كل رسالة منها عنوان : كتاب ، ويفهم ذلك صراحة من هذه الجمل الواردة في فهرست ابن النديم : « وله بعد ذلك سبعون كتاباً ، منها : كتاب اللاهوت ، كتاب الباب ، كتاب الثلاثين كلمة ، كتاب المني ، كتاب الهدى ، كتاب الصفات ، كتاب العشرة ، كتاب النعوت ، كتاب العهد ، كتاب السبعة ، كتاب الحى ، كتاب الحكرمة ، كتاب البلاغة ، كتاب المشاكلة ، كتاب خمسة عشر ، كتاب الكفؤ ، كتاب الاحاطة ، كتاب الراوق ، كتاب القبة ، كتاب الضبط ، كتاب الاشجار ، كتاب المواهب ، كتاب المخنقة ، كتاب الاكاليل ، كتاب الخلاص ، كتاب الوجيه ، كتاب الرغبة ، كتاب الخلقة ، كتاب الهيأة ، كتاب الروضة ، كتاب الناصع ، كتاب النقد ، كتاب الطاهر ، كتاب ليلة ، كتاب المنافع ، كتاب اللعبة ، كتاب المصادر ، كتاب الجمع فهذه أربعون كتاباً من السبعين كتاباً ثم يتلو ذلك رسائل في الحجر : أولى ، ثانية ، ثالثة ، رابعة ، خامسة ، سادسة ، سابعة ، ثامنة ، تاسعة ، عاشرة ، ولا أسماء لها وله بعد ذلك عشر رسائل في النبات : أولى الى العاشرة وله في الاحجار عشر رسائل على هذا المثال . فذلك سبعون رسالة » [٢] . وقد أشار الحاج خليفة في كشف الظنون

---

(١) Brockelmann, Suppl., I, S. 427. ff.

(٢) الفهرست (ص ٥٠١ وما بعدها)

الى كتاب لجابر سماه « كتاب السبعين في الصنعة » [١] ، والظاهر أنه يقصد هذه الرسائل السبعين

وأما كتاب « الباه وتولد الجنين » ، فلم يرد له ذكر في فهرست ابن النديم ولا لدى « بروكلمن » وهو كما يظهر من عنوانه ومن ورود اسمه في موضوع طبي حيواني ، في النطفة وفي تولد الجنين وفي الفرق بين الطبيعتين ، طبيعة الرجل وطبيعة الأنثى [٢]

وأما كتاب « المائة وأربعة وأربعين » ، فالظاهر أنه على نمط كتاب السبعين ، مجموعة رسائل وأبواب دعيت كل رسالة بكتاب ، يبلغ مجموعها (١٤٤) رسالة ولكل رسالة عنوان قائم بذاته وتكون كلها مجموعة تبحث في « الطعوم » ، وذلك كما يظهر من عبارة المؤلف في « كتاب الحجر » حيث يقول : « وقد توسعنا في ذكرها في سائر كتبنا فخذ الألوان من السبعين ، والأرايح من كتبنا في الكيفيات ، والطعوم من كتبنا من المئة وأربعة وأربعين خاصة فإنا قد استقصينا كلاً من ذلك بحسب طبقته في موضعه الخاص به من كتبنا » [٣] ولم أجد في الفهرست اشارة الى هذا الكتاب أو مجموعة تدعى : المئة وأربعة وأربعين

وأما كتاب المني ، فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم [٤] وأما كتاب الخمائر ، فلم يذكره ابن النديم بهذا العنوان ، بل ذكر ثلاثة كتب في عنوانها لفظة واحدة زائدة على هذا العنوان هي : كتاب الخمائر الكبير ، وكتاب الخمائر الصغير ، وكتاب فضلات الخمائر [٥] فلا أدري أي كتاب من هذه الكتب الثلاثة قد يكون ذلك الكتاب المذكور

---

(١) كشف الظنون (٥/٩٣)

(٢) « وتكلمنا في كتبنا الطبيعية والطبية وفي كتاب الباه وتولد الجنين وقلنا : إن الأنثى أرطب مزاجاً من الذكر ، وإن الذكر أكثر نارية ويبساً من الانثى ... » (ص ٣٢) من هولميارد

(٣) هولميارد (ص ٣٦)

(٤) (ص ١ ٥)

(٥) ص ٥ وما بعدها

ويفهم من فهرست ابن النديم أن صاحب كتاب الخمائر كان قد ألف كتاباً مطولاً في الخمائر، ثم عاد فاختصره وعنونه بـ «كتاب الخمائر الصغير»، ليكون مرجعاً قريباً من الراغبين في البحث في الخمائر. أما كتابه الآخر «فضلات الخمائر»، فيجوز أن يكون جزءاً أسقطه من كتاب الخمائر الكبير، ويجوز أن يكون كتاباً مستقلاً وضعه في الفضلات المتولدة من الخمائر

وقد أشار بروكلمن الى كتاب آخر في هذا الموضوع دعاه «كتاب واحد الخمائر»[١] لا أدري أكان أحد هذه الكتب المذكورة، دخل على عنوانه بعض التحريف، أم كان كتاباً آخر ألفه في هذا الموضوع

وأما كتاب التدابير في الخمائر، فلم يذكره ابن النديم ولكنه ذكر كتابين قد يكون لأحدهما أو لكليهما صلة به، اسم أحدهما «كتاب التدابير الرائية»، واسم الآخر «كتاب التدابير» وقد وضع ابن النديم بعد اسم الكتاب الثاني كلمة «اخر»[٢] بمعنى أن هذا الكتاب الثاني، هو كتاب آخر يختلف في بحثه عن ذلك الكتاب فلعل لأحد الكتابين المذكورين علاقة بكتاب التدابير في الخمائر وقد أورد بروكلمن اسم كتاب دعاه: «كتاب التدابير»[٣] قد يكون هو هذا الكتاب الذي نبحث عنه، وقد يكون الكتاب الآخر الذي أشار اليه صاحب الفهرست، وذلك إذا كان كتاباً آخر لا علاقة له بذلك الكتاب

وأما كتاب غرض الأغراض، فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم، لكن بهذه الصورة: «عرض الأعراض»[٤] وهذا الفرق الذي نراه في العنوانين نشأ من تصحيف

(١) Brockelmann, Suppl., I, S. 428.

(٢) الفهرست (ص ٥

(٣) Brockelmann, Supp., I, S. 428, Asaf., III, 578,

(٤) ص ١ ٥

النســاخ

وأما كتاب النظم ، فقــد ورد اسمه في فهرست ابن النديم [1] وأما كتاب الميزان المفرد ، فلم يرد بهذا العنوان في فهرست ابن النديم ؛ وانما ذكر ابن النديم كتاباً آخر سماه كتاب الميزان ، قد تكون له صلة بهــذا الكتاب [2] وأما كتاب صفة الكون ، فلم يذكره ابن النديم ولم يذكر ابن النديم اسم كتاب الاثنين والثلاثين كذلك والظاهر أن هذا الكتاب هو مجموعة رسائل على النمط الذي رأيناه ، يبلغ عددها اثنين وثلاثين ، فأطلق عليها هذا العنوان

وأما كتاب الخواص الكبير ، فقد أشــار اليه « الحاج خليفة » ، في أثناء كلامه على كتاب السرّ الربّاني في علم الميزان لعلي بيك الروحي ، فقال ان هذا المؤلف قد استعان بكتاب الخواص الكبير لجابر ؛ وإنه أراد اظهار هذا السرّ سرّ الميزان ، الذي لم يشر اليه غير بليناس [3] وقال في موضع آخر إنه « إحدى وسبعون مقالة ؛ أوله : الحمد لله كما هو أهله ومستحقه الكريم ... الخ بحث فيه في خواص الأشياء المتعلقة بالكاف » [4]

هذا ، وقد نقل « سيكل Alfred Siggel » في فهرست المخطوطات الكيمياوية العربية المحفوظة في خزائن الكتب الألمانية » نتفاً من صفحات كتاب منسوب الى جابر ، اسمه كتاب المقابلة والمماثلة ، وقد وردت فيهــا أسماء كتب أخرى للمؤلف ، منها : كتاب السرّ المكنون ، وكتاب الحاصل ، وكتاب النظم وفيها أيضاً قوله : « إني لما صنفت كتابنا المقابلة التي يكفي به (?) ، وفسرت فيه الكتابين وذكر الآخرة والأخبار الأربعة (?) الذين ذكرتهم فيه ، عرضته على سيدي جعفر بن محمد عليه السلام ، فقال له (?) : اقرأه علي

---

(١) الفهرست (ص ١٠٥)

(٢) ص ٢٠٥

(٣) كشف الظنون (٢/٦٩٣)

(٤) المصدر نفسه (٥/٨٢)

فلما قرأته عليه ، قال لي : ما ظننت بك يا جابر أن تسمح لنفسك بهذا (؟) السماحة في كشف الحكمة المصونة والعلم الالهي ... »[1]

هذا . وقد ذكر بروكلمن كتاباً منسوباً الى جابر سماه « كتاب في الطلسم ونحورات الكواكب للمماثلة والمقابلة »[2] . قد تكون له علاقة بهذا الكتاب فقد وردت في هذه النتف هذه العبارات : « .. إنا قد وفينا بما قد وعدنا في كتابنا الذي سميناه بكتاب المقابلة ، وذلك أنا قد قلنا في غير موضع إن موضع الميزان والطلسمات واستخدام العلويات إنما هو على المقابلة والمماثلة ... نظرت الى ذلك من أي قسم من أقسام الطبائع هي .. »[3] ، ولهذه الكلمات بعض الصلة بالموضوع

وقد أورد بروكلمن أسماء عدد من الكتب المنسوبة الى جابر بن حيّان ، وسمى بعض خزائن الكتب التي قد توجد فيها[4] وبعض هذه الكتب مذكور في فهرست ابن النديم ، وبعضه غير مذكور ولهذا فان قائمة بروكلمن وأسماء الكتب التي فيها والواردة في ثنايا الكتب والرسائل المنسوبة الى جابر بن حيان ، تزيد في عدد الكتب التي ذكرها ابن النديم ، وتزيد في علمنا نحن بهذه الكتب العديدة والثروة العلمية القيمة المنسوبة الى جابر ابن حيان .

وقد أشار أبو القاسم محمد بن أحمد العراقي السماوي ، من رجال القرن السابع للهجرة على ما يظن[5] ومن المشتغلين بالكيمياء أيضاً . الى كتاب لجابر اسمه « كتاب الروضة » ،

(١) Alfred Siggel, Katalog der Arabischen Alchemistischen Handschriften Deutschlands, 1949, S. 15.

(٢) Brockelmann, Suppl., I, S. 429, Num. 6?

(٣) ص ١٠

(٤) Brockelmann, Suppl., I, S. 426, ff.

(٥) Holmyard, Kitab Al-'ilm al-muktasab fi Zira'at adh-dhab, P. 5.

وهو في الكيمياء على مايظهر ، لنقله منه فقرات في « باب التكليس »[1]، وذكر كتاباً آخر اسمه « كتاب الابدال من الخمس مئة » ، ونقل منه أيضاً [2] والظاهر أن هذا الكتاب هو في الفلسفة ، وفي أمور في الصناعة وفي غيرها مما لها علاقة بالفلسفة كما يتضح ذلك من الكتاب المنسوب الى جابر المتضمن مؤلفاته ، وقد ورد فيه : « ثم ألفت بعد ذلك خمس مئة كتاب ، نقضاً على الفلاسفة » [3]

ووردت في « كتاب درة الغواص وكنز الاختصاص في علم الخواص » للجلدكي أسماء بعض كتب أفاد من النقل منها ، نسبها الى جابر ، هي : الرسائل الجابرية في الخواص والموازين ، وكتاب المقاصد ، وكتاب التجميع ، وكتاب روضة الفلاسفة [4] ونقل المؤلف في كتابه المسمى « كتاب انوار الدرر في إيضاح الحجر » من كتاب آخر نسبه الى جابر بن حيّان ، هو « كتاب الأطيان » [5]

وقد استند ايدمر بن علي الجلدكي في كتابه البرهان في أسرار علم الميزان ، وهو كتاب يقول فيه الحاج خليفة إنه كتاب كبير يقع في أربعة أجزاء كبار ، الى « كتاب جابر في الاجساد » ، وحل فيه غالب كتاب الموازين لجابر ، كما استعان بكتاب « بليناس » في الأجساد الأربعة [6] ، وذكر له كتاباً آخر اسمه « روح الأرواح في الإكسير » [7] .

---

(١) المصدر نفسه (ص ٣٦ .

(٢) كذلك (ص ٤٦)

(٣) الفهرست (ص ٥٠٣)

(٤) « روضة الفلاسفة جابر المذكور ، اعني صنعة الكيمياء وعمل الإكسير » ،

A. Siggel, Kata. Arab. Alch., S. 74. ff.

(٥) ص ٢٢ ، ٢٨ ، A. Siggel, S. 84.

(٦) كشف الظنون (٢/ ٤٨)

(٧) المصدر نفسه ، ٢/ ٨٢)

وقد وردت نقول في « كتاب الكنز في ذلك الرمز » ، وهو من الكتب المحفوظة في خزانة الكتب البروسية في برلين من كتب جابر وقد رجع مؤلفه ، وهو مجهول عندنا لم يرد اسمه في الكتاب ، الى جملة كتب من كتب جابر ، منها كتاب سماه « العلم المخزون والمعروف » [1]

وورد في « كتاب الفتوحات الغيبية في تدبير الأرواح الحكمية » ، لمؤلف مجهول يظن أنه عبد الكريم بن يحيي بن عثمان المراكشي ، ذكر كتاب من كتب جابر اسمه : « كتاب الصافي من الخمس مئة » ، ويظهر أنه من هذه المجموعة المعروفة بالخمس مئة كتاب التي أشرت اليها فيما سلف وقد اقتبس منه في الفصول التي عقدها في « المركبات » [2]

وورد في « كتاب الجوهر النضير في صناعة الإكسير » لمحمد بن عبد الله الطغرائي ، ذكر لكتابين من الكتب المنسوبة الى جابر ، هما : كتاب المجردات ، وكتاب الكشف [3]

وقد كانت لجابر بحوث في الفلك والأسطرلاب ذكر محمد بن سعيد السرقسطي المعروف بابن المشاط الأسطرلابي الأندلسي « أنه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفاً في عمل الأسطرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظير لها » [4] وقد ذكر ابن النديم أسماء كتب له في علم الهيئة والفلك وفي شرح المجسطي وغير ذلك من العلوم

وذكر الحاج خليفة في كشف الظنون كتباً أخرى لجابر ، هي كتاب علل المعادن ، وقال إن أوله : « الحمد لله الذي خلق الأشياء من قدرة الخ .. » ؛ وكتاب العلم المخزون في

(١) A. Siggel., Kat. S. 95.

(٢) A. Siggel, Kat., S. 100, f.

(٣) A. Siggel, Kata., S. 144.

(٤) ابن القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ١١١) .

الصنعة [١] وكتاب الاحراق ، وقال : إن أوله « الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت .. » [٢] و « كتاب الخالص في الكيمياء للشيخ جابر بن حيّان الطرسوسي ، وقيل الطوسي امام علم الكيمياء المتوفى سنة ١٦٠ ، ذكر فيه أسرار الصنعة » [٣]

وكتاب الشعر [٤] ، وقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم [٥] ، و « كتاب الصافي من الخمس مئة » وقال : أن أوله « الحمد لله المجازي بالاحسان المتفضل بالغفران » ، وهو ورقة كما يقول الحاج خليفة [٦] . وهناك رسائل على هذا النحو يُخالُ من أسمائها أنها كتب ، وهي ورقة أو جملة أوراق

وقد يكون كتاب العهد المبتدأ بهذه الجملة : « هذا كتاب العهد اليكم يا بني الأكارم ... » ، من هذا القبيل فقد أشار الحاج خليفة الى أنه مختصر [٧] وأما كتاب القمر في الصنعة ، فهو من جملة المئة والاثنى عشر كتاباً ، وقد أشار الحاج خليفة اليه كذلك [٨] وأما كتاب المعادن ، فالظاهر أنه كتاب علل المعادن الذى مرّ ذكره ، وذلك كما يفهم من إشارة الحاج خليفة اليه ، وهو في علل المعادن وأسبابها [٩]

---

(١) كشف الظنون (٤/٢٤٦ وما بعدها)

(٢) المصدر نفسه (٥/٣٤)

(٣) المصدر نفسه (٥/٧٩)

(٤) « كتاب الشعر لجابر بن حيان الفيلسوف الطوسي المتوفى سنة ١٦٠ » ، كشف الظنون (٥/١٠٤)

(٥) الفهرست (ص ٥٠)

(٦) كشف الظنون (٥/١٠٦)

(٧) كشف الظنون (٥/ ١٢)

(٨) المصدر نفسه (٥/١٢٧)

(٩) كذلك (٥/١٠٢)

ونسب الحاج الخليفة كتاباً آخر الى جابر اسمه : كتاب النخب ، وقال إنه في مجلدين [١]
وأما كتاب منافع الحجر ، فهو من المختصرات ، وقد ذكر الحاج خليفة أن جابراً قد أودع فيه أسراراً كثيرة من الصنعة [٢] وذكر له كتاباً آخر اسمه مهج النفوس ، ولم يذكر شيئاً عنه [٣] وكتاباً آخر أيضاً اسمه نهاية الأدب [٤]

ولتكوين رأي صحيح صادق في علم جابر ومصادره ، وفي حقيقة هذه الكتب والرسائل المنسوبة اليه ، لا بد من الرجوع الى المتبقى منها من مخطوط أو مطبوع والى المقتبسات من كتبه في الكتب الأخرى ، لدراستها دراسة علمية عميقة ، وتحليلها تحليلاً يؤدي الى معرفة العناصر التي كونت هذه الكتب والرسائل ، والزمن الذي دونت فيه ، وذلك يحتاج بالطبع الى وقت طويل يقضى في استيعاب موضوعاتها ودرس أساليب التعبير عن الموضوعات العلمية في ذلك العهد وفي المصطلحات التي كانت شائعة أيام جابر وفي مقارنات بالكتب المؤلفة في هذا الباب

وبين هذه المؤلفات ما ورد اسمه في فهرست ابن النديم كما رأينا ، أو في موارد قديمة أخرى ، ولهذا لا نستطيع الشك في وجودها في أيام من أشار اليها او في أيام سابقة لأيامهم ويمكن التأكد منها أيضاً بمقابلتها أو بمقابلة نتف منها ، إن كانت قد فقدت ولم يبق منها غير نتف ، بالمقتبسات منها في مؤلفات آخرين وسترينا هذه الطريقة بالطبع درجة التطابق والتوافق أو الاختلاف ، وهي طريقة تساعدنا ولا شك في تعيين الأصل ، وصحة النسبة الى المؤلف وستوصلنا الى معرفة أقدم مورد أشار الى الأثر ، والزمن الذي تنتهي عنده أقوال الرواة

(١) كشف الظنون (٥/١٦٣)
(٢) المصدر نفسه (٦/١٤٠)
(٣) كذلك (٦/٢٧٣)
(٤) كذلك (٦/٣٩٦)

ونظراً الى ما في بعض هذه الكتب والرسائل من مصطلحات وتعابير تشعر أن صاحبها من المعتقدين بالإمامة . وانه على رأي الإسماعيلية الباطنية ، لاستعماله مصطلحاتهم وتعابيرهم وآرائهم في بعض هذه الرسائل ، لذلك وجب مطابقتها ومقارنتها بما ورد منها في رسائل اخوان الصفاء وفي كتب الباطنيين ، والرجوع الى تواريخ ابتداء ظهور تلك المصطلحات لنتوصل بذلك الى أصل هذه المؤلفات المنسوبة الى جابر . وللوقوف على مذهب جابر إن صح أنها له ، أو وقت وضعها عليه ونسبها اليه ، إن ظهر أنها لا يمكن أن تكون من الأيام التي عاش فيها جابر ، لوجود موانع تأريخية تمنعنا من الأخذ بنسبة هذه الآثار اليه

ولا بد كذلك من الرجوع الى الشروح التي وضعها العلماء ولا سيما المتقدمين منهم على كتب جابر ، مثل شرح أبو قران النصيبيني على كتاب الرحمة وأبو قران من أصحاب صناعة الكيمياء ، وهو ممن يشير اليه أهل هذه الصناعة ويقدمونه ويفضلونه [١] وشرح ابن أبي العزاقر ، وهو أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني على كتاب الرحمة [٢] والشلمغاني من الشخصيات المعروفة المشهورة في تأريخ الشيعة . وقد اتهم بالزندقة وبالاحتيال وبأمور أخرى يخرجنا سردها هنا من صلب هذا الموضوع

وشرح « محمد بن منكيمشين » كتاب الرحمة في الكيمياء ، شرحه ليسهل على طلابه الوقوف عليه وفهمه و « رحمة على الطلاب المخدوعين وتقرباً الى الله تعالى به وشرح منه أصول الصنعة التي لا غناء من الطالبين عنها » [٣]

والحديث في الكيمياء يجرنا الى الحديث في موضوعات أخرى لها صلة شديدة بالكيمياء ، بل هي في الواقع فروع من هذا العلم ، مثل السموم وعمل الصيدنة « الصيدلة » وصنعة

(١) الفهرست (ص ٥٠٠)

(٢) المصدر نفسه (ص ٧ ٥)

(٣) كشف الظنون (٥/٨٠)

العطور وكتب الصنعة بصورة عامة

وصناعة الكيمياء في نظر علماء ذلك العهد ، هي صنعة الذهب والفضة من غير معادنها [1] ويقصدون بذلك صنع الذهب والفضة من معادن أخرى خسيسة ذات ثمن بخس ، أبخس من ثمن المعدنين ، وذلك بتحويل خصائص المعادن الخسيسة بالطرق الكيمياوية الى خصائص الذهب أو الفضة ، ومتى تغيرت هذه الخواص وا كتسب المعدن الخسيس خواص جديدة هي خصائص معدن الذهب أو الفضة صار ذلك المعدن ذهباً أو فضة بحسب نوع التحويل

والكيمياء في نظر أولئك العلماء ، علم قديم جداً ، ينسبه بعضهم الى موسى وهارون فيذكرون أن الله أوحى بسرّ هذه الصناعة اليهما ، فتعلماه منه . وذلك لما رأى الله أن قارون ، وكان يتولى لهما ، كبر وتجبر لما كثر عنده الذهب والفضة وكنز الكنوز ، وسطا عما عنده من الأموال ، فعاقبه الله بدعاء موسى ويذكرون أيضاً أن هذه الصنعة كانت معروفة قبل « هرمس » بألوف سنين ، وأن « هرمس » كان عند بعضهم أول من تكلم على علم الصنعة

جواد علي — للبحث صلة —

(١) الفهرست (ص ٤٩٣ وما بعدها)

مؤلف جمهرة أشعار العرب

في آثار المسلمين من عرب وغيرهم كتب بارعة متقنة التأليف والتصنيف ، جليلة الفوائد كثيرة التداول ، قد استبهمت سير مؤلفيها ، وندرت أخبارهم أو عدمت من نسخ أحياناً ، وبدّلت أسماؤهم في نسخ أحياناً أخرى ، ومن الكتب التي غمضت سير مؤلفيها « جمهرة أشعار العرب » وقد طبع هذا الكتاب الجليل غير مرة وكتب عليه « تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي »

ومعرفة سيرة هذا المؤلف المجيد وعصره وموطنه ضرورية في دراسة تاريخ الأدب العربي فضلاً عن دراسة الأدب العربي نفسه ، وقد تعتمد دراسة الشعر العربي خاصة على العلم بذلك ألا ترى أن الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - قد اعتمد على وفاة أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي هذا في كلامه على « حقيقة القصائد المعلقات ودرس شعرائها » في كتابه النافع «تاريخ آداب العرب » ? فهو يقول ، في خبر مروي مضمونه أن عبد الملك بن مروان طرح شعر أربعة من أصحاب المعلقات وأثبت مكانهم أربعة : « فيكون خبر طرح عبد الملك وإثباته موضوعاً ، خصوصاً وقد أغفله أبو زيد بن أبي الخطاب القرشي صاحب الجمهرة المتوفى سنة ١٧٠ هـ » (١) ثم يقول : « وأول اختيار مدون عند العرب القصائد المعروفة بالمعلقات اختارها حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ ثم جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي المتوفى سنة ١٧٠ » (٢) ، وقال أيضاً : « وفي

---

(١) تاريخ آداب العرب » ج ٣ ص ١٨٨ »

(٢) المرجع المذكور » ٣ : ٣٦١ »

الجمهرة عن المفضل (هو المفضل بن محمد الضبي كان عالماً بالشعر ...) بعد أن ذكر أصحاب السموط قال ... »[1]

فقد اعتمد ـ رحمه الله ـ على تاريخ وفاته الذي ظنه سنة (١٧٠ هـ) وقال أقوالاً يتطرق على بعضها الشك إن لم تثبت صحة لتاريخ الوفاة المقدم ذكره ، وكأنه ـ رحمه الله ـ كان يعد ذلك التاريخ مفروغاً من إثبات صحته ومن مأمنه يؤتى الحذر ، فالكتاب ـ أعني جمهرة أشعار العرب ـ يدل على أنه ألف بعد تاريخ الوفاة المظنون لمؤلفه أي بعد سنة (١٧٠) وسيأتي بيان ذلك مبرهناً فيما عقدنه من البحث

من أين أتى تاريخ الوفاة هذا وكيف جرى تحقيقه ؟ لا أعلم منه إلا أنه كان شائعاً بين مؤرخي الآداب العربية ومفهرسي الكتب العربية المطبوعة ، ولقد جاء في معجم المطبوعات العربية والمعربة ، تأليف الأديب يوسف إليان سركيس[2] ما هذا نصه « أبو زيد القرشي : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب المتوفى في حدود سنة ١٧٠ [له] جمهرة أشعار العرب [طبع] باعتناء سعيد عمون اللبناني ، وفي صدر الكتاب مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن وأقوال الشعراء ، وفي الشعر والشعراء وأقدمهم ، وغير ذلك [بمطبعة] بولاق ١١ ١٣٠٨ ص ١٩٥و : وطبع بالمطبعة الخيرية ١٣٣١ ص ٣٨٤ وطبع موسوماً بنيل الارب في قصائد العرب ، وفيه ذكر المعلقات التسع والأربعين ، مقسمة الى سبعة أقسام ، كل قسم سبع قصائد ملقبات بلقب مخصوص لها ، [طبع في] مصر ، بمطبعة الرأي العام دون تاريخ ص ١٢١ »

فهذا الأديب المعروف المجهود في البحث عن تراجم المؤلفين لم يذكر مرجعاً تاريخياً يكون مظنة لخبر من أخبار أبي زيد القرشي مؤلف الكتاب المقدم ذكره ، لأنه لم يجد

---

(١) المذكور ، ص ١٩٠ ،

(٢) ج ١ ع ٢١٣ سنة ١٩٢٨ بمطبعة سركيس بالقاهرة

شيئاً من ذلك ، ونقل من كتاب آخر لم يذكر تاريخ وفاته المظنون وقال جرجي زيدان: « ابن أبي الخطاب ، صاحب جمهرة أشعار العرب ، اسمه أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته ولكن يظهر أنه نبغ في أواسط القرن الثالث للهجرة ، وإنما عمدنا إلى ذكره لأنه جمع خيرة أشعار الجاهلية وصدر الاسلام في كتاب سماه (جمهرة أشعارالعرب) في سبعة مجاميع فصلناها في كلامنا عن [1] طبقات الشعراء في الجزء الأول (ص ٧٤) والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨ وفي صدره مقدمة [2] انتقادية [3] ... »

قلت : وقد طبع بمصر سنة (١٣٣٠ هـ) بالمطبعة الخيرية لأصحابها السيد عمر حسين الخشاب وولده ، وكتب على الطبعة « الطبعة الأولى » والدعوى باطلة ، فقد نقلنا آنفاً أنه طبع بمصر سنة (١٣٠٨) أي قبل طبعة الخشاب باثنتين وعشرين سنة قمرية ثم طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م مفصولاً بين الشعر وشرحه الأصلي ، مضافاً الى الشرح شيء من الايضاح وجاء في صدر الكتاب « عني بضبطهاوشرحها أحد أفاضل العلماء »

وقال الأستاذكارول بروكلمان المستشرق الألماني في الكلام على « مصادر معرفة الشعر الجاهلي » : « وربما كانت المجموعة الرابعة وهي جمهرة أشعار العرب قد جمعت في أواخر المئة الثالثة للهجرة وهي مجموعة سباعية تشتمل على سبعة أقسام أولها المعلقات السبع ، وتحمل الأقسام الستة الباقية حلىً من العناوين المختارة وهى الجمهرات ، المنتقيات المذهبات ، المراثي ، المشوبات ، الملحمات ، وعلى حين يشتمل القسم الأخير على قصائد

(١) الصواب « على » يقال « تكلم على الموضوع لا عنه ، وإنما تستعمل « عن » مع الفعل تكلم عند إرادة النيابة ، وكان يقال « تكلم الوكيل عن موكله على الدعوى عند القاضي »

(٢) نقل يوسف اليان سركيس هذه الفقرة في كتابه السابق ذكره

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية « ٢ : ٩ ، ١٠ ، ١١ » ، مطبعة الهلال سنة ١٩١١

لشعراء العصر الأموي فحسب . تغلب في الأقســـام الأخرى قصائد لشعراء الجاهليين ، وسبقت ذلك كله مقدمة في المجازات واختلاف العلماء في تفضيل بعض مشاهير الشعراء ، ويسمى جامعها (أبا زيد القرشي) وقيل إن سند رواية أبي زيد هذا وهو « المفضل » كان في المرتبة السادسة من ســـلالة الخليفة عمر بن الخطاب ، وإذن فلا بد أن حياته كانت في أواخر القرن الثالث الهجري ، على أن كلا الرجلين أبي زيد والمفضــل مجهول بالـكلية فيما عدا ذلك ، ويبدو لنا أن تســـميتها موضوعة على اسمي كل من أبي زيد الأنصـاري النحوي المشهور وشـــيخه المفضل ، ولـكن لما كان كتاب الجمهرة معروفاً لابن رشيق (٣٩٠ — ٤٥٦/٠ ١ — ١٠٦٤) فقد يكون تم تأليفه في ملتقى القرنين الثالث والرابع للهجرة [١] »

هذا قول الأستاذ بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي ، الذي نشر طبعته الأولى في مدينة (فايمر) بألمانية سنة ١٨٩٨ ثم نشر له ذيلاً أعظم من الرأس والجسد سنة ١٩٣٧ ثم نشر جزءاً في تاريخ الأدب العربي الحديث ســنة ١٩٤٢ ، ثم أعاد طبع الـكتاب الأول بعد تصحيحه وتهذيبه والحذف منه والتغيير والزيادة والتحبير سنة ١٩٤٣ وسنة ١٩٤٩ ، وقد مزج ناقله الى العربية الدكتور الفاضل عبــد الحليم النجار بين الـكتاب الأصلي وملحقاته مع ملاحظة الطبعتين الأولى والثانية للـكتاب الأصلي ، بحيث يتحصل من كل ذلك كتاب موحد النسق متصل الموضوعات [٢] .

ولذلك لم نعلم ما الذي كان كلام المستشرق الفاضل عن جمهرة أشعار العرب « في طبعتة كتابه الأولى ، لأنا لا نعرف اللغة الألمانيــة ، فرأيه هذا الذي نقلناه هو رأيه الأخير كما

(١) تاريخ الأدب العربي ، نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار ، ج ١ ص ٧٠ » وقد أغفــل الدكتور الفاضل نشر بروكلمان لـكتابه الأول ببرلين ســـنة ١٨٩٩ — ١٩٠٢ ذكر ذلك كايجان هوار في فهرست كتابه « الأدب العربي » بالفرنسيـة « ص ٤٣٩ »

(٢) راجع في ذلك كله كلمة المترجم « ص ١٣ — ١٥ » .

يفهم من كلام المترجم الفاضل ، غير أن ناقلاً من كتابه ومعتمداً عليه وهو هوار المستشرق الفرنسي يقول : « إن جمهرة أشعار العرب ، مظنون اسم جامعها ، غير أنها مذكورة في كتاب ابن رشيق في القرن الحادي عشر ، وقد طبعت ببولاق [1] »

وكنت في القاهرة سنة ١٩٣٣ وفي أثنائها أخرج الدكتور أحمد زكي أبو شادي ديوانه « الينبوع » وكانت طائفة من الأدباء تنعى عليه تبسطه في استعمال مجازات جديدة مع أن باب المجاز في العربية مفتوح دائماً ، على شريطة سلامة الذوق في الجواز الى ساحة المجاز ، فرجا مني أن اكتب فصلاً في « التعابير الجديدة » التي استعملها ، فكتبته ونشره هو في آخر الينبوع « ص ٢٦٢ » وقد جاء في الكلام على المعنى العام للفعل « حاط » قولي ص ١٧٢ ، ١٧٣ — : « ولكن فقه اللغة يثبت أن (تحوط) بمعنى (تحف) مطلقاً ، ذكر ذلك أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في جمهرة أشعار العرب (ص ١٤٦) وسأل أعرابي أحد الناس قال : ما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها (الكامل ١ : ٩٨) أي يحفها »[2] وعلقت في الحاشية على اسم أبي زيد القرشي ما هذا نصه « إنّ هـذا المؤلف العظيم قد جمع للعرب أحسن جمهرة من أشعار شعرائهم ولكن مؤرخي الآداب العربية ولا سيما المتأخرين [منهم] لم يوفقوا لترجمته ولا لتعيين عصره وقرنه ، فجرجي زيدان ، قال عنه : ولكن يظهر أنه نبغ في أواسط القرن الثالث للهجرة (تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ١٠٩) وهذا خطأ لاشبهة فيه فاننا بعد البحث المستوفى والتحري المستقصى علمنا أنه من أهل القرن الخامس للهجرة ، ونحن أول من وقف على ذلك ، وتفصيله أن المؤلف المذكور (أبا زيد القرشي) أشار الى كتاب الصحاح للجوهري

---

(١) الأدب العربي « ص ١١ » من النسخة الفرنسية

(٢) قال في شرح قول لبيد : محفوفة وسط اليراع يظلها ... « محفوفة أي محوطة من حيث جوانبها . يعني العين » ، ففسر المحفوفة بمحوطة

المتوفى سنة ٢٩٨ هـ وذلك عند شرحه لقصيدة الفرزدق في قوله « أومأنا [1] » ، فهذا يثبت أنه [أي المؤلف] أدرك القرن الرابع ، ثم إنه روى كثيراً عن المفضل بن مسعر المتوفى في أواسط القرن الخامس للهجرة ، كما في الجزء السابع من معجم الأدباء لياقوت الحموي ، وروى عن المؤلف ابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ قال [أي ابن رشيق] : (وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التي تسمى السمط (كذا) امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى وعمرو بن كلثوم وطرفة (١ : ٦٠ من العمدة طبعة الخانجي ، ونقل هذا الكلام السيوطي في المزهر »

قلت هذا القول قبل سبع وعشرين سنة واطلع عليه الأستاذ بروكلمان فلم يستحسنه ، ولما أعاد طبع كتابه مصححاً على حسب تحقيقه ، منقحاً على وفق تدقيقه ، ألحق بكلامه السابق على الجمهرة ما هذا نص ترجمته في الحاشية « وقد ظن مصطفى جواد في حواشي الينبوع لأبي شادي ١٧٣ أن الجمهرة صنفت في زمن متأخر عن ذلك ، لأن مؤلفها نقل عن صحاح الجوهري في (ص ١٦٥ س ٢٥ من طبعة بولاق ١٣٠٨) ولكن هذا النقل لا يوجد إلا في حاشية على الكتاب ولعلها مما زيد أخيراً ، كما قال : إن المؤلف ينقل كثيراً عن المفضل بن مسعر الذي يذكر ياقوت في الارشاد ٧ ، ١٧١ أنه توفي سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ لكنه لم يثبت أين وجد ذلك ولعله ظن أن المفضل الضبي الذي جعله المؤلف سنداً له هو المفضل بن مسعر »

أقول : إن ما يرد في حواشي الكتب الخطية لا يعني دائماً أنه مزيد عليه بل يحتمل أحد أمرين : الاستدراك أو الزيادة ، فلماذا مال الأستاذ بروكلمان إلى استرجاح زيادة « ذكر

(١) قال الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا … وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وجاء في جمهرة أشعار العرب — ص ٣٢٨ — « ويروى : وإن نحن أوبأنا ، بمعنى أومأنا ، من الصحاح »

الصحاح » في حاشية جمهرة أشعار العرب ؟ ثم إن الكتاب أعني جمهرة أشعار العرب لم لم يقتصر على ذكر كتاب الجوهري بل ذكر كتاب خاله أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى في حدود سنة (٣٧٠ هـ [١]) قال في شرح قول متمم بن نويرة اليربوعي :

فعيني جودي بالدموع لمالك إذا أردت الريح الكنيف المربعا

« الكنيف : حظيرة تجعل للإبل . من ديوان الأدب [٢] »

وديوان الأدب هو للفارابي المذكور وهو كتاب مشهور وافرة نسخه . منقول منه كثير في كتب اللغة والأدب . إن الاجتهاد في البحث عن مؤلفي الكتب المستبهمة سيرهم خير من التترع الى الانكار ، والتسرع إلى الاتهام بالتزوير كما فعل الأستاذ بروكلمان ، في قوله : « على أن كلا الرجلين أبي زيد والمفضل مجهول بالكلية فيما عدا ذلك ويبدو لنا أن تسميتهما موضوعة على اسمي كل من أبي زيد الأنصاري النحوي المشهور وشيخه المفضل » كما نقلناه آنفاً « ص ١٧٨ س ٥ »

إن الأستاذ بروكلمان كان يتسرع الى إنكار سير الأدباء الذين لم يستطع الوقوف على سيرهم ، فنحن إذا تجاوزنا نهاية التعليق الذي نقلناه ونظرنا في الصفحة التي تليه وهي الصفحة السابعة والسبعون ، نلفيه يقول : « ٣ ب ـ جمع مصنف مجهول فيما عدا ذلك يسمى محمد بن المبارك بن ميمون ، مجموعة تحتوي على ألف قصيدة (وذلك في بغداد سنة ٥٨٨ ـ ٨٩/١١٩٢ ـ ٩٣) وجعل عنوان هذه المجموعة (منتهى الطلب من أشعار العرب) (أنظر إقليد الخزانة ١٢٠) وقد بقيت ثلاثة من الأقسام العشرة لهذه المجموعة في لالي ١٩٤١ وفي القاهرة ، الثاني ٣ : ٣٨٩ ـ ٩١ وأنظر أيضاً ٣ : ٤٩٤ ... »

---

(١) معجم الأدباء « ١ : ٢٦ » والبغية « ١٩١ »

(٢) جمهرة أشعار العرب « ص ٢٨٢ طبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٣ »

والحقيقة أن الرجل غير مجهول فيما عدا ذلك ، قال جمال الدين محمد بن سعيد ابن الدبيثي : « محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون أبو غالب الكاتب ، شيخ متصرف ، قد قرأ شيئاً من الأدب وقال الشعر ، وسمع الحديث من القاضي أبي الفضل محمد بن عمر الأرموي والشريف [1] (كذا) أبي المعمر المبارك بن عبد العزيز الأنصاري ، وأبي الفضل ابن ناصر وأبي بكر بن الزاغوني وحدث بشيء من مسموعاته ، ورأيته ولم أسمع منه ، بلغني أن مولده في سابع عشري محرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وتوفي في يوم الجمعة تاسع عشري جمادى الآخرة من سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، ودفن بالمشهد بمقابر قريش رحمه الله وإيانا وجميع المسلمين — [2] »

وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة ٥٩٧ : « وفي ليلة التاسع من جمادى الآخرة توفي الشيخ الأديب أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون الكاتب ببغداد ، ودفن من الغد بمقابر قريش ، ومولده في المحرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وسمع من أبوي الفضل الأرموي وابن ناصر وأبي بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني والشريف أبي المعمر المبارك بن عبد العزيز الأنصاري وغيرهم ، وحدث وقرأ الأدب وقال الشعر وكان عارفاً بشعر العرب [3] »

وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٥٩٧ : « محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون أبو غالب الأديب الكاتب سمع أبا الفضل الأرموي وابن ناصر وأبا بكر بن الزاغوني ، وله

---

(١) لعل الأصل « الشيخ » لأن الأنصاري لا يسمى « شريفاً » عندهم ، وإنما يلقب به العباسي والعلوي كالشريف أبي تمام العباسي النقيب والشريف الرضي الشاعر ، ثم استقل به العباسيون في أواخر الدولة العباسية ، وسيأتي وصفه بالشريف أيضاً في كتاب التكملة لوفيات النقلة وهو عجيب ، أما الشريف أبو المعمر فهو يحيى بن طباطبا ، مترجم في « نزهة الألباء وبغية الوعاة والنجوم الزاهرة »

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ . الورقة ١٤٢ »

(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة المجمع المصورة ، الورقة ١٧ »

شعر جيد ، وكان مكثراً من أشعار العرب ... توفي في جمادى الآخرة »[1]

فهذا الرجل الكاتب الشاعر الأديب المؤلف النقد لشعر العرب مجهول السيرة عند الأستاذ بروكلمان في غير كتابه : المعثور على ثلاثة أجزاء من عشرة أجزاء منه وهو « منتهى الطلب من أشعار العرب »[2]

دراسة الكتاب التاريخية

إن حالة كتاب « جمهرة أشعار العرب » في الغموض والاستبهام ، والخفاء والاستعجام تستوجب الدراسة التاريخية العلمية ، وهذه الدراسة تبدأ باسم المؤلف فينظر في ظاهره وكنيته ونسبه ولقبه ، إن كان له نسب ولقب ، ثم تجتاز ذلك الى اسم الكتاب نفسه ومصطلحاته وعباراته ، وتقسيمه وتبويبه ، وحقيقة موضوعه . ورواته وأسانيده ، إن كان له رُواة وأسانيد ، ثم الكتب التي وردت أسماؤها فيه . وأسماء المذكورين أو المذكورات فيه وبيئة المؤلف أو وطنه إن وجد ذلك فيه ، وتاريخ نسخه أو تأليفه أو حادث كتب فيه ، إن كان ذلك ، وبهذه الطريقة يُعرف عصره ، وتتقرب معرفة مؤلفه ، وربما تبلغه المعرفة

فأبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، لا يبدو عليه أنه اسم موضوع كما ذهب اليه الأستاذ بروكلمان ، لأن « زيد بن الخطاب العدوي » أخا عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - من أشهر الأسماء العربية وأحبها إلى المسلمين ، وزيد هذا كان قرشياً أيضاً لأن بني عدي قرشيون

---

(١) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٠٦ »

(٢) جاء في كشف الظنون ، طبعة وكالة المعارف التركية « ١٨٥٧ » : « منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن ميمون وهو كتاب يشتمل على أكثر من ألف قصيدة خلا المقاطيع وعدة ما فيه أربعون ألف بيت » فأضاف مصحح الطابعة « هو علي بن ميمون بن الحسين المالكي الفاسي المتوفى سنة ٩١٧ » وقد غره الاسم وحده فأخطأ وأحسب مجلد الأشعار المخزون في خزانة كتب المتحف العراقي جزءاً منه

فاذا قلنا «زيد بن الخطاب العدوي القرشي» وجدنا ذلك مثالاً ومقتدى لأسماء كثير من المسلمين بعده أو قلنا زيد بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو مشهور وقد قتل بضربة خاطئة كما في جمهرة الأنساب لابن حزم «ص ١٤٧» - وقابلنا بينهما وبين مجموع تسمية المؤلف لجمهرة أشعار العرب ، دخلت ثلاثة ألفاظ من اسم المؤلف في مساواة مع اسمي المثالين المذكورين وهي «زيد ، الخطاب ، القرشي» فتأمل كيف يكون الحس التاريخي في معرفة الأسماء ؟ اعتماداً على أن أشراف العرب يميلون الى أسماء أسلافهم اعتزازاً بها

فأول ما يتبادر إلى الذهن من «أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي» أنه كان قرشياً عدوياً ، ولا نستطيع أن نبالغ فنقول إنه كان من ذرية زيد بن الخطاب العدوي أو من ذرية عمر بن الخطاب العدوي أخيه . لئلا نُزنَّ بالمجازفة ، وأما تفضيله «القرشي» على العدوي فنرى أنه من ضرورات المجتمع ، كأن يكون المسمى في بلد داخل في حكم الدولة الفاطمية التي استقرت في أواسط أمرها بمصر أو دولة متشيعة أخرى ، فكان يخشى هو نفسه أو والده أن يجاهر بنسبته «العدوي» وكذلك يفعل ذوو الأنساب إذا وجدوا البيئة أو الزمان غير صالحة لانسابهم ، جاء في اللباب مختصر الأنساب لابن السمعاني :

«القُرَشي ... وممن عرف بهذه النسبة من العلماء الفقيه أبو الوليد الحسان بن محمد ... بن العاص الأكبر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الشافعي ، إمام عصره وفقيه خراسان ... توفي خامس ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثلاثمائة» ، فالقرن الرابع للهجرة لم يكن مناسباً لأن ينتسب هذا الامام «أموياً» في بلاد خراسان ، فانتسب قرشياً وبالقرشي اشتهر «عنبسة بن عبد الواحد بن أمية بن عبد الله بن سعيد بن العاص القرشي الأموي الكوفي المحدث المشهور»[1] وهذا لا يعني أن كل خطابيّ أو عثمانيّ أو أموي

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ١٢ : ٢٨٣ »

كان ينتسب قرشياً . فمن ذوي هذه الأنساب من كان لنفوسهم من القوة والاعتزاز ما يبعثهم على التصريح بأنسابهم والانتساب اليها يضاف الى ذلك أن آحاداً من المجهولي الأنساب والمغموريها أرادوا المبالغة في الصعود على معارج النسب فانتسبُوا قرشيين

وكانت بلاد الشام ثم الأندلس معدن الأمويين والعثمانيين لأنهما كانتا مراكز دولهم ومظان حكمهم ، ومثاوب طوائفهم وأتباعهم فلذلك كثر فيهما منتسبون إلى « قريش » أيام التقيّة أو الحفاظ على البقيّة ، أو أيام المجاملة واستدراء الأذى واستدفاع الشرّ . ومن أولئك أبو المحاسن عمر بن علي بن الخضر بن عبد الله بن علي القرشي الدمشقي القاضي الحافظ المحدث المؤرخ لرجال الحديث المتوفى ببغداد سنة ٥٧٥ ، قال ابن الدبيثي وابن النجار في تاريخيهما لبغداد : « عمر بن علي بن الخضر بن عبد الله بن علي أبو المحاسن بن أبي الحسن بن أبي البركات بن أبي محمد بن أبي الحسن القرشي ، من أهل دمشق [1] ... »

ومنهم أبو المعالي محمد بن أبي الحسن بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشي الملقب محيي الدين ، المعروف بابن زكي الدين الدمشقي الشافعي الفقيه المتوفى سنة ٥٩٨ هـ [2]

ومنهم عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله ين محمد بن عبيد أبو الحسن بن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني الاشبيلي الامام النحوي ، شيخ النحويين في زمانه ، ولد سنة ٥٩٩ وتوفي سنة ٦٨٨ وقد ألف عدة كتب في علمه [3] وقريبه محمد بن علي بن محمد أبي الربيع بن

(١) ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٩٦ » والتاريخ المجدد لمدينة السلام لابن النجار ، « نسخة الدار المذكورة ٢١٣١ الورقة ١١٣ »

(٢) الوفيات « ٢ : ١ : ٤ — ٥ » طبعة بلاد العجم .

(٣) بغية الوعاة « ص ٣١٨ »

عبيد الله بن أبي الربيع أبو عمر القرشي العثماني الأندلسي الاشبيلي النحوي المولود سنة ٦١٧ باشبيلية ، ذكره السيوطي ولم يذكر سنة وفاته لأنه لم يجدها [١]

ومنهم محمد بن عائذ الدمشقي القرشي أبو أحمد صاحب كتاب الفتوح والمغازي كان يفتي بدمشق [٢]

وبالاعتماد على ما قررت يغلب على الظن ان « أبا زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي » كان عدوي الأصل أو أموي النسب ، فاختار النسب الأعم وترك الأخص ، كما فعل غيره . وأنا أسترجح أن يكون عدوي الأصل من رهط عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لما سأذكره فيما يتلو الكلام هذا من التحقيق

ولأنتقل إلى رواة الكتاب وأسانيده ولاتصالهم واتصالها بمؤلف الكتاب فعندي نسخة من جمهرة أشعار العرب ، من طبعة المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة (١٣٣٠ هـ) وهذا أولها « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام الذين نزل القرآن بألسنتهم واشتقت العربية من ألفاظهم واتخذت الشواهد في معاني القرآن وغريب الحديث من أشعارهم وأسندت الحكمة والآداب اليهم ، تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ... ونحن ذاكرون في كتابنا هذا ما جاءت به الأخبار المنقولة والأشعار المحفوظة عنهم وما وافق القرآن من ألفاظهم وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعر والشعراء وما جاء عن أصحابه والتابعين من بعدهم وما وصف به كل واحد منهم وأول من قال الشعر وما حفظ عن الجن وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب »

وهذه مقدمة رجل لا يطور التزوير بساحته ، لرغبته في الأخبار المنقولة والأشعار المحفوظة عنهم وما وافق القرآن من ألفاظهم وما روى عن الرسول ـ ص ـ في الشعر

(١) المرجع المذكور « ص ٨٠ »

(٢) لسان الميزان « ٦ : ٦٩٤ » .

والشعراء ... » فأي باعث يبعثه على التزوير وغايته البيان والتحرير لا النقد والجرح ولا الدس والتكفير (١) ؟! وها أنذا أذكر رواة مقدمة الكتاب وتمهيده بالترتيب :

١ — جاء في الصفحة الثالثة « في ذلك ما حدثنا به المفضل بن محمد الضبي يرفعه الى عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ... » وورد في الحاشية « في نسخة [المفضل بن] عبد الله بن محمد بن عبد الله بن المجبر بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن جده عن أبي ظبيان عن ابن عباس ... » ثم قال في الصفحة الثانية عشر : « والأخبار يا هذا لعمري تطول والشواهد تكثر غير أنا اقتصرنا من ذلك ما حكيناه في كتابنا هذا قال محمد [بن أبي الخطاب القرشي] : أخبرنا (أبو عبد الله المفضل بن عبد الله المجري) قال سألت أبي عن أول من قال الشعر فأنشدني هذه الأبيات ... »

وجاء في الكتاب ـ ص ١٩ ـ قال المفضل : وقد قالت الأشعار العمالقة وعاد وثمود » وفي الصفحة ٢٠ « أخبرنا المفضل قال أخبرني أبي عن جدي عن محمد بن اسحاق وعن محمد بن عبد الله عن أبي سعيد الخزاعي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : سمعت علياً ـ رض ـ .. » وفي الصفحة ٢٧ « وأخبرنا المفضل عن أبيه عن جده عن محمد بن اسحاق قال : قدم قيس بن عاصم التميمي على النبي ـ ص ـ ... » وفي الصفحة ٢٩ « وأخبرنا المفضل عن أبيه عن جده قال قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لابنه عبد الرحمن : يا بني انسب نفسك تصل رحمك ... » وفيها أيضاً « وعنه عن أشياخه قالوا قال عمر بن الخطاب ... » وفيها كذلك « قال المفضل : وقد روي عن الشعبي أنه قال ... » وفي الصفحة ٣٠ « قال المفضل : ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله ـ ص ـ إلا وقد قال الشعر ... » . وفي الصفحة ٣٢ « قال : وذكر المفضل أن لبيد بن ربيعة مرّ بمجلس بني نهد بالكوفة... » وجاء في الصفحة ٢٩ « ويشيد هذه الأحاديث عندنا في الجن وأخبارها

(١) يراجع قوله في الصفحة ٤٥ « وذكر جماعة من أهل العلم ... »

وقولها الشعر على ألسن العرب ما حدثنا به المفضل عن أبيه عن جدّه عن ابن اسحاق عن مجاهد وعن ابن عباس ... » وفي الصفحة ٤١ « وأخبرني المفضل عن أبيه عن جده قال أخبرنا العلاء بن ميمون الآمدي قال : ركبت بحر الخزر ... » وفي الصفحة ٦٣ « وأخبرنا المفضل عن علي بن طاهر الذهلي عن أبي عبيدة عن مجالد عن الشعبي قال قال عبد الملك بن مروان ... » وجاء في الصفحة ٧٧ « وقال المفضل هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط فمن قال : إن السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه العلم والمعرفة ... »

٢ — وجاء في الصفحة ٢٢ « قال : « وأخبرني أبو العباس الوراق الكاتب عن أبي طلحة موسى بن عبد الله الخزاعي قال حدثنا بكر بن سليمان عن محمد بن اسحاق قال حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن زمعة بن الأسود ... أنه سمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ... » وجاء في الصفحة ٢٣ « وأخبرنا أبو العباس [الوراق] عن أبي طلحة [موسى بن عبد الله الخزاعي] عن بكر بن سليمان يرفع الحديث الى عبد الله بن مسعود قال : ... » وفي الصفحة ٣٠ « وأخبرنا أبو العباس عن موسى بن عبد الله قال : مرّ أبو عبيدة معمر بن المثنى برجل ينشد شعراً [1] ... »

٣— وورد في الصفحة ٢٢ « وأخبرنا محمد بن عثمان قال أخبرنا الحسن بن داود الجعفري عن ابن عائشة التيمي يرفع الحديث قال قال رسول الله — ص — اللهم مَن هجاني فالعنه مكان كل هجاء هجانيه لعنته » وفي الصفحة ٢٣ « قال : وأخبرنا محمد بن عثمان الجعفري عن عبد الرحمن بن محمد عن الهيثم بن عديّ عن مجالد عن الشعبي قال : أتى حسان بن ثابت .. » وفي الصفحة ٢٥ « وذكر محمد بن عثمان عن مطرف الكناني عن ابن دأب عن أبي لهزم

(١) وجاء في حاشية الصفحة ٣٢ « في بعض النسخ : وحدثنا أبو العباس الوراق عن أبي طلحة موسى ابن عبد الله الزرودى ، قال حدثني أبي قال خرجت على بعير لي صعب .. » علقوا ذلك على قول المتن : « قال ابن المروزي » وجاء في الصفحة ٣٧ « قال الزرودى .. »

العنبري عن الشعبي باسناده ... » وفي الصفحة ٥٣ « وحدثني محمد بن عثمان عن أبي مسمع عن ابن دأب قال كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ... » وفي الصفحة ٥٤ « وأخبرنا ابن عثمان عن مطرف الكناني عن ابن دأب في حديث رفعه الى عبد الملك بن مسلم أن عبد الملك ابن مروان .. » وفي الصفحة ٥٧ « وذكر محمد بن عثمان عن أبي علقمة عن مفالج بن سليمان عن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن زيد عن عمر بن الخطاب عن حسان بن ثابت ... » وفي الصفحة ٧٩ « وذكر محمد بن عثمان عن علي بن طاهر الهذلي قال : كنت عند عمرو بن عبيد اكتب الحديث ... » وجاء في الصفحة ٢٨ باختصار السند « قال : وأخبرنا محمد بن عثمان عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال ... »

٤ — وجا في الصفحة ٢٢ « وفي مصداق ذلك ما حدثنا به سنيد بن محمد الأزدي عن ابن الأعرابي عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال رسول الله — ص — ... » وفي الصفحة ٣٨٠ « وحدثنا سنيد عن حزام بن أرطأة عن أبي عبيدة قال حدثني أبو بكر المزني عن شيخ من أهل البصرة ... » وجاء في الطبعة البولاقية — ص ٢٥ — « وفي نسخة : وحدثنا سنيد عن أبي عبد الله الجهمي من ولد جهم بن حذيفة عن أبي عبيدة ... » وفي ص ٢١ « وفي بعض النسخ عنه عن الجهمي عن أبي عبد الرحمن الأنصاري ثم العجلاني ... »

٥ — وجاء في الطبعة البولاقية — ص ٣٥ — « في نسخة : وحدثنا محمد بن أبي بكر العمري عن مسلم بن محمد البكري عن بعض البكريين قال : قيل لجرير ... »

هؤلاء هم الرواة الذين جاء اسم مؤلف جمهرة أشعار العرب مقروناً بأسمائهم بكلمة « حدثنا » وهو يدل بادىء الرأي على لقائه لهم وأخذه عنهم مشافهة

فأولهم « المفضل بن محمد الضبّي » المزور ، لأن الحاشية المعلقة عليه تذكر أنه « المفضل ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن المحبر (كذا) بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ـ رضي

الله عنه ـ » وسائر الأسانيد تنقض أن يكون المفضل بن محمد الضبي شيخاً للمؤلف ، لأنه توفي سنة (١٦٠ أو سنة ١٧٠ أو سنة ١٦٨) وذلك بسبب طول سند المفضل الوارد في الجمهرة ، ويكون شيوخه غير شيوخ المفضل الضبي، فقد ذكر الخطيب البغدادي أن المفضل الضبي سمع سماك بن حرب وأبا اسحاق السبيعي وعاصم بن أبي النجود ومجاهد بن رومي وسليمان الأعمش وابراهيم بن مهاجر ومغيرة بن مقسم [1] ، ولم نجد أحداً منهم في رجال جمهرة أشعار العرب في أسانيد المفضل ، ولو أريد التدليس باسم المفضل الضبي في أصل التأليف لم نجد في الحاشية في نسخة أخرى هذا المفضل المجبري الآخر ، بل نحن نرى الأمر على العكس ، نرى أحد تلاميذ المفضل وهو أبو محمد بن الأعرابي داخلاً في سند مؤلف الجمهرة « ص ٢٣ » فيستبعد أن يروي الشيخ عن تلميذه في مثل هذا

إن ورود كلمة « المحبري » في نسب هذا المفضل حملتني على أن أحسبه قبل سبع وعشرين سنة « المفضل المعري » أو المسعري لأنه كان أديباً مؤلفاً ، قال ياقوت الحموي : « المفضل بن محمد بن مسعر بن محمد أبو المحاسن التنوخي ، كان فقيهاً نحوياً أديباً ، وكان معتزليا شيعياً مبتدعاً ، أصله من المعرة وقدم بغداد فأخذ عن علي بن عيسى الربعي وعلي بن عبد الله الدقيقي ومحمد ابن أشرس النحوي وسمع أبا عمر بن مهدي وأخذ الفقه عن أبي الحسين القدوري الحنفي والصيمري وحدث بدمشق وناب في القضاء بها وولي قضاء بعلبك وحدث عنه الشريف النسابة وصنف تاريخ النحاة وكتب الرد على الشافعي ، وكان يضع منه ، مات سنة اثنتين وقيل ٤٤٣ » [2]

وإنما حسبت « المحبري » تصحيف « المعرّي » مضافاً الى المسعري لأن ياقوتاً قال « أصله

---

(١) تاريخ بغداد « ١٣ : ١٢١ » وجاء في لسان الميزان « ٦ : ٨١ » أن المفضل الضبي روى عن أبي رجاء العطاردي ، فيما قيل . وما يظن أدركه »

(٢) مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء « ٧ : ١٧١ »

من المعرة »ولأنه تصحف إلى « المغربي »من قبل ، فقد جاء في الجزء الأول من معجم الأدباء – ص ٤ – ما هـــذا نصه « ثم ألف فيه القاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المغربي (كذا) كتاباً لطيفاً نقلنا فوائده » والصواب « المعري » ثم جاء في الجزء السادس ـ ص ٣٢٧ ـ ما هذا نصه « قال القاضي أبو المحاسن بن مسعر المغربي (كذا) في كتابه : وممن قرأت عليه أبو الفتح محمد بن أشرس النيسابوري وكان ملازماً دار الخلافة ويأتي يوم الثلاثاء الى قطيعة الملحم (كذا) فكنت أصل اليه في هذا الموضع وكان واسع العلم غزير الحفظ وكان [1] حياً في سنة ٤١٥ ولم تتجاوز وفاته سنة (٤٢٠) وما لقيت أحداً من البغـداديين يحقق وقت وفاته فأثبتــه على الحقيقة » وقال مؤلف كشف الظنون في الـكلام على طبقات النحاة : « وصنف فيه أبو المحاسن مفضل بن محمد البصري (كذا) المتوفى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة » وقال في المادة بعينها مكرراً غافلاً : « وأبو الفرج مفضل بن مسعود التنوخي المتوفى سنة ... » [2] فالصواب « المعري » لا البصري . و « أبو المحاسن » و « ابن مسعر » لا أبو الفرج ولا ابن مسعود ، وذكره السيوطي في بغية الوعاة « ص ٣٩٦ » بمثل ما ذكره ياقوت وتصحف فيها مسعر الى « مشعر »

فالمعري قد تصحف على الأستاذ مرغليوث مرتين كما رأيت ، كما التبس أمره على مؤلف كشف الظنون قديماً أما « المحبري » فقـــد اهتديت اليه ، فهو منسوب الى « المجبر » وصوابه « المجبري » قال مصعب بن عبد الله الزبيري في أنساب قريش وهو يذكر أبنـاء عمر بن الخطاب : « وعبد الرحمن الأصغر وهو أبو المجبر وأمه أم ولد وأخته لأمه زينب بنت عمر بن الخطاب » [3] ثم قال « وأما عبد الرحمن الأصغر فهلك وترك ابناً له فسمي به ،

---

(١) ليس هذا من كلام ياقوت بل من كلام القاضي

(٢) طبعة وكالة المعارف التركية « ع ١١٠٧ — ٨ ١١ »

(٣) أنساب قريش « ص ٣١٩ »

فسمته حفصة بنت عمر (عبد الرحمن) ولقبته المجبر ، قالت يجبره الله ، فولده يعرفون ببني المجبر منهم عبد الرحمن بن المجبر ، أمه أم ولد ، روي عنه الحديث ، وأم أبيه المجبر : بنت قدامة بن مظعون [1] ... »

وقال شمس الدين الذهبي : « المجبر عبد الرحمن بن المجبر واسمه عبد الرحمن ، وما في المشايخ من اسمه عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن [2] (كذا) بن عمر بن الخطاب سواه ، حدث عن سالم وعنه مالك ، وابنه محمد بن عبد الرحمن بن المجبر ضعيف [يروي] عن نافع وعنه حجاج بن منهال [3] وجاء في لباب الأنساب « المجبر ... بفتح الباب عرف بهذا عبد الرحمن بن محمد (كذا) المجبر ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان قد انكسر فجبر وهو من أولاد عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — » ، وقال بعد ذلك : « المجبري : بضم الميم وفتح الجيم وكسر الباء المشددة الموحدة (كذا) وفي آخرها راء ، هذه النسبة الى المجبر به عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ... »

وعلى هذا يكون السند الأول لرواية بعض جمهرة أشعار العرب هو « حدثنا المفضل بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن المجبر [بن عبد الرحمن] بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب» فلا يكون الاسناد والمؤلف والرواة مختلقين كما زعم الأستاذ بروكلمان ، وبهذا سقط المفضل الضبي من السند لا من الأقوال الأدبية ، فقد يجوز أن ينسب اليه شيء منها ، وكان بروكلمان يظنه مراداً ومختلقاً معاً ، كما أن دعوانا أنه المفضل المعري سقطت بتحقيقنا نحن بعد سبع وعشرين سنة لا بتحقيق الأستاذ بروكلمان ، وذلك بوجداننا أن المحبري هو « المجبري العدوي العمري »

---

(١) المرجع المذكور « ص ٣٥٦ »

(٢) في الحاشية ما يفيد أن نسخة أخرى لا تكرر عبد الرحمن ثانية وهو الصواب

(٣) المشتبه في أسماء الرجال « ص ٤٦٢ »

وقد ذكرنا أن جمهرة أشعار العرب احتوى على ذكر الصحاح تأليف اسماعيل الجوهري وديوان الأدب تأليف خاله الفارابي وقد قارب عمر الجوهري نهاية القرن الرابع للهجرة ، وجاء في الصفحة ١٩٦ ذكر أبي تمام حبيب [١] بن أوس الطائي المتوفى في الثلث الأول من القرن الثالث للهجرة ، وجاء في الصفحة ١٨٥ ذكر ابن قتيبة [٢] المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وورد في الصفحة ٢٦٣ ذكر أبي زيد الأنصاري [٣] ولذلك حسبنا تاريخ تأليف الكتاب في القرن الخامس للهجرة أي الزمن المبتدئ بسنة (٤٠١ هـ) الممتد الى ما قبل تأليف كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ذلك الكتاب الذي استمد مؤلفه بعض أدبه من كتاب الجمهرة بتصريح وتوضيح ، قال : « وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب إن أبا عبيدة قال: أصحاب السبع التي تسمى السمط[٤] ... » وقد نقلنا ذلك استطراداً آنفاً ثم قال وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول : أشعر الناس أربعة : امرؤ القيس والنابغة وطرفة ومهلهل ، قال : وقال المفضل سئل الفرزدق [٥] ... » وقد نقل السيوطي هذا القول والظاهر أنه اقتبسه من كتاب العمدة ، قال : « وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب إن أبا عبيدة ... » ثم قال : « وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو يقول : أشعر الناس أربعة امرؤ القيس والنابغة وطرفة ومهلهل ، قال : وقال المفضل : سئل الفرزدق [٦] ... »

ونقل قول ابن رشيق ، المنقول من الجمهرة ، عبدالقادر البغدادي النحوي الأديب المشهور

(١) قال القرشي : « قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يمدح مالك بن طوق ... »

(٢) جاء قوله « قال ابن قتيبة : مدح نفسه بما يذم به »

(٣) جاء فيه « وقال أبو زيد : الانسي هو الأيسر وهو الجانب الذي يركب منه ويحتلب »

(٤) العمدة في صناعة الشعر ونقده « ١ : ٦٠ ، ٦١ » من طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٠٧

(٥) المرجع المذكور « ١ : ٦١ ، ٦٢ »

(٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها « ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٩ » من طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥

قال : « وفي العمـدة لابن رشيق . وقال محمد بن أبي الخطـاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب ، إن أبا عبيدة قال [1] ... »

وأنت ترى أن نقل هؤلاء من كتاب الجمهرة لم يشبه الشك في مؤلفه وأسانيده ورجال الأسانيد وإن كان القدوة في ذلك « ابن رشيق » فهو من أشهر نقاد العرب . والراجح عندنا أن أحـد الوراقين لما رأى أن المفضل بن عبد الله بن محمد بن عبـد الله بن المجبر [عبد الرحمن] بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري ، دون المفضل بن محمد الضبي شهرة في التأليف ، حذفه ووضع في مكانه « المفضل الضبي » وهو المفضل عنده ، وكتب النساخ على تلك النسخة التي حدث فيها ذلك التدليس ، وهذا أمر معروف من جماعة من الوراقين مجرب عليهم

وأنا أرى أن « الجمهرة في اللغة » لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ اقتدي في تسميها كتاب « جمهرة النسبة أو الأنساب » لأبي محمد هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ وأنّ جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٢٩٥ على أحـد الأقوال صبت في قالب جمهرة اللغة لابن دريد ، وأن جمهرة أشعار العرب سامت [2] إما جمهرة اللغة للدريدي وإما جمهرة الأمثال للعسكري ، وهذه النظرة مما يساعد أيضاً على تعيين عصر المؤلف

ومما يشيد قولنا إنه ألف في عصر الفاطميين ما ورد في كلامه على « البوار » كما جاء في الصفحة ١٧ قال : « وقال علي بن أبي طالب — عليه السلام [3] — :

فبار أبو حكم في الوغى ... ُهناك وأسرنه الأرذلون

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب « ١ : ٨٨ » طبعة دار المصور

(٢) مأخوذ من « ساماه يساميه » قياساً أي صار سميه

(٣) جاء في الصفحة ٢ « عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال سمعت علياً — رضي الله عنه يقول » ثم قال في الصفحة ٢٠ « فأتى عمر رضي الله عنه ، فقال له مثل ذلك فأتى علياً عليه السلام .. » ، وكرر ذلك في ص ٢٨ وقد نقلناه آنفاً

وقال أبو بكر — رضي الله عنه ... » فقد ميّز بين الاحترامين والاجلالين ، وقال في الصفحة ٣:٥ « الخوارج : الذين خرجوا على سيدنا علي عليه السلام »

هذا ومن الأمور التي تعين على معرفة عصر المؤلف درس لغة الكتاب [١] واصطلاحاته وعبارته كما قررنا في أول البحث ، فقد سمى المعلقات أولاً « السبع الطوال وهي التي سمها العرب « السموط » ثم ذكر المجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والمشوبات والملحمات « ص ٧٥ » ثم جاء في الصفحة — ص ٨٧ — ذكر ما سمي « المعلقات » فمتى سميت المعلقات « معلقات » ? نجد اسم المعلقات في كتاب العمدة لابن رشيق المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، قال ناقلاً كلام محمد بن أبي الخطاب القرشي : « وقال المفضل من زعم أنَّ في السبع الطوال التي تسمى السُمُط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل فأسقط من أصحاب (المعلقات) عنترة والحارث بن حلزة وأثبت الأعشى والنابغة وكانت المعلقات تسمى (المذهبات) وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال : مُذهبة فلان إذا كانت أجود شعره [٢] ... » وقد ذكرنا أن عبد القادر البغدادي نقل هذا القول في كتاب خزانة الأدب [٣] ونحن نجد فرقاً بين ما قاله ابن أبي الخطاب القرشي في جمهرته وما نقله منه ابن رشيق القيرواني، فالذي في الجمهرة « فمن قال إن السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة » [٤] فليس في نص الجمهرة لفظ

(١) جاء في الصفحة ٣٧٤ « والفظ ماء الكرش الذي يكون داخله » هكذا بتذكير الكرش مع أنها مؤنثة عند العرب وهذا يدل على كون لغة الكتاب من أخرة الزمان ، كما يجوز أن يدل على أن الناسخ متأخر العصر

(٢) العمدة « ١ : ٦١ »

(٣) خزانة الأدب « ١ : ٨٨ »

(٤) الجمهرة « ص ٧٥ »

« أبطل » وليس في العمدة « فقد خالف ... » الخ والظاهر ابن رشيق كان يجيز النقل بالمعنى فأدى معنى العبارة بأخرى

وورد في وفيات سنة ٢٦١ هـ من تاريخ الطبري وفاة داود بن سليمان الجعفري فان كان والد « الحسن بن داود الجعفري » المذكور في أسانيد جمهرة أشعار العرب « ص ١٨٨ من هذه المجلة » كانت رواية المؤلف إذن عن محمد بن عثمان عن الحسن بن داود الجعفري عن داود ابن سليمان الجعفري المتوفى سنة « ٢٦١ هـ »

وها هنا أقف من دراستي « جمهرة أشعار العرب » المطبوعة بالمطبعة الخيرية دراسة تاريخية ودراسة داخلية ، وقد قابلت بينها وبين الطبعة البولاقية لسنة ١٣٠٨ ، فألفيت الخيرية مقتدية بتلك في أكثر حواشيها فأيقنت أنها مأخوذة منها ، ولم أجد في البولاقية ما يعين على إدراك البغية في هذا البحث أكثر مما أعانت عليه الأخرى ، على أني لم أجد ذكر الصحاح في الحاشية كما ادعى الأستاذ بروكلمان بل وجدته في متن الكتاب أيضاً « ص ١٦٥ » وكذلك ديوان الأدب « ص ١٤١ » ورجوت أن أستفيد من كتاب « صفوة أشعار العرب » من مخطوطات مكتبة المتحف العراقي [١] ، المحتوية على أكثر شعر الجمهرة ، التي تكاد تكون جزءاً من كتاب « منتهى الطلب من أشعار العرب [٢] » فلم أجد فيها من التاريخ سوى أنها نسخت سنة ٨٢٧ هـ وهو التاريخ الخارج عن نطاق البحث، لحداثته بالنسبة الى تاريخ تأليف الجمهرة ، والله تعالى الهادي الى سواء السبيل

مصطفى جواد

---

(١) الرقم ٨١٠٨ وقد وصفت في مجلة سومر « مج ١٤ ج ١ ، ٢ ص ١٣٤ سنة ١٩٥٨ » بأنها جمهرة أشعار العرب وقد أشرنا الى ذلك في حاشية « ص ١٨٣ »

(٢) راجع تاريخ الأدب العربي لبروكلمان « ج ١ ص ٧٧ من الترجمة العربية» واستدراكنا على بروكلمان في هذه المقالة « ص ١٨٣ » من هذا الجزء من المجلة

وزراء السلاجقة في شعر عصرهم

عندما دخل الكندري [1] بغداد مدحه أبو الجوائز الواسطي وقال انه كان لطغرلبك ما كان الحواريون لمحمد [2] ، ومدحه صردر [3] فكان مما قال :

عمت فواضله البرية فالتقى	شكر الغني ودعوة المسكين
ساس الأمور فليس تخلى رغبة	من رهبة وبسالة من لين

وكانت صلة الباخرزي بالكندري وثيقة ، وقد أثنى الشاعر على معارف الوزير ونص على علمه باللغات (بما فيها التركية) والفقه والفلسفة [4] وكان المنتظر أن يرثيه ويبكي نهايته المؤلمة التي اذاقه إياها نظام الملك وألب ارسلان ، ولكنه لم يحقق هذا الظن ، فقد كانت قصيدته هزيلة وأبياتها سخيفة تنبو عن الذوق اذ خاطب السلطان بـ :

وعمك أدناه وأعلى محله	وبوّأه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده	نخوّله الدنيا وخوّلته العقبى [5]

لم يستطع شعر العصر السلجوقي أن يفي بعض مكانة الوزير ، وان يحفظ لنا ما كان له من خطر وما كان عليه من عصامية

---

(١) أبو نصر عميد الملك منصور بن محمد توفي عام ٤٥٦ ينظر عنه البنداري ص ٢٩ ، ابن خلكان ٢ : ٤٨٨ — ٤٩٠ ، وعنه وعن أهم الأعلام التي يرد ذكرها في هذه المقالة الجزء الأول من كتاب « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي » ، بغداد ١٩٥٨

(٢) النصرة ص ١٢٠

(٣) ديوان صردر ٥٣ — ٥٦

(٤) الملتقط ص ١١

(٥) ابن خلكان ٢ : ٤٩١

وكان نظام الملك أعظم وزير سلجوقي ، وقد ذكر الطغرائي أصله الفارسي ، ووجهه المنير ومدح قلمه وسيفه وجيوشه بين الفراب وجيحان وحروبه مع البيزنطيين فقال :

رمى بنواصيها الفراب فأقبلت	مغيبة الأعطاف تلع المناكب
وخاض بها جيحان يلطم موجه	ملاطمة الخصم الألد المشاغب
خميس أقاصي الشرق رزم تحته	وترتج منه أخريات المغارب

***

يلفهم بالرعب قبل طرادهم	ويهزمهم بالكتب قبل الكتائب (١)

وقال :

وما راع أهل الشام إلا اطلاعها	رقاق الظبى والمقربات السلاهيب

***

ولما رأتها الروم أيقن أنها	سحاب لها ودق من الدم مسكوب
وما طلعت إلا وفي كل بزعة	بها منيرُ الدين الحنيفي منصوب
وكم لك فيهم وقعـة بعد وقعةٍ	جمعت بها الأهواء وهي أساليب
صدقتهمُ حدَّ الطعان فأدبروا	وبرد المنى بين الجوانح مكروب
ولما أتوا مستسلمين معاذراً	غدوا ولهم أهل لديك وترحيب
رأوك ، فلا في ساعة البأس سطوة	عليهم ولا في صفحة العفو تقطيب (٢)

وأطرى عزمه ودهاءه :

بعزم إذا ما انساب في مدلهمة	من الحرب لم يرتدّ إلا على فصل
خفي مدب الكيد يكتم سخطه	رضاه ويسقى السم في مجّة النحل

---

(١) ديوان الطغرائي ص ١٤ وقد وردت المناكب على : غوارب

(٢) ديوان الطغرائي ١٧ — ١٨

ضميم على الهمّ البعيد جنانه وقورٌ إذا القوم استطيروا من الجهل

* * *

به اعتدل الملك الذي مال ركنُه ومادت غصون العيش موقرة الحمل [1]

وعندما خلع السلطان ملكشاه عن وزيره ، وصف الطغرائي هذه الخلعة :

حباك بما تحبو بــه كلّ زائر غدا يبتغي اخلاف نائلك الجزل

وما ذاك كي تزداد عزّاً وإنما أبان به عن رأيك المحكم الجدل

عرقومةٍ تصبي العقول كأنما تخايلت منها بين قولك والفعل

رفلت بها في مثل اخلاقك التي بها عاد شعب المجد ملتئم الشمل

ومستطعم فضـل العنان كأنما يلاعب عطفيه سحوق من النخل

إذا هزه جنُّ المراح توقرت بأطرافه أعباء حلمك والفضل

* * *

وأبيض طاغي الحد يرعد متنه مخافة عزم منك أمضى من النصل

عليم بأسرار المنون كأنما على مضربيه أنزلت آية القتل

تفيض نفوس الصيد دون غراره وتطفح عن متنيه في مدرج النمل [2]

والطغرائي اذ يصف نظام الملك ويتحدث عن اخلاقه وحروبه وخلعه ، انما يتحدث عن رجل رآه عن كثب ، ولم يبتعد ـ حتى في مبالغاته ـ عن الحقيقة التأريخية

ومـــدح نظام الملك ـ غير الطغرائي ـ شعراء كثيرون منهم : الباخرزي [3] وابن

(١) ديوان الطغرائي ص ١٤

(٢) نفسه ص ١٣

(٣) الأحسن ٨ ١ — ٩ ١

الهبّارية[١] والأبيوردي [٢] وشبل الدولة [٣] وابن زكرويه الأنباري [٤] والبندنيجي [٥]
ومحمد بن أحمد الأصبهاني [٦] ومحمد المختار الزوزني [٧] وابن الموصلايا [٨]

ولا نكاد نعرف من مراثيه غير قول « ختنه » شبل الدولة مقاتل :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة   نفيسة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الأيام قيمتها   فردّها غَيرةً منه إلى الصدف [٩]

ومن الناس من فرح لموت الوزير فردّ عليهم سديد الملك المفضل بن عبد الرزاق (العارض في أيام ملكشاه) :

قتل الوزير فكلهم جذلان   لا تشمتوا فوراءه الحدثان
الملك بعد أبي علي لعبةٌ   يلهو بها النسوان والصبيان[١٠]

وهذا ما حدث ، فقد أستولت تركان خاتون ـ زوجة السلطان ملكشاه ـ وأخذت البيعة لابنها محمود (وكان عمره أربع سنين وشهوراً) [١١]

(١) مرآة الزمان لسبط بن الجوزي

(٢) ابن الاثير ـ ن ١٧٧ = ديوان الأبيوردي ١٢٩ ـ ١٤ ، ٢٧٧ وتنظر ص ٢٨ ـ ٣٠ ٣٤٤ ـ ٣٤٧

(٣) الخريدة ، المجلد الأول ، و ٨ أ ، ابن خلكان ٢ : ٥٦٩

(٤) خريدة العراق المجلد الأول : ابن زكرويه

(٥) خريدة العراق « « البندنيجي

(٦) الخريدة ص ٢٤ ـ ، المحمدون ص ٤١

(٧) الخريدة ج ١ ص ١١

(٨) الخريدة ج ١ ص ١٢٨ ـ ١٣٢

(٩) ابن خلكان ١ : ٢٥٧

(١٠) الخريدة ج ١ ، مخ ليدن ٤٩ ـ ٥٠ (= المطبوع ص ٩٤)

(١١) تنظر النصرة و ٧٢ أ ، ابن الأثير ١ : ١٤٥ ـ ن ٨٥ (= ٩ : ١٦٤ من ط. الاستقامة)

وعلى أي حال ، ان الشعر لم يستطع ـ على كثرته ـ ان يجلو شخصية نظام الملك كما جلاها التأريخ والمؤرخون

ولما قتل نظام الملك [1] أعقبه غريمه أبو الغنائم تاج الملك ، ولئن مدح ابن الهبّارية تاج الملك [2] ، ولئن قال فيه الأرجاني :

أمصرّف الأقلام وهي ضعيفة	يكفي بهنّ الخطب وهو جليل
كم موقف دون العلاء وقفته	والخيل بالأسل الطوال تصول [3]

لقد قال الطغرائي :

يقولون تاج الملك بعد خموله	تفرعن واستولى على النهي والأمر
فقلت لهم لا تحسدوه وأبصروا	عواقب ما تأتي به نوب الدهر
كأني به والنعل تأخذ رأسه	وأطرافه يسلكن في الحلق والسمر
سلوا الله إبقاء الوزير فإنه	سيحمله يوماً على مركب وعر [4]

ويبدو أن الفرعنة قد وقعت ولكنها لم تستمر ، فقد قتل تاج الملك بعد قليل من وزارته.

ولم يحفظ لنا الشعر صوراً للصراع الذي وقع بين مجد الملك ومؤيد الملك ، ويبدو أن الطغرائي قد ترجح بين العدوين اللدودين [5] ، وإن كان قد قال كلمة في كل منهما من دون ان يشتم احدهما وهو يمدح الآخر [6]

(١) ويروي مستوفي أبياتاً فارسية ينسبها لنظام الملك في ساعة الاحتضار وجاء فيها : أنه قضى ثلاثين سنة في محاربة الجور وانه قد بلغ من العمر السادسة والتسعين يموت بضربة سيف تاركا لأبنائه خدماته السابقة وقد وكلهم الى الله والمليك — ص ٢٢١ من الترجمة الفرنسية

(٢) نتائج الفطنة

(٣) ديوان الأرجاني ٣٢٣ — ٣٢٥ :

(٤) ديوان الطغرائي ١٢٩

(٥) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ، المقدمة ، الطغرائي

(٦) ديوان الطغرائي

ومع ان مجد الملك لم يكن إلا مستوفياً لبركياروق ، انه كان - كما اوضح الأرجاني - فوق الوزير ، وكان الوزير صنيعته وستاراً يحكم من ورائه [1]

وهذا هو السبب الذي جعل مؤيد الملك يقول في هذا الوزير — وهو أخوه فخر الملك :

ما ذا أقول عن امرىء جمع المعاير والمعايب
عادت مناقب والدي من شؤم منصبه مثالب [2]

ولعله كان السبب الذي جعل ابن الهبارية يتحدث عن مجد الملك وكانه الوزير الحق

... وليس للملك من الآلات غير ابن موسى سيد الكفاة
قد غنيَ الملك برأي « مجده » عن ماله وجنده وجدّه

* * *

إن أبا الفضل الوزير والوزر « لولا عليٌّ هلك اليوم عمر » [3]

واثنى الطغرائي [4] وابن الهبارية [5] على كيد مجد الملك ، والكيد في شعرهما يعني الذكاء واليقظة والتبصر والحذر ، أما في التأريخ فيعني — كما في المعجمات — مزيجاً من المكر والخديعة والانتقام

أما عبيد الله مؤيد الملك فقد مدحه الأبيوردي [6] والأرجاني [7] والطغرائي [8]

(١) ديوان الأرجاني ٢٣٨

(٢) زبدة النصرة ، وقد قالها بالفارسية وعربها العماد

(٣) نتائج الفطنة ، ٧

(٤) ديوان الطغرائي ص ٣٦

(٥) نتائج الفطنة ، ٧

(٦) ديوان الأبيوردي ١٩٩ — ١٠٢ وتنظر مخطوطة لندن و ١١٩

(٧) ديوان الأرجاني ٩٧ — ١

(٨) ديوان الطغرائي ٢٢ — ٢٣

وإن رثاء الطغرائي إياه — وقد قتل عام ٤٩٤ [1] يؤلف وثيقة تأريخية ، فإنه إذ يبين طموح القتيل وحزمه وشجاعته . يبين كيف خذله جيشه وتركه في ميدان القتال يلقى حتفه وحيداً :

... من ذا رأى الأسد المدل ببأسه شلواً طريحاً بالعراء البلقع

* * *

ما ذا على الأقدار لو صفحت له يوم اللقاء على الكمي الأروع

* * *

جمحت به الهمم التي لا تنثني عما تروم من المرام الأمنع
ووقفت حيث السيف يرعد متنه لم ترتعد فرقاً ولم تتخشع
في موقف بين الصوارم والقنا ضنك ويوم للكريهة أشنع
وحسرت فيه عن ذراعك جاهداً والبيض ترتع في الطلى والأذرع

* * *

يا طامعاً في أن يقوم بنصره أشياعه زاحم بجد أو دع
هذا « عبيد الله » أسلمه الألى ضمنوا الثبات لكل خطب مظلع
خاضوا به الغمرات ثم تخاذلوا وتقاعسوا عنه دوين المصرع
وتسرعوا نحو اللقاء وخلفوا في النقع ثبت الجأش لم يتسرع
ويل امه نضواً لو ان رجاله زحفوا إلى الأعداء قيد الاصبع
وردوا به حتى إذا حمي الوغى صدروا وخلوه لقى لم يرفع [2]

ويروى التاريخ انه : « ... أسر عسكر بركيا روق مؤيد الملك في مصاف جرى بين

(١) جاء في ديوان الطغرائي المطبوع أنه عام ٤٩٩ — وهو غلط .

(٢) ديوان الطغرائي ٣١ — ٣٢

الأخوين على حد همذان ...[1] » ، « أسره غلام لمجد الملك الباسلاني وأحضر عند السلطان بركيا روق فسبه واوقفه على ما اعتمده معه من سب والدته مرة ، ونسبته الى مذهب الباطنية أخرى ، ومن حمل أخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته ، إلى غير ذلك . ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة ، فقتله بركيا روق بيده وألقي على الأرض عدة أيام ، حتى سأل الأمير أياز في دفنه ، فأذن فيه ، فحمل إلى تربة أبيه بأصفهان ، فدفن معه »[2]

ووزر الدهستاني لبركيا روق . ويصف أنوشروان الدهستاني بأنه رجل حائر ، « لم يكن له أثر محمود ، ولا يوم في الكفاية مشهود ... وكان في الظلم مستطيل اليد .. »

بينما يقول الأرجاني :

تأتى به العصر الأخير وقصَّرت عن شأوه وزراء كل الأعصر[4]

وليس هذا إلا من قبيل الملق ، وما كان الأرجاني بالثقة في مثل هذه المواقف ، والمعنى مطروق ، ولطالما تاجر به الشعراء

ووزر لبركيا روق الخطير (أبو منصور المبيذي) الذي كان وزير السلطان محمد[5] واختار محمد نصير الملك بن نظام الملك ، ولكنه كان وزيراً « يأنف الكتاب من لؤمه .. صنف فيه أبو طاهر الخاتوني كتاباً سماه تنزير الوزير »[6] ، فعزل واختار السلطان غيره ، خلفه سعد الملك الآبي[7] ثم ضياء الملك ابن نظام الملك

(١) زبدة النصرة ٨١—٨٢

(٢) ابن الأثير ١٠ : ٢٠٠—٢٠١ ، سنة ٤٩٤

(٣) زبدة النصرة ص ١٩

(٤) ديوان الأرجاني ١٧٢—١٧٤

(٥) ابن الأثير ١٠ : ٢٢٩ ، سنة ٤٩٥

(٦) زبدة النصرة ، ٨٩

(٧) فهرست الزبدة ، ديوان الأرجاني ٣ ١—٦ ١ ، ٢٤٢—٢٤٤ ، ١٧٨—١٨٢

ويقول العماد ان ضياء الملك غير خبير [١]، وينتقد علي بن أفلح بوابه [٢]، والأرجاني بخله [٣] ، أما الأبيوردي فقد مدحه وقال :

وقد ولهت شـــوقاً اليــه وزارة لها في بني إسحاق مثوى ومنزل [٤]

وبنو إسحاق هم أولاد نظام الملك ، والبيت يدل على أن الوزارة أصبحت نوعاً من الإرث . وقد فعل الغزي شيئاً من هذا ، إذ قال :

رأينا قوام الدين في الدســت بابنـه تناسبت العليــاء فرعا ومحتــدا [٥]

وفي هذا مبالغة كبيرة ، فأين الابن من الأب ! . ولـكن الشاعر يخدم التاريخ بحديثه عن امتلاك قلاع الباطنية في « جى » وبحديثه عن قتل صدقة المزيدي [٦]

وفي عام ٥٠٥ عزل السلطان وزيره ، واستعاض عنه [٧]

وفي موقف الأرجاني من الخطير دليل جديد على قلة جدوى هذا الشاعر للتأريخ ، فلقد كرر معنى البيت الذي قاله في الدهستاني [٨] . حتى إذا استرجع الوزير جائزته [٩] ، ذمـه وقال [١٠] :

---

(١) زبدة النصرة ٩٧ . النصرة و ٩٧ ؟

(٢) النصرة و ٩٧ أ

(٣) النصرة و ٩٨ أ ، وينظر ديوان الأرجاني ١ ١٦ — ١٧

(٤) ديوان الأبيوردي ٢٦٢ ، وفي المخطوطة : « لما استوزر الساعد .. محمد .. سيد الوزراء أبا نصر أحمد بن الحسين بن علي بن إسحاق ، كتب اليه يهنيه » ١٢٧ — ١٢٨ (= من المطبــوع ٢٦١ — ٢٦٣)

(٥) ديوان الغزي من ص ١٧ — ١٧٢ .

(٦) ديوان الغزي (= ديوان الأبيوردي المطبوع) تنظر مجلة كلية الآداب ، العدد الثاني ، شباط ١٩٦٠ « المزيديون في شعر العصر السلجوقي »

(٧) زبدة النصرة ص ١٠٣

(٨) ديوان الأرجاني ١ — ١٠٣

(٩) نفسه ٢ ١ ، ٢٦

(١٠) (١) ، ١٨٤

تذمُّ زمان السوء يا صدر ظالما   ولو لا زمان السوء لم تتصدر

ولكنه كان في ذمه أقرب الى الصواب يؤيده في ذلك الطغرائي من الشعراء :

أما الخطيرُ فجبّةٌ وعمامةٌ   ومنازل مرفوعة الآساس

وإذا رجعت إلى الكرام فطاعم   ما بين أهل المكرُمات وكاسي [1]

والعماد من المؤرخين : جاهل « عقله أوهن من بيت العنكبوت » [2]

وكان السميرمي يشغل في وزارة الخطير ديوان الاشراف ، وكان نفوذه قد تصاعد ، واستطاع بما أوتي من قدرة على الدس أن يدفع بالسلطان محمد لأن يسجن الخطير ويحل محله عام ٥١١ الربيب بن أبي شجاع — الذي كان قبل ذلك وزيراً للخليفة [3] ، وقد تحدث الغزي عن استيزار الربيب [4] ثم أعاد ما قاله في ضياء الملك بن نظام الملك عندما قارنه بأبيه :

أرانا ظهيرَ الدين في الدست نجلُه   تناسبت العلياء فخراً ومحتدا

والربيب — كالضياء — بعيد أن « يشابه أبه » ، بل إن الغزى نفسه أيد — في مناسبة أخرى — ضعف الوزير :

قل للملوك وللوزارة حرمة   زمن الربيب حثالة الأزمان

* * *

وإذا تنكبت الليالي بالورى   ركبن زجاً في مكان سنان [5]

---

(١) ديوان الطغرائي ١٢٨ — ١٢٩

(٢) النصرة و ٥ ١ م ولكن ابن الأثير ١ : ٤١٥ سن ٥٩٥ يقول : « توفي في وزارة الملك سلجوق بن السلطان محمد ، وكان قديماً ، وزر للسلطانين بركيارق ومحمد ، وكان جواداً حليماً »

(٣) زبدة النصرة ص ١١٠ ، ابن الأثير ١ : ٣٦٩

(٤) ديوان الغزى ٦٩ — ٧٢

(٥) نفسه ١٢٦

فأيد بذلك ما قاله العماد : « ... فصار له اسم الوزارة بالوراثة ، وكان لائقاً بتلك الدولة المريضة الملتاثة » [1]

ومع ذلك ، احتفظ السلطان الجديد (محمود) به وزيراً ، ومن هنا صحّ ما قاله فيه الغزيّ :

ولي الوزارات الثلاث وفهمه لا يستقل بما يطاه الأخمص [2]

حتى إذا مات الربيب ، اختار السلطان السميرمي محله ، كما اختار « أسعد » طغرائياً

أما الطغرائي الشاعر ، فقد عُزل قبل ذلك وقصد الموصل حيث الملك مسعود ، ثم وقعت عام ٥١٤ المعركة بين محمود ومسعود ولقي الطغرائي حتفه وكان بين الشعراء صبي يدعى محمد بن الاسفهسلار ، مدح السميرمي ، ووصف الحرب ، وقال عن أصحاب مسعود :

ما للطغاة ابتغوا في الأرض مفسدةً وهم من الجهل والعصيان في شغل [3]

وقد أكثر الشعراء من مدح السميرمي [4] ، وقد عدد الأرجاني انتصاراته على الفتن وأشار إلى الثقة التي كان السلطان والخليفة يوليانه إياها [5] ومما قال :

.. وانقذت دين الله من شر مارق وكان كشلو بين نابيه ناشب
رأى الليث فرّاس الليوث أمامه فراغ عن الهيجاء روغ الثعالب

ومنه :

وإن يهرب الباغي فكم من مهالك مصايدها منصوبة في المهالك

---

(١) النصرة

(٢) ديوان الغزي ٢٥٦ (وتنظر ص ١٢٦)

(٣) القفطي ، المحمدون ، ص ١٠٧ ؛ العماد ، الخريدة ، قسم بلاد العجم من لبدن

(٤) ابن الأثير ١ : ٢ ؛

(٥) ديوان الأرجاني ٤٦ — ٥١ ، ٣٢٦ — ٣٢٧ ، ٣٢٥ — ٣٢٦

ومنه :

فمن قد نجا من أصفهان ـ وما نجا ـ فلاقى بخوزستان بحر المعاطب

فولّى برأي منه في الرشد راجل فعاد برأس منه للريح راكب

أما التأريخ فيظهر السميرمي رجل سياسة بالمعنى الشائع لهذه الكلمة التي تنطوي على الأثرة والحقد والمكر والتآمر والحسد والجور [1] وفي هذا ما يؤيد — بصورة من الصور حكم الغزي عليه عند ما عدّه مشعوذاً وقال :

زمان الكمال أتى بالعُجاب وصبَّ على الناس سوط العذاب

* * *

وزير إذا ما هجوت الكلاب وأفرطت ، شبّهته بالكلاب [2]

ويقول ابن الأثير : « وكان السميرمي ظالماً كثير المصادرة للناس »

قتل السميرمي عام ٥١٦ فأصبح شمس الملك بن نظام الملك وزيراً ، واتخذ « العزيز » مستوفياً له وشغل العزيز مكانة بارزة في سياسة العصر . ولا سيما بعد موت الوزير عام ٥١٧ ، وقد أبى أن يكون وزيراً عندما دعاه السلطان إلى ذلك ، واقترح لها صديقه الدركزيني . ولكن الدركزيني (عام ٥١٨) خيب ظن العزيز ، حتى ان العزيز نفسه خشي على نفسه من شره ، فاستعفى بعد أن أخبر السلطان بالفوضى التي يسببها الوزير الدركزيني ،

---

(١) زبدة النصرة (ينظر بهر ستها) ؛ ابن الأثير ١ : ٤٢ سن ٥١١ ؛ سبط ابن الجوزي ج ٨ سن ٥١١ ؛ ابن خلكان ١ : ٢٨٨

(٢) ديوان الغزي ٤٦ — ٥١ وتنظر ٢٢٦ — ٢٢٧ ، ٢٥٢ — ٣٢٦ ، ٢٥٩ — ٢٦٠ ويروي ابن الجوزي ٩ : ٢٢٧ بيتين (ينسبهما ابن أبي أصيبعة ص ٢٨٢ الى البديع الاسطرلابي) ، وقد نزل الوفر ببغداد عام ٥١٥ :

يا صدور الزمان ليس بوفر .. رأينا في نواحي العراق

إنما [illegible] ظلمكم [illegible] الخلق فشالت ذوائب الآفاق

مما حدا بالسلطان إلى أن يسجن الدركزيني ويحل محله أنوشروان (عام ٥٢١) ، وما انقضى عام واحد حتى أعاد السلطان الدركزيني ، وانتقم الوزير الجديد لنفسه بأن سبب قتل العزيز عام ٥٢٧ أيام سلطنة طغرل (الثاني)

إن الذين رووا أخبار الدركزيني هم انوشروان والعماد (ابن أخي العزيز) [١] ، أما المؤرخون الآخرون فلا يكادون يذكرونه [٢] ولم تصل إلينا الأهاجي الكثيرة التي نظمها الشعراء في الدركزيني [٣]

أما ما قالوه في مدح العزيز المستوفي (عز الدين أبي نصر ابن حامد) فقد كان كثيراً جداً حتى قال ابن أخيه في خريدته : « اني وجدت المعاصرين لعمى ... ما فيهم الا من قصده .. ومدحه .. وكانت مدائح العزيز مجلدات ... » [٤] ، وقد حفظ العماد عدداً من هذه القصائد وذكر ان شعر الحويزي كان مقصوراً على مدح العزيز وهجو أعدائه [٥]

ومن الشعراء الذين مدحوا العزيز : أحمد بن أحمد الكوفي [٦] ، حيص بيص [٧] ، ابن حكينا [٨] ويؤكد الأرجاني [٩] « ان السلطان تخيره للنصح صاحبا » وانه يساوي بين الناس ، وانه ابتنى داراً للكتب باصفهان ؛ وربما فهم من أقوال الأرجاني ان العزيز

(١) في النصرة ، وينظر فهرست زبدة النصرة
(٢) ابن الأثير ١ : ٤٥٦ سن ٥٢١
(٣) النصرة ، الورقة ١٦٤
(٤) الخريدة ، قسم العراق ، وينظر ابن خلكان ١ : ٦ ١
(٥) الخريدة ، قسم بلاد العجم (خوزستان ، مخ . لبدن
(٦) الخريدة ، قسم العراق
(٧) الخريدة ، قسم العراق ، مطبوع ، وينظر ديوانه المخطوط
(٨) ابن خلكان ١ : ١ ١
(٩) ديوان الأرجاني ١٩٠ وتنظر ٣٦٩ ، ١٤٢ — ١٤٦ .

شغل الطغراء أيضاً

وأنوشروان، شخصية مهمة ، شغل وظائف عدة ، منها وزارة محمد والمسترشد ومسعود ، ويظهر خلال التأريخ عادلاً عاقلاً عالماً كريماً وفي ديوان الأرجاني زهاء عشرين قصيدة في مدح أنوشروان يذكر فيها أصله الفارسي [١] ويتحدث عن شجاعته وكرمه وعلمه ، وينص على ثقة السلطان به [٢] ، ويتكلم على الخلع التي خلعها عليه [٣] (قميص من التبر المضاعف نسجه ، تاج ، من الخيل سباق) ، ويصف المواكب عما فيها من رعود الكوسان ومن بروق الأعلام ، ويشير إلى نجاحه في الوساطة بين السلطان والخليفة [٤] ويؤكد الأرجاني أن أنوشروان لم يسع الى الوزارة أو يطلبها وانما هي التي بحثت عنه [٥] .

* * *

هذا هو أهم ما يحدثنا به الشعر عن وزراء آل سلجوق ما بين أواسط القرن الخامس وأواسط القرن السادس وقد رأينا أن حديثهم — على أنهم شعراء — لا يخلو من فوائد تاريخية ، وكثيراً ما جلا نقاطاً لم تتضح في كتب التأريخ التي بين أيدينا

وللشعراء أحاديث أخرى عن حاشية سنجر نجد أمثلتها عند الغزي والأرجاني

علي جواد الطاهر

(١) ديوان الأرجاني ص ١٢٩
(٢) ص ٣٨٦
(٣) ص ٢٩
(٤) ص ٣٨٦
(٥) ص ٢٢

الدراسات العربية في اسبانية (*)

ترتقي نهضة الدراسات العربية القائمة الآن في اسبانية الى بداية الجيل الماضي ففي القرن التاسع عشر ، ظهر رجال عظام اشتغلوا بالدراسات العربية من أمثال أي لافوينتي الكانتاري بكتابه « تاريخ غرناطة [1] » وهو مؤلف في أربعة مجلدات ، وأف غولبين روبليس بكتابه « مالقة الاسلامية [2] » ، وأف فرنانديز أي غونزاليز بكتابه « أحوال المدجنين الاجتماعية والسياسية في قشتالة [3] » ، واف خافيير سيمونتي بكتابه « تاريخ النصارى المستعربين في اسبانية [4] » ، وبي . ليرجوندي [5] ، وغيرهم كثيرون ، امتاز منهم بسكوال غايانغوس جامع القسم الاكبر من المخطوطات العربية في مجمع التاريخ الملكي

(*) للمستشرق الأستاذ فرنسيسكو كانتيرا بورغوس مدير معهد آرياس مونتانو في « مدريد » ترجمها وعلق عليها الدكتور روفائيل بيداويد مطران العمادية.

(١) E. Lafuente Alcantare: Historia de Granada, 1843-1846

(٢) F. Gullien Robles: Malaga Musulmana, 1880 ومالقه مرفأ اسباني على البحر المتوسط قرب جبل طارق

(٣) F. Fernadez y Gonzalez: Estado social y politico de los mudejares de Castilla, 1886. والمدجنون mudejares اسم أطلق على أصحاب الاخاذات الغربيين الاسلام من تبعة ملوك اسبانية المسيحيين

(٤) F. Javier Simonte: Historia de los mozarabes de Espana, 1897. والمستعربون mazarabes اسم اطلق على المواطنين النصارى تحت حكم دولة مسلمي الأندلس ، ألفوا طبقة اجتماعية قائمة بذاتها ، كانت تماشي العرب في طريق معيشتهم . ولذلك أطلق على أفرادها اسم المستعربين المعاهدين

(٥) P. Lerchundi

وناشر كتاب « السلالات الملكية الاسلامية في اسبانية [1] » وهو ترجمة مختصرة لتاريخ المقري سبقت طبعة دوزي [2]

ويعد فرانسيسكو كوديرا (١٨٨٦ — ١٩١٧) بكل حق مؤسس مدرسة الاستشراق العربية الحديثة في اسبانية ، وهو واضع كتاب « المسكوكات العربية الاسبانية [3] » ، ومقالة واسعة الاطلاع عن « انحطاط وانقراض المرابطين في اسبانية [4] » ، وغيرها من المقالات العديدة في تاريخ الاسلام الاسبانيين السياسي ، جمعها في كتابه « دراسات نقدية في تاريخ العرب [5] » ، وغيرها من الكتب ، الا أن اشهر مؤلفاته هو « المكتبة العربية الاسبانية » التي بدأ فيها في مدريد سنة ١٨٨٥ ، بنشره معجم التراجم الذي سماه ابن بشكوال « الصلة [6] »

وواصل عمل كوديرا في دراسة المسكوكات أستاذ آخر هو الأستاذ برييتو فيفيس [7] ،

(١) Pascual Gayangos: Las dinastias Musulmanas en Espana

(٢) هو كتاب « نفح الطيب » للمقري ، يبحث في تاريخ الأندلس وأدبها ، نشره المستشرق الهولندي المعروف دوزي R. Dozy (١٨٢ — ١٨٨٣) مؤلف تاريخ الاسلام في اسبانية وقد نشر غير مرة في القاهرة

(٣) D. Francisco Codera: Numismatica arabigo-espanolia.

(٤) Decadencia y desaparicion de los almoravides en Espana.
والمرابطون هي الدولة التي أسسها يوسف ابن تاشفين (١٠٦١ — ١١٠٦) وسموا بالمرابطين نسبة الى رباط حيث تأسست حركتهم

(٥) Estudios criticos de historia arabe

(٦) هو ابن بشكوال أبو القاسم خلف ابن عبد الملك القرطبي (١١٠١ — ١١٨٣) ، أكمل كتاب « تاريخ علماء الأندلس » لأبي الوليد عبد الله ابن محمد الفرضي (٩٦٢ — ١٠١٣) وهو مجموعة من تراجم الأعلام الأندلسيين ، مضيفاً اليه مواد جديدة في مجلد انتهى منه في ١١٣٩ وسماه « الصلة في تاريخ أئمة الأندلس »

(٧) Prof. Prieto Vives

وأكمل بحوثه التاريخية مستشرق اراغوني آخر هو دي ماريانو غسبار أي ريميرو واضع كتاب « تاريخ مرسية الاسلامي[١] » و « مسلمون قرطبيون في الاسكندرية واقريطش[٢] » و « آخر المعاهدات والمراسلات الودية بين الملوك الكاثوليك وأبي عبدالله[٣] » و « وثائق عربية لبلاط بني نصر في غرناطة[٤] » و « المراسلات الدبلوماسية بين غرناطة وفاس[٥] » و « علاقات التاج الاراغوني مع الدول الاسلامية في الغرب[٦] » وغيرها من الكتب هذا دون أن نحصي المجلة الفخمة « مجلة مركز الدراسات التاريخية لغرناطة ومملكتها[٧] » التي أسسها سنة ١٩١٢ م وأدارها مدة ثلاث عشرة سنة ، ودون أن نذكر أيضاً ترجمات قام بها مثل « واسطة السلوك في سياسة الملوك » لموسى الثاني ملك تلمسان[٨] وكتابه

---

(١) D Mariano Gaspar Y Remiro: Historia de Murcia Musulmana.
ومرسية مدينة اسبانية قديمة تقع في جنوبي اسبانية شرقي الأندلس

(٢) Cordobeses musulmanes en Alejandria y Creta

(٣) Ultimos pactos y correspondencia intima entre los Reyes catolicos y Boabdil. و Boabdil هو تحريف بالاسبانية لاسم محمد أبي عبدالله (١٤٨٢ – ١٤٨٣ ، ١٤٨٦ – ١٤٩٢) من السلاطين المعروفين ببني نصر

(٤) Documentos arabes de la corte nazari de Granada

(٥) Correspoudencia diplomatica entre Granada y Fez

(٦) Relaciones de la Corona de Aragcn con los estados musulmans de Occidente

(٧) Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino.

(٨) نقل الكتاب تحت عنوان « قلادة الجواهر » Collar de Perlas وهو كتاب في السياسة والادارة لموسى الثاني ملك تلمسان في المغرب (١٣٥٢ – ١٣٨٦)

الكبير « تاريخ المسلمين في اسبانية وافريقية للنويري [1] » في جزءين ، نشره مع النص العربي عن مخطوطة مجمع التاريخ في مدريد مقابلة مع مخطوطة باريس وغيرها من المخطوطات.

ونذكر في جملة تلامذة كوديرا المشاهير جوليان ريبيرا تاراغو ، وله أبحاث متنوعة في الحضارة الاسبانية الاسلامية ، جمعت في مجلدين تحت عنوان « ابحاث وتآليف صغرى [2] » أهمها بحثه « في أصل جلواز اراغون الأكبر [3] » و « منشأ فلسفة ريموندو لوليو [4] » و « ديوان ابن قزمان [5] » وهو كتاب أساسي لتفهم مبادئ الزجل الاسباني والزجل بالعموم ، ثم « الملاحم عند المسلمين الأسبان [6] » و « موسيقى الأغاني [7] » و « موسيقى الأندلس في القرون الوسطى في أغاني الشعراء المتجولين وأغاني الجرمان الغرامية [8] » وغيرها

---

(1) Historia de los Musulmanes de España y Africa por En-Nuguari هو شهاب الدين النويري المتوفى في ١٣٣٢ ، أحد رجال الملك الناصر بن قلاوون ، تولى نظارة الجيش في طرابلس ، واشتهر بموسوعته « نهاية الأرب في فنون الأدب » في نيف وثلاثين مجلداً ، والكتاب المذكور هو الجزء الثاني والعشرون منه

(2) Julian Ribera Tarrago: Disertaciones y Opusculos, 1928

(3) Origenes del Justicia mayor de Aragon

(4) Origenes de la Filosofia de Raimondo Lulio

ريموندو لوليو (١٢٣٥ — ١٣١٥) فيلسوف من المدرسة الأوغسطينية كان متضلعاً من العربية ، فنقل عنها ووضع فيها مؤلفات عدة ، وكان الأول بين الغربيين الذين كتبوا بالعربية

(5) El Cancionero de Abencuzman ، هو أبو بكر ابن قزمان القرطبي المتوفى سنة ١١٦٠ من شعراء عهد المرابطين ، أبدع ، واشتهر في الطريقة الزجلية

(6) La epica entre los Musulmanes espanoles

(7) La musica de las Cantigas

(8) La Musica andaluza medieval en las canciones de trovadores, troveros y minnesinger.

تتلمذ لكوديرا وريبيرا ، شيخ الاستشراق العربي في اسبانية دي ميغويل آسين الذي بلغ الذروة في أبحاثه واكتسب شهرة واسعة بدراساته الدقيقة للغزالي وابن حزم القرطبي [١] والفارابي ، وبكتابه « الرشدية اللاهوتية في القديس توما الاكويني [٢] » ، وبدراسات أخرى عديدة لقضايا تاريخية وموضوعات دينية وفلسفية ، وامتاز ببحثه في « علم عواقب الانسان الأخيرة عند الاسلام في كتاب الملحمة الآلهية [٣] » وهو بحث علمي في الأدب المقارن ، أثار نقاشاً مشهوراً ، وجاءت نظريته مؤيدة تأييداً باهراً في اكتشاف كتب مثل « كتاب المرقاة » الذي نشره العالمان الاستاذ جيرولي الايطالي ومونيوز ساندينو الاسباني [٤] ولآسين مؤلفات عديدة أخرى مثل « الاسلام المتنصر [٥] » ومعجم النباتات من الجيل الثاني عشر وغيرها

وينتمي الى مدرسة ريبيرا وآسين بحاثون أجانب مثل الاستاذ السويسري ارنولد شتايغر [٦] الذي اشتهر بدراساته في اللغة العربية ، ومن الاسبانيين ما كسيميليانو آلاركون مترجم كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي [٧] ومكمل عمل غسبار اي ريميرو

---

(١) هو علي ابن حزم (٩٩٤ — ١٠٦٤) من قادة الفكر الاسلامي ، نسب اليه نحو أربع مئة مؤلف في التاريخ والفقه والحديث والمنطق والشعر وغيرها من العلوم ، وكان في شبابه وزيراً للخليفة الأموي عبد الرحمان الخامس المستظهر (١٠٢٣) ولهشام الثالث المعتمد (١٠٢٧ — ١٠٣١)

(٢) D. Miguel Asiu: Averroismo teologico de Santo Tomas de Aquino.

(٣) La escatologia musulmana en la Divina Commedia
وللملحمة الآلهية من تأليف الشاعر الايطالي الخالد دانتي اليغييرى (١٢٦٠ — ١٣٢١)

(٤) Libro de la Escala من نشر Prof Cerulli, Munoz Sandino

(٥) El Islam Cristianizado

(٦) Arnold Steiger

(٧) Maximiliano Alarcon: La lampara de los principes
هو أبو بكر الطرطوشي المتوفي في ١١٢٦ المعروف بأبي رندقة

بعد وفاته ، فنتج من ذلك كتاب « الوثائق الدبلوماســية في خزانة تاج اراغون العربية [1] » وانجيل غونزالنز پالنسيا واضع كتاب « اسبانية الاسلامية [2] » ، وتاريخ الفكر الاندلسي [3] » ومؤلف نشرات مثل « ترجمات قشتالية لكتاب السندباد [4] » و « قانون الاكيريكيين لبيدرو الفونسو [5] » و « احصاء العلوم » للفارابي [6] » . وله ابحاث كثيرة أخرى ، أهمها بحثه في ثلاثة مجلدات في النصارى المستعربين في طليطلة ، وهو يؤلف كنزاً ثميناً لتاريخ المسيحيين والعرب واليهود في القرون الوسطى

الا أن ألمع تلامـذة آسين من الاسبانيين هو اميليو غارسيا غوميز [7] المدير الحالي لمعهد « ميغويل آسين » للدراســات العربية في المجلس الأعلى للابحاث العلميــة ومدير مجلة « الاندلس » الذائعة الصيت التي أســسها آسين ، وهي اليوم لسان حال المدرســة الاستشراقية العربية في مدريد وغرناطة خصص هذا الأستاذ جهوده لدرس الشعر العربي الاندلسي ، ونشر في هذا الحقل أبحاثاً قيمة مثل كتاب « رواية عربية ، المصدر المشترك

(١) Documentos arabes diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragon

(٢) Angel Gonzalez Palencia: La Espana musulmana

(٣) Literatura arabigo-espanola.

(٤) Versiones castellanas del Sendebad

(٥) Disciplina clericalis de Pedro Alfonso

(٦) Catalogo de las Ciencias de Al-Farabi

(٧) Emilio Garcia Gomez ويشغل حالياً منصب سفير اسبانيا المفوض لدى الجمهورية العراقية .

لابن طفيل وغراسيان [1] » و « النص العربي الغربي لأسطورة الاسكندر [2] » ويحيط اليوم بغارسيا غومبز ، في مجلس الأبحاث الأعلى ، العدد الأكبر من المستشرقين الأسبان في العربية ، ولقد وزعوا جهودهم العلمية في حقول مختلفة متكاملة ، فيواصل مدير المجلس دراساته التاريخية والأدبية لابن حيان [3] ، وللاسلوب الغنائي في الموشحات العربية وهو بحث ذو أهمية عظمى لمعرفة الشعر الغنائي الأسباني القديم

ويتابع خيمي دي أوليفر دراسات آسين الفيلولوجية والتأريخية ، ومن مؤلفاته « حياة دون فيليبو الافريقي أمير فاس ومراكش » [4] ، وهو واضع كتاب « في اسم مدريد » [5] استحق لمؤلفه جائزة فرانكو في الأدب لسنة ١٩٥٣ ، لفائدته وطرافته الفريدة

ولا يزال خوزي سانشيز بيريز يعقب أبحاثه في « العلوم العربية في العصر الوسيط » وقد نشر كتاباً بهذا الاسم في مجموعة « معهد الدراسات الإفريقية » [6]

---

(١) Un cuento arabe, fuente comun de Abentofail y de Grscian.
ابن طفيل : أبو بكر محمد بن عبد الملك ابن طفيل المتوفى في ١١٨٥ كان فيلسوفاً وطبيباً ، وصار وزيراً لأبي يعقوب يوسف سلطان الموحدين . من أهم آثاره قصة فلسفية مبتكرة عنوانها « حي بن يقظان »
أما غراسيان ، فراهب ايطالي ، عاش في القرن الثاني عشر ، اشتهر بمجموعته القانونية المسماة Decretum « المرسوم »

(٢) El texto arabe occidental de la leyenda de Alejandro

(٣) هو ابن حيان المتوفى سنة ١٠٧٦ ، من مشاهير المؤرخين العرب ، ألف تاريخ العرب والاندلس في ستين جزءاً بعنوان « المتين »

(٤) Jaime de Oliver : Vida de Don Filipo de Africa, Principe de Fez y Marruecos.
هو ابن عبد الله محمد بن عبد الله المتوكل الذي ارتقى عرش المملكة المغربية في ١٥٦٤

(٥) El nombre « Madrid »

(٦) Jose Sanchez Perez : la Ciencia arabe en la Edad Medsa

ويعمل المهندس المعماري ليوپولدو توريس بالباس [١] باجتهاد عظيم في درس مختلف مظاهر الفن وريازة المدن الاسبانية ، وهو من الثقاة المعدودين في هذا المضمار ، يتمتع بسلطة فنية وعلمية لا ينازعه فيها أحد ويشتغل في نفس هذا الحقل دون مانويل أوكانيا، أكبر اختصاصي اسباني في الكتابات والتواريخ الاسبانية الاسلامية ، ومن مؤلفاته « الكتابات العربية في المرية » [٢] والفهارس التاريخيـــة لمجموعة « المكتبة العربية الاسبانية » الآنفة الذكر ، وهي مفخرة المدرسة الاستشراقية الاسبانية ، وكنز ثمين غني بالمعلومات التاريخيـــة والادبية ومن مساعديه الدكتورة جيز بيرت [٣] التي تقوم هي الأخرى باعداد الفهارس الكاملة لما ظهر من مجلة « الاندلس » منذ تأسيسها حتى اليوم وتفرغ للدراسات الفلسفية والفقهية الاسبانية الاسلامية قسيسون ورهبان ، نخص بالذكر منهم : الأب الونسو [٤] ، والأب داريو كابانيلاس [٥] وقد اشتغل الأول ، وهو من الآباء اليسوعيين ، في مؤلفات يوحنا الاشبيلي [٦] الموضوعة والمعربة ، ونشر كتاباً قيماً حول مراجعة دومينيكوس غونديسالفوس [٧] لكتاب العلوم للفارابي ، واتبعه بترجمة

(١) Leopoldo Torres Balbas

(٢) Don Manuel Ocana : Las inscripciones arabes de Almeria
والمرية مرفأ اسباني يقع على البحر المتوسط

(٣) Dr. Gisbert

(٤) P. Alonso

(٥) P Dario Cabanelas

(٦) Juan Sevillano عاش في القرن الثاني عشر ، وكان من أصل يهودي ، نقل الى اللاتينية أهم مؤلفات ابن سينا والفرغاني والخوارزمي والفارابي وغيرهم

(٧) غونديسالفوس : فيلسوف أسباني عاش في القرن الثاني عشر نقل الى اللاتينية مؤلفات الفلاسفة والعلماء العرب ، وكان لترجماته أهمية كبرى في تعريف الفكر العربي في القرون الوسطى تذكر له خمسة كتب فلسفية ، هي مزيج من الارسطوطالية والافلاطونية الجديدة

مقالة المنطق من كتاب « مقاصد الفلاسفة » للغزالي والآخر من رهبنة الفرنسيسكان، هو أستاذ العربية في جامعة غرناطة ، ولقد انهى وضع بحث حول كتاب المعارف العقلية للغزالي ، ويشتغل الآن بتحليل مقدمة الفلسفة لابن رشد بحسب مخطوطة رقم ٦٣٢ في مكتبة الاسكوريال

واختص الأستاذ إلياس تيريس بالأدب العربي الاسباني ، وأعـــد للنشر كتاباً في « الشعر العربي الاندلسي قبل القرن الحادي عشر » (١) ، وهو يشارك في تحرير المجلد السادس والسابع من مجموعة « المكتبة العربية الاسبانية » ، ويدير مشروع اعداد قائمة المخطوطات العربية المحفوظة في مجمع التاريخ الملكي في مدريد ، وهي مجموعة لا تقل اهمية عن مجموعة الاسكوريال ، تضم مئات من مختلف المخطوطات العربية المهمة وهو ينوي مباشرة الاعمال التحضيرية لتأليف معجم عربي — اسباني

وفي هذا الحقل نفسه يشتغل الدكتور پربينيا ناشر ديوان القرطاجني (٢) ، وهو كتاب مهم من القرن الثالث عشر

واخذ معهد « ميغويل آسين » للدراسـات العربية على عاتقه مهمة مواصلة نشر مجلة « الاندلس » الذائعة الصيت ، التي يشارك في تحريرها عدة علماء من اسبان واجانب من مختلف البلدان ، مثل : الفرنسي ، وا...ز ... بروشفيك ، وكانار ، ودوبلر ، ودنلوب ، وغيوم ، ولي تورنو ، وليفي ديلا فيـــدا ، وليفي بروفنسال ، ...ماس . وبيلا ، وريفاد ، وريكارد ، ...شتيرن ، و...ه حسين ، وتيراس و...حل وفيها باب خاص بأخبار ...سبانية الاسلامية الحديثة ... تقدير الاختصاصيين و...هم

ونذكر الى جانب المستشرقين من أتباع معهد آسين ، غيرهم من العلماء الذين تخصصوا

(١) Elias Teres : La Poesia arabigoandaluza anterior al siglo XI

(٢) Dr Perpina القرطاجني هو أبو الحسن حازم بن محمد الأنصاري القرطاجني المتوفي في ١٢٠٥

بالدراسات العربية في اسبانية فمن جماعة الاسكوريال — التي ينتمي اليهم الأب جوليانو روبيو — تخص الأب موراتا [1] بالعلوم الفلسفية وله أبحاث في ابن باجة [2] وابن رشد، ثم الأب خوزي لوبيز أورتيز [3] الذي امتاز قبيل تعيينه أسـقفاً لأبرشية (توي)، بأبحاثه في الشرع الاسلامي، ونشر مقالات قيمة في الفقه المالكي وفي موضوعات أخرى. وأخيراً الأب ملكور انتونيا أحـد ضحايا الحرب الوطنية، صاحب الابحاث التاريخية المتعددة نذكر له « البلاط الأدبي للحكم الثاني ملك قرطبة » [4] و « القسم في خلافة قرطبة » [5] و « اشبيلية وآثارها العربية » [6] ودراسات أخرى نشرت له بعد وفاته، ظهر قسم منها في « كراسات تاريخ اسبانية » التي يصدرها معهد الثقافة الاسبانية الوسيطة والحديثة في جامعة بوينس ايرس

وفي جملة المستشرقين المقيمين خارج اسبانية، يستحق الذكر الأبوان اليسوعيان: لا تور، وباريخا درس الأب لاتور مدة من الزمن في روما، وهو اليوم أستاذ في معهد الدراسات الشرقية بجامعة القديس يوسف في بيروت، وله أبحاث كثيرة في الفلسفة والأدب العربي ولا يزال الأب باريخا أستاذاً في المعهد الشرقي البابوي في روما، ومن ابحاثه العلمية كتابه الحديث « دراسـات اسلامية » [7] واشتغل الأب رودريكويز موليرو

(١) P. Morata

(٢) هو أبو بكر محمد بن باجه، المتوفى سنة ١١٣٨، كان فيلسوفاً وعالماً وطبيباً وموسيقاراً مشهوراً

(٣) P. Jose Lopez Ortiz

(٤) P. Melchor Antuna : La corte leteraria de Alhaquem II de Cordoba

الحكم الثاني (٩٦١ — ٩٧٦) من الخلفاء الأمويين بقرطبة

(٥) Jura en el Califato de Cordoba

(٦) Sevilla y sus monumentos arabes

(٧) F. M. Pareja : Islamologia, 1951

اليسوعي في فلسفة ابن رشد خاصة [1]

وينشر « معهد الدراسات الافريقية » أبحاثاً ضافية قيمة ، نكتفي بذكر اثنين منها بقلم السيد أيزيدورو دي لاس كاجيكاس من السلك الدبلوماسي عن « النصارى المستعربين في اسبانية » و « المدجنين » ، نشرها تحت اسم « مذكرات قومية دينية في العصر الوسيط الاسباني [2]

وأخيراً ، امتازت جماعة من أساتذة جامعة برشلونة في درس تاريخ العلوم العربية من فلكيات ورياضيات وغير ذلك ، وفيهم شخصيات علمية ذات شهرة عالمية كالأستاذ دي خوزي م ميلاس بدراساته للزرقالي [3] وغير ذلك من الموضوعات والسيد فرنيه [4] استاذ العربية في جامعة برشلونة ، الذي امتاز بابحاثه الفلكية وبالخارطات الجغرافية وغيرها

ونختم هذه الأسطر الوجيزة بذكر تأسيس معهد جديد للاستشراق العربي ، هو المعهد المصري للدراسات العربية في مدريد ، وهو يصدر مجلة علمية يسهم في تحريرها مستشرقون معروفون

ويؤمل أن تتكال هذه المساعي والجهود العلمية بتأسيس معهد ثقافي اسباني عربي تحت نظارة وزارة الشؤون الخارجية للحكومة الاسبانية ، لتوطيد العلاقات الطيبة بين أسبانية والشعوب العربيه ، هذه العلاقات التي لا يمكن أن تقوم إلا على أساس من التفاهم الروحي والثقافي

روفائيل بيداويد

(١) P. Rodriguez Molero

(٢) D. Isidoro de las Cagigas. Los Mozarabes; Los mudejares (Memorias etnico-religiosas de la Edad Media Espanola)

(٣) Prof. D Jose M. Millas الزرقالي من مشاهير العلماء الفلكيين (١٠٢٩ ـ ١٠٨٧) وأبرز الراصدين في عصره وهو واضع نوع من الاصطرلاب يسمى « الصفيحة »

(٤) Vernet

في تاريخ المشكلة اللغوية

الاهتمام باللغة أمر تستدعيه ضرورة قائمة ، ذلك أن المشكلة اللغوية من المشكلات الخطيرة ، ومن أجل ذلك نشطت المجامع العلمية في الأقطار العربية في العمل على حل هذه المشكلة القائمة ، وتبرز المشكلة في أن العرب في يومنا هذا لا يتكلمون بالفصيح من العربية ، فالعامي الدارج هو المستعمل ، وأمر العامي مشكلة من المشكلات أيضاً ، فهناك لهجات مختلفة باختلاف البلاد ، ثم إن البلد الواحد مشتمل على لهجات وطرق في التعبير مختلفة أيضاً ، وربما صعب على العربي من شمالي العراق أن يفهم من قروي من سكنة الأهوار في الجنوبي من العراق

ومسألة تقريب العامية من الفصيحة أمر يتعلق بالزمن الطويل ، فليس من الممكن القيام بمشروع أو بحث للوصول الى هذا الهدف الخطير ، وأنا أقول : متعلق بالزمن ، لعلي أن خير الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا هو نشر العلم والثقافة بين أبناء البلد الواحد ، بحيث يتيسر لجميع أبناء البلد قسط متساو من العلم والمعرفة ، ومن شأن هذا أن يعمل على رفع مستوى اللغة المستعملة والتي هي قريبة من الفصيحة ونستطيع أن ندلل على قربها من الفصيحة إذا نظرنا الى اللغة التي يستعملها المثقفون اليوم في محادثاتهم وفي استعمالاتهم اليومية ، فهي لغة في مجموعها تكاد تخلو من الألفاظ العامي الدخيل ، فمجموعة ألفاظها على العموم فصيحة ويبدو قربها من الفصيح اذا وازنا بين هذه اللغة التي يستعملها المثقف — وهو من أسرة جاهلة — واللغة التي يستعملها سائر أفراد أسرته والتي هي موغلة في العامية الدارجة

ولا بد أن نعرض لهذه اللغة القريبة من الفصيحة بالبحث ، والتي نحن سائرون اليها في مستقبلنا القريب أو البعيد لنحدد صفاتها وميزاتها التي تتميز بها ثم نخلص من ذلك الى البحث التأريخي لنقرر مرحلة من مراحل تاريخ العربية الطويل . فالتاريخ اللغوي من الأمور الغامضة ، ذلك أن الباحث لا يهتدي الى المراحل التطورية في هذا التاريخ الطويل وربما انقطعت عنه حلقات طويلة وضاع اثرها وبهذا فليس من الممكن رسم تاريخ محكم الحلقات لهذه اللغة ، فلقد ضاع من اصولها شيء كثير ، ومن اجل هـذا فهي بدع في اللغات الحية المتطورة في قوتها واصالتها وحيويتها وقابليتها في مسايرة الزمن وتطوره ولقد اثر عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقلّه ، ولو جاءكم وافراً لانتهى اليكم علم وشعر كثير) [١]

وأنا افترض أن تكون هذه اللغة القريبة من الفصيحة ، والتي تكاد تخلو من أي لفظ دخيل عامي ، متخففة من قيود الإعراب فالكلمات فيها ساكنة الأواخر ، ولعل هـذه المرحلة مهمة في العود الى الفصيح المعرب كما هو الحال في اللغة المكتوبة والتي ورثناها في التراث العربي ، كما هو الحال في لغة القرآن الكريم

ولا بد أن نعرض للاعراب عرضاً تاريخياً فنقول : لقد احتفظت اللغة العربية الفصيحة بظاهرة الاعراب ، وهي من صفات العربية الموغلة في القدم في حين أن سائر اللغات السامية ـ عدا الاكدية ـ قد فقد الاعراب منذ اقدم العصور ، وقد دل على هذا الاعراب بقايا نجـدها في العبرية والحبشية [٢] اما في اللغة الاكدية فقد عرفت الحركات الثلاث في البابلية في النصوص القديمة ، ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت الى حركتين هما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجر ، ولم تلبث هذه المرحلة طويلاً حتى تطورت الى مرحلة الحركة

(١) ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ٣٣

(٢) Bergstraesser ، التطور النحوي ٧٥

الواحدة وهي الكسرة الممالة

ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقربها منها اوجد الاعراب من النبطية كما تؤيد ذلك النقوش التي عثر عليها وقد ذهب Noldke المستشرق الالماني الى أن النبط كانوا يستعملون الضمة في حالة الرفع ، والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر ، ولا يعقبون هذه الحركات بالنون [1] وعدم وضع النون بعد الحركات يشبه ما هو شائع في قسم من لهجات العربية الدارجة ، ومن ذلك ما هو مستعمل في لهجة اهل الموصل في العراق ، وفي غير الموصل كما في الاقطار العربية الاخرى

ويرى المستشرق E. Littmann أن أواخر الكلمات في اللهجة النبطية قد يحدث فيها تغيير بحسب موضعها في الاعراب [2] وللاعراب أثر في اللغة العبرانية يتبينه الباحثون في حالتي المفعول به وفي ضمير التبعية [3] ، على أن هذا الأثر ضئيل جداً ، فقد أوشكت تخلو لغة العهد القديم من الأعراب غير أن علامة النصب في العبرية القديمة هي الفتحة الطويلة التي نشأ عنها حرف الهاء ، والهاء المتطرفة في هذه اللغة تشبه الألف اللينة ، ومن أجل ذلك تعامل معاملة أحرف المد ، وتظهر هذه في آخر الاسم المنصوب بنزع الخافض ، كما في آخر الظرف المنصوب (ليلا) [4] وتعنى (ليل) ، و (عتا) [5] وتعنى (حين) وكما

(١) Th. Noldke,Die Semitischen Sprachen. Leipzig 1899. S. 51 f.

(٢) E. Littmann Inscripitions Leiden 1914 P. 57 ff.

(٣) ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ص ١٠

(٤) تكتب الهاء في العبرية في آخر الاسم ولا تلفظ

(٥) ولعله قابلت هذه الكلمة في العربية (حتى) فقد قرأ ابن مسعود (عتى حين) في قوله تعالى (ليسجننه حتى حين) (يوسف ٣٥) وهي لغة هذيل التي نهاه عمر أن يقرئ الناس بها أنظر الزمخشري، الكشاف ٢/٦٨ ، مطبعة الاستقامة ١٩٤١ وقراءة ابن مسعود من شواذ القراءات ، أنظر ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن

تلحق هذه العلامة الظروف، فانها تلحق المصدر فينصب كما هو في المفعول المطلق في العربية، ولكنها في هذه الحالة تكون متلوة بميم زائدة (للتمييم) الذي يقابل التنوين في العربية [1]، مثال ذلك (يومام) وتعني (يوماً) و (حنام) وتعني (مجاناً)، والمتتبع لشوارد النصوص في اللغة العبرية ربما وجد آثاراً تشير الى شيء يشبه الضمة والكسرة، ولعلها بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين في العبرية القديمة

ويعلل المحدثون — وجلهم من المستشرقين — ظاهرة الاعراب في العربية وفي سائر اللغات السامية بخلو هذه اللغات من ادغام للكلمات أي وصل كلمة باخرى لتتكون من الكلمتين كلمة واحدة لها معنى مركب منهما كما في اللغات الآرية [2] وليس من حجة علمية تاريخية تثبت صحة هذه الدعوى، والذي ثبت في التحقيق العلمي أن في العربية تراكيب كثيرة، وانها استفادت من التركيب لتكثير المعاني والمباني، وقد اعتمد البناء في العربية على التركيب بصوره المختلفة، وكان مذهب الخليل بن احمد أن الكلمتين اذا ركبتا ولكل منهما معنى وحكم أصبح لهما بالتركيب حكم جديد [3] وتبع الخليل في مقالته جمهور الكوفيين ومنهم الكسائي والفراء ومن أجل ذلك فليس عدم التركيب علة في الاعراب، وذلك لوجود التركيب والاعراب في العربية في الوقت نفسه

ويختلف الرأي في دلالة الحركات على المعاني الاعرابية بين القدماء والمحدثين في اللغة العربية. وأول من أشار الى هذه المشكلة من القدامى هو الخليل بن احمد، ذكر سيبويه [4] أن الخليل قال: « ان الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحروف، ليوصل الى

---

(١) أنظر (التنوين في العربية) الجزء الثالث من مجلة كلية الآداب والعلوم ١٩٥٨

(٢) Carl Brockelmann, Grundriss, I. S. S.

(٣) ابن جني، سر صناعة الاعراب — حرف الكاف —

(٤) سيبويه، الكتاب ٢/٣١٥

التكلم به والبناء هو الساكن لا زيادة فيه ولعل الجدل في دلالة هذه الحركات على المعاني الاعرابية وعـــدم دلالتها على ذلك ، دار بين تلاميذ سيبويه والكسائي فذهب جمهورهم مذهب الاول ، وذهب آخرون مذهب الثاني

ويمثل رأي الذاهبين الى أن الحركات دوال على معان اعرابية ، أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحق الزجاجي ، فقد نقل السيوطي في الاشباه والنظائر [١] قوله : « إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ولم يكن في صورها وابنيتها ادلة على هذه المعاني ، جعلت حركات الاعراب تبين عن هذه المعاني وتدل عليها ليتسع لهم في اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة »

ويمثل رأي الطائفة الأخرى قطرب أبو علي محمد بن المستنير وهو تلميذ سيبويه ، قال قطرب : إنما أعربت العرب كلامها ، لأن الأسم في حال يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقباً للاسكان ، ليتبدل الكلام ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ولم يجعلوا بين ساكنين في حشو الكلمة ، ولا في حشو بيت ولا بين احرف متحركة ، لأن في اجتماع الساكنين يبطئون في كثرة الحروف المتحركة ، ويستعجلون ، وتذهب الصلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الاسكان [٢]

وفي هـــذا الرأي توضيح وإبانة لرأي الخليل الذي اسلفنا ذكره وممن ذهب مذهب قطرب من المحدثين الدكتور ابراهيم انيس ، ولكنه حلا له أن يلتزم بالرأي مفصّلاً فيه وكأنه أول من قال بهذا الرأي [٣] والوجه في هذا الرأي أن هذه الزوائد الاعرابية يلجأ اليها لامور فنية (Technique) ، وهو أن الموسيقى والانسجام يستدعيان هذه الزوائد

(١) السيوطي ، الاشباه والنظائر ١/٧٦ ــ ٧٨

(٢) المصدر السابق ١/٧٩

(٣) ابراهيم أنيس ، من اسرار اللغة ص ١٤٢

الاعرابية ، ومعنى هذا أنه ليس للحركات الاعرابيةمدلول ، وان الحركات لم تكن تحدد المعاني في اذهان العرب الاقدمين ، وهي لا تعدو أن تكون حركات يحتاج اليها في كثير من الأحيان لوصل الكلمات ببعضها [١] ويرى الدكتور انيس أن « النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الاعراب . وقاسوا بعض الاصول ، رغبة منهم في الوصول الى قواعد مطردة منسجمة » [٢] ثم انه يفترض افتراضاً لا يقوم على أساس علمي تاريخي ، فيقول : « ولعلهم تأثروا بما رأوه حولهم من لغات كاليونانية ، ففيها يفرق بين حالات الاسماء التي تسمى « Cases ويرمز لها في نهاية الاسماء برموز معينة » [٣] ولقد فاته أن اليونانية تختلف نحواً وطبيعة عن العربية ، ولم يكن واضع النحو عارفاً أو متأثراً باليونانية بأي وجه من الوجوه . والقول بالتأثر باليونانية في الثقافة العربية الاسلامية شائع عند الكتاب المصريين ، فالى مثل هذا ذهب كل من الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والدكتور ابراهيم مدكور [٤] والدكتور ابراهيم سلامة [٥] وقد بنى ابراهيم مدكور رأيه في تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو على أمور :

(١) اعتبار القياس أصلاً من أصول النحو وتحديده ووضعه على نحو ما حدد القياس المنطقي ثم التشابه بين ما جاء من تقسيم الكلمة عند سيبويه الى اسم وفعل وحرف وما جاء من تقسيمها عند ارسطو الى اسم وفعل وأداة

(٢) ظهور النحو السرياني في مدرسة نصيبين في القرن السادس الميلادي على مقربة من

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٨

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩

(٣) المصدر السابق ص ١٧١

(٤) ابراهيم مدكور مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ١٩٤٨ — ١٩٤٩ (منطق أرسطو والنحو العربي)

(٥) ابراهيم سلامة . بلاغة ارسطو بين العرب واليونان

النحاة العرب الأولين ، ثم ترجمة عبد الله بن المقفع لمنطق أرسطو التي تعدكما يقول ثروة جديدة نقلت الى العالم الاسلامي ، ثم تلمذة بعض السريان على الخليل بن أحمد كحنين بن اسحاق الطبيب السرياني المعروف الذي كان له أثر في نقل علوم اليونان وقرر الدكتور أن حنيناً قد عاصر الخليل وسيبويه ، وليس مدكور أول من ذهب الى هذا ، فقد قال بهذه المقالة قدماء ومحدثون

ومن القدامى ممن ذهب الى هذا ابن أبي أصيبعة في (عيون الانباء)[1] ونقل هذه الرواية القفطي[2] ، وقد ذهب الأستاذ أحمد أمين هذا المذهب من المحدثين[3] ، ورد هذه الأقوال يقوم على ان الخليل لم يعاصر حنيناً فوفاة الخليل كانت في سنة ١٨٠ أو قبل ذلك أو بعده بقليل ، وان ولادة حنين لم تكن قبل سنة ١٩٤ ، فلم يدرك إذاً حنين الخليل ولا رآه ، والزعم باطل من أساسه والقول بهذا التأثر نتيجة تقليد هؤلاء المحدثين للمستشرقين في أقوالهم ، فالى مثل هذا ذهب (دي بور) في تاريخ الفلسفة في الاسلام[4]

ويستدل الدكتور ابراهيم أنيس بخلو اللهجات الاقليمية الحديثة من الاعراب على عدم شيوعه في اللغة العربية في مراحلها الأولى[5] ، على اننا لا يمكننا أن نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الاعراب دليلاً على ان الاعراب ظاهرة لم تكن موجودة في العربية الاولى[6] ، وقد رأينا أن اللغات السامية جميعها كانت معربة ثم زال اعرابها في العهود التي تعاقبت على مراحلها الأولى وقد أطال الدكتور علي عبد الواحد وافي في الرد على

(١) ابن أبي اصيبعة ، عيون الانباء ١/ ١٨٤

(٢) القفطي ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ١١٧

(٣) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ١/ ٢٩٨

(٤) دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام

(٥) ابراهيم أنيس ، من اسرار اللغة ص ١٣٩

(٦) علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ص ١٣

زميله الدكتور أنيس في كتابه « فقه اللغة »

وقد عرض الأستاذ ابراهيم مصطفى الموضوع نفسه ، فقرر أن الحركات دوال على معان ، بل ان من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني ، ثم هو يقول : « وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها كل الحرص ، وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً ونحن نعلم أن العربية لغة « الايجاز » وأن العرب كانوا يتخففون ما وجدوا السبيل الى ذلك ويحذفون الكلمة اذا فهمت والجملة اذا ظهر الدليل عليها ، والاداة اذا لم تكن الحاجة ماجئة اليها وعنده أن الفتحة ليست علامة اعراب ، ولا دالة على شيء ، وانما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، فهي بمثابة السكون في لغته العامة [1] ، وأما الضمة فهي علم الاسناد أما الكسرة فانها علم الاضافة [2] ورأى الأستاذ ابراهيم مصطفى في دلالة الفتحة غريب ، فقد دلت المقارنات على أن الفتحة وجدت في حالة النصب في كثير من اللغات السامية ، ولم يكن هناك من سبب للفتحة « المستحبة » كما أسماها ويرى الأستاذ Marcel Cohen أن هذه القواعد المتشعبة الدقيقة وخاصة قواعد الاعراب لم تكن مراعاة الا في اللغة الفصيحة الادبية أما لغة التخاطب ، فلم تكن معربة [3] وهو يستدل على ذلك بأن قواعد هذا شأنها في التشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن في لغة التخاطب ، وانما هو من اختصاص اللغة الفصيحة ، لغة الصفوة المهذبة أما الأستاذ (فك) المستشرق الألماني فيرى أن الحركات صفة من سمات العربية ، وسمة من أقدم تقاليدها

(١) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو .

(٢) المصدر السابق ٨ — ١

(٣) M. Cohen, Les Langues du monde عن فقه اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي ص ١٣٠ .

اللغوية ، والتي فقدت في أخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة [1] وعنده أن العربية حافظت في مختلف عصورها على هذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللحن واللهجات الاقليمية في الحواضر

وأريد الآن ان أبسط رأياً ، وهو أن العربية التي ورثناها ، والتي نعرف من أمرها الشيء الثابت الصحيح ، لا تتعدى الإسلام في التاريخ الزمني كثيراً ومعنى هذا أن العربية الممثلة في لغة التنزيل ، هي العربية التي نقيم عليها البحث والدرس ، وما العربية الجاهلية الا شيء من هذه العربية الاسلامية ، ولا أريد أن أقول بنظرية الانتحال ، ففي الجاهلية أدب كثير فيه الصحيح وفيه الموضوع ، ولكني لا استطيع أن أجعل مادة للدرس والبحث ، هذه النصوص الجاهلية التي لا نعرف عن بدايتها ونهايتها كثيراً ، وأترك هذه النصوص الاسلامية وفي مقدمها كتاب الله والعربية — ممثلة في القرآن — لغة عالية سلخت من تاريخها مراحل طويلة ، حتى انتهت الى هذا الشكل من الكمال والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على أن لغة القرآن قد طبعت العربية بطابع واضح مبين وقضت بذلك على آثار اللهجات الاقليمية وأريد أن أخلص الى أن هذه اللغة العالية قد ثبتت من أصول اللغة وقواعدها ، وانها التزمت الاعراب الذي لم يكن شائعاً ومستعملاً على نحو ما التزمت به نصوص القرآن وسنأتي على اثبات هذا الرأي ومعنى هذا أن العربية في لهجاتها المتعددة لم تكن متقيدة بهذه الضوابط الثقيلة ، ولكن هذه اللغة هي التي جعلت الاعراب السمة الملازمة للعربية ، والتي أريد لها أن تكون ملازمة

والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على الجهود التي بذلت كي تسود لغة التنزيل في وضوحها والتزامها الاعراب ، فقد ورد أن عمر بن الخطاب سمع رجلاً يقرأ (عتى حين) في قوله تعالى

(١) يوهان فك ، العربية (ترجمة النجار) ص ٣

« ليسجننه حتى حين »[1] فقال : من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود فكتب اليه : إن الله أنزل هذا القرآن عربياً ، وأنزله بلغة قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل[2] وفي الأخبار أن عمر منع أن يؤخذ بقراءة جماعة من القراء

وما استطاعت لغة القرآن والحديث أن تأتي على اللهجات الدارجة المحلية ، أو قل على العربية المستعملة السهلة ، والتي تتخفف من قيد الضوابط الثقيلة ومن هنا فالعربية شفعية التعبير منذ أن كانت ، ذلك بأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ملتزمة بضوابط الاعراب ، ولغة أخري يقولها الناس ويستعملونها دون أن يلزموا أنفسهم بعناء هذه الضوابط ، وربما تعدى الأمر مسألة الإعراب الى الألفاظ نفسها ، فقد يكون في الفاظ الثانية ما هو بعيد عن العربية ، وأنه قد دخل فيها نتيجة اتصال العرب أنفسهم بغيرهم من الاقوام والاتصال حاصل في كل عصر ، فالعرب في أطراف الجزيرة قد تهيأ لهم أن يتاخموا أقواماً غيرهم ، فلم تسلم بذلك سليقتهم ومن أجل ذلك حرص عمر على الأخذ بقراءة تعتمد على لغة قريش ، والى مثل هذا كان يرمي عثمان من جمعه القرآن ليكون المسلمون مجتمعين على قراءة واحدة فينبذوا ماكان عندهم مما هو مغاير لما اتفق عليه ولا يعدم الباحث ان يجد في كتب التفسير والقراءات وكتب الغريب وكتب النحو من هذا الباب شيئاً كثيراً من القراءات ومرد ذلك أن الناس قد فطروا على أساليب في التعبير خاصة بهم ، وبذلك قرأوا وأن طائفة كبيرة من هذه القراءات الخاصة اعتبرت من شواذ القراءات والشواذ من القراءات هي ما خلا تلك التي انتشرت بواسطة القارىء المشهور ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٢ كقراءة ابن مسعود وقراءة أبي بن كعب واختيار الحسن البصري وامثالهم وهي تعد في باب الشواذ[3] ، وقد الف غير واحد من الاقدمين في موضوع

(١) يوسف ٣٥

(٢) الزمخشري . الكشاف (٣/٦٨ ؛

(٣) ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن (المقدمة)

الشواذ كالعكبري في كتابه اعراب القراءات الشاذة ، والأهوازي وابن عطية والمهدوي ولم نعرف مؤلفات هؤلاء ولم يصل الينا منها شيء ، كما اندثر كتاب اللوامع في القراءات وكتاب المحتوى للداني

ومن أمثلة هذه الشواذ التي لا تدل إلا على اللهجات الدارجة أو اللهجات الاقليمية ما جاء من شواذ سورة الفاتحة :

قرأ أبو السوار الغنوي « هياك »[1] بالهاء المكسورة في الآية الخامسة « اياك نعبد » وقد قرأ عمرو بن فايد « إياك » بالتخفيف ، وقرأ جناح بن حبيش « نِستعين » بكسر النون[2]

وجاء من شواذ البقرة : قراءة يحيى بن وثاب : « ولا تِقربا هذه الشجرة » بكسر التاء ، وقرأ أبو السمال « هذه الشِجرة » بكسر الشين ، وقد قرئت « هــذه الشِيرة » بكسر الشين والياء حكاه أبو زيد[3] وقراءة الشجرة بابدال الياء من الجيم إثبات للهجة من اللهجات التي تلتزم هذا الابدال الذي ما زال حاصلاً في لهجات القرويين في جنوبي العراق وقد قرىء « بين المرِّ وزوجه » بدون همز مع تشديد الراء[4]

وقرأ مسلمة بن محارب « بعولهن » من قوله تعالى : « وبعولتهن احق بردهن » بجزم التاء[5] ، ومعلوم أن « البعولة » جمع « بعل » كما ان « السهولة » جمع « سهل » وعندي أن اختلاف القوم في صيغ الجموع ، راجع الى اللهجات الاقليمية ، ومعنى ذلك

---

(١) المصدر نفسه (شواذ سورة الفاتحة)

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه (شواذ سورة البقرة)

(٤) المصدر السابق (شواذ سورة البقرة)

(٥) المصدر السابق

ان كل قبيلة الفت صيغة من صيغ الجمع لاسم معين ، في حين أن القبيلة الأخرى الفت صيغة أخرى

وجاء في شواذ سورة المائدة قراءة بعضهم « لعباً » بكسر اللام واسكان العين في قوله تعالى : « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً »

وجاء في شواذ سورة الاعراف « الجُمَّل » في قوله تعالى : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » بضم الجيم وتشديد الميم وفتحها ، وهي قراءة ابن عباس [٢] ، ومعلوم أن صيغة (فُعَّل) من صيغ جموع التكسير بضم الفاء وفتح العين وتشديدها ، لا يكون مفردها إلا فاعلاً مثل « راكع » وجمعها « رُكَّع » ، في حين أن مفرد (جُمَّل) هو « الجُمْل » بضم فإسكان ومعناه الحبل [٣] وقد قرأ أبو السمال (الجَمْل) بفتح الجيم واسكان الميم [٤]

ومن شواذ سورة طه قراءة عكرمة « اهس » [٥] بالسين في قوله تعالى : « اهش بها على غنمي » .

ومن شواذ سورة الأنبياء قراءة ابن عباس « حضب » [٦] بالضاد في قوله تعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حصَب جهنم » ، وقرىء « حصْب » باسكان الصاد ، وقرىء « حطب » بالطاء

---

(١) المصدر السابق (شواذ سورة المائدة)

(٢) الزمخشري ، الكشاف ٢/١٠٣ ؛ وانظر اللسان مادة « جمل »

(٣) حدث في الجمل متي ١٩/٢٤ تصحيح مثل هذا بين دلة « الجمل » على الحبل دون الحيوان المعروف انظر : Bar Bahlūl, Lexicon 500.

(٤) ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن

(٥) المصدر السابق (شواذ سورة طه)

(٦) الزمخشري ، الكشاف ٣/١٢٦

ومن شواذ سورة الحج جاء في كلمة « صلوات » احدى عشرة قراءة [1] في قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله » والقراءات هي « صَلَوات » بفتحتين وهي « صُلُوات » بضمتين على قراءة أبي العالية والكلبي والضحاك، و « صُلْوات » بضم فإسكان على قراءة جعفر بن محمد وهي (صُلون) بضم الصاد فلام فواو ونون و « صُلوب » بالباء، و « صلْوت » بفتح فإسكان، و « صِلوات » بكسر فإسكان و « صُلْوات » بضم الصاد واسكان اللام وثاء مثلثة في الآخر و « صلوثا » [2] بثاء في الآخر مع الف الاطلاق والكلمة جمع صلاة وهي تعني الكنيسة والكلمة سريانية [3] بخلاف ما ذهب اليه الزمخشري من أنها عبرانية، وتذييل الكلمة بالالف بقصد التعريف ولعل صيغ جموع التكسير يمكن أن ترد الى صيغ محدودة، وذلك أن بعضاً منها يحصل من صيغة أخرى باستخدام المد مثلاً، فكلمة « تارة » تجمع على « تِيَر » ، ولكنها تصبح « تِيار » باطلاق الفتحة [4] . وهذا يدل على أن صيغ جموع التكسير وصيرورتها على هذه الكثرة ناتج عن اللهجات الاقليمية، اذ من المعلوم أن اقليماً من الاقاليم يطيل في الحركات حتى تصبح مداً، ومن هذه أيضاً « أسُدْ » بضم الهمزة واسكان السين أو ضمها، فاذا اشبع الضم على السين صار مداً وصار الكلمة « اسود » ، ومثل هذا « احبة » و « احباء » وكثير غيره

ويدلنا على اشارة هذه الصيغ الى موضوع اللهجات، ما يوجد في اللغة الحبشية من

---

(١) ابن خالويه، مختصر شواذ القرآن (شواذ سورة الحج)

(٢) الزمخشري، الكشاف ٣/ ١٦

(٣) القرداحي، اللباب مادة (صل)

(٤) الجوهري، الصحاح مادة (تير)

صيغ جموع التكسير ودلالتها على الموضوع نفسه [1]

ونستطيع أن نوجز أن القراءات في القرآن تقوم على تغيير في الحركات وتغيير في الابنية والصيغ وتغيير في الأصوات وتغيير في الألفاظ ، ومجموع هذا يدل على أن طرق التعبير الخاصة وجدت طريقها الى لغة التنزيل ، ولم تجد في ذلك جهود التوحيد والقراء يختلفون حتى في موضوع الإعراب الذي التزمه جميعهم ، فهذا يرفع ما ينصبه ذاك ، وذاك يخفض ما يرفعه هذا [2] . وقد حمل هذا على انه خطأ من كتاب الوحي ، فقد روى أبو معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي المتوفى سنة ١٩٢ عن هشام بن عروة بن الزبير المتوفى سنة ١٤٦ عن ابيه عن عائشة انها قالت : ثلاث احرف في كتاب الله هن من خطأ الكاتب وهي قوله تعالى : « إن هذا لساحران » [3] ، وفي قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون » [4] ، وفي قوله تعالى : « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » [5] وقد حقق النحويون في حديث عائشة حول غلط الكاتب ، وحديث عثمان في قوله « أرى فيه لحناً » ، فاعتلوا لكل حرف منها ، واستشهدوا الشعر ، فقالوا في (ان هذا لساحران) هي لغة بلحارث بن كعب [6] ، فهم يقولون : « مررت برجلان » ، و « قبضت منه درهمان » و « جلست بين يداه » و « ركبت علاه » وانشدوا لهوبر

---

(١) Dillman : Grammatik der Gelhiopischen Sprache P. 537

(٢) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٩

(٣) سورة طه ٦٣

(٤) سورة المائدة ٦٩

(٥) سورة النساء ١٦٤

(٦) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ٣٦

الحارثي [1] :

تزود منـــا بين أذناه ضربة   دعتــه الى هابي التراب عقيم

كما اعتلوا لسائر المواضع السابقة علة مناسبة

وشيوع اللحن في مختلف الطبقات ، دليل على أن هذا الأعراب ثقيل لا تحتمله سليقة العرب اللغوية ، وكان ذلك في صدر الإســلام وقبل أن يتم اختلاط العرب بغيرهم ذلك الاختلاط العظيم الذي تم في العصور المتأخرة ، ثم أن شيوع اللحن لم تسلم منه طبقة المثقفين ولا العلية من القوم ولا العلماء ، فلم تسلم لهشيم بن بشير محدث أهل العراق سليقته اللغوية ، فكان يلحن في كلامه ويشير الجاحظ الى مخالفة المحدثين ما التزم من قواعد الاعراب [2]

وكان عبد الملك بن مروان يحذر أبناءه من اللحن ، وكان يقول لهم : « إن اللحن في منطق الشريف أقبح من آثار الجدري في الوجه ، وأقبح من الشق في ثوب نفيس [3]

وشيوع اللحن في زمان عمر بن الخطاب معروف ، فقد روى أن عمر سمع اعرابياً يقرأ قوله تعالى : « إن الله بريء من المشركين ورسوله) بجر رسوله فنبهه على الخطأ ، وكان ذلك سبباً في وضع النحو إن صحت الأخبار [4]

والأخبار في وضع النحو كثيرة لا مجال لذكرها هنا ، ولكنها في مجموعها تشير الى أن اللحن في هذه الفترة المتقدمة كان شائعاً ، وشيوعه في قراءة القرآن مما عجل في وضع هذه الضوابط النحوية للحفاظ على لغة التنزيل من العبث . وشيوع اللحن دليل أيضاً على ان

(١) أبو زيد ، النوادر ٥٨

(٢) الجاحظ ، البيان ٢/٥

(٣) ابن قتيبة عيون الأخبار ٢/١٥٣

(٤) ابن الأنباري ، نزهة الألباء ٤

للقوم لغة يتخففون فيها من الضوابط الثقيلة وهي اللغة المستعملة وهي لغة الكثير من الناس ، ولغة التخاطب في الحياة اليومية

على أن هذا اللغة العامة التي استعملها الناس لم تكن بعيدة عن لغة الكتابة في مادتها اللغوية ، وكأن من شرط هذه اللغة مجانبة الاعراب ، والى هذا يشير الجاحظ في قوله : « وإن وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب ، ولفظاً معدولاً عن جهته ، فاعلموا اننا تركنا ذلك ، لأن الاعراب يبغض هذا الباب ويخرجه عن حده الا أن احكى كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء واشحاء العلماء كسهل بن هرون وأشباهه »[1]

والمشكلة اللغوية قائمة في عصرنا الحاضر كما أسلفنا ، وذلك لأن العربية الفصيحة المكتوبة هي غير العربية المستعملة في التخاطب وغير اللهجات الدارجة التي لم ترقَ الى لغة المثقفين ، وهي في مادتها نماذج متأخرة متدهورة ، وليس قيام المشكلة على هذا الوجه بمستحيل الحل فشيوع الثقافة وتيسير المعرفة لأبناء العربية على شكل عام كفيل برفع مستوى اللغة الى الحد الذي كانت عليه العربية في مختلف عصورها ، فلم يسلم عصر من عصور التاريخ اللغوي من ازدواج في اللغة ، وقد شاهد علماء العربية الأقدمون مثل الخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي وعيسى بن عمر وغيرهم لغة عامية يستعملها جمهور الناس ، ولقد أثر عن الكسائي انه وضع رسالة في لحن العامة ولغة العامة غير لغة العلية فقد ذكر ابو هلال العسكري : ان العامي إذا كلمته بكلام العلية سخر منك وزرى عليك ، كما روى عن بعضهم أنه قال لبعض العامة : بم كنم تنتقلون[2] البارحة ؟ فقال : « بالحمالين » ولو قال له : « ايش كان نقلكم لسلم من سخريته فينبغي أن يخاطب كل

---

(١) الجاحظ ، البخلاء (طبعة الحاجري) ص ٣٣

(٢) أي تأكلون النقل كاللوز والجوز والفستق

فريق بما يعرفون [1]

وربما كانت العامية الدارجة قريبة من الفصيحة لغة الكتابة ، وذلك بسلامة ابنيتها وبتخير ألفاظها الصحاح العربية ، ولكنها متحللة من ضوابط الاعراب ، فالمتكلمون بها يلتزمون الاسكان في جميع صورها ، وهذا ما نصبو إليه في تقريب العامية من الفصيح وسبيل هذا كما أسلفنا نشر المعرفة بين الناس والزمان كفيل بتحقيق هذا.

ابراهيم السامرائي

---

(١) أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين (طبعة الاستانة) ص ٣٣

مصطلحات في علم التربة

مقدمة

هذه مصطلحات في علم التربة ، درسها المجمع في سنته الجمعية المنهيـة بانتهاء حزيران سنة ١٩٦٠ ، من الجلسـة الرابعة الى آخر جلسة من جلساته فضلا عن الجلسات العديدة التي عقدتها لجنة فرعية الفت للنظر في قسم منها تحضيراً للبت فيها من الهيئة العامة ، والجلسة التي عقدتها لجنة أخرى موسعة لابداء رأيها في الاستيضاحات المتعلقة بالموضوع قدمها السيد حميد نشأة المعاون الاختصاصي في قسم التربة في وزارة الزراعة

وأصل هذه المصطلحات قائمة تحوى (٣٠٢) مصطلح ، وضعها السيد حميـد نشأة اسماعيل وقدمهـا الى مديرية البحوث والمشاريع الزراعية العامة في وزارة الزراعة لاقرارها من مؤسسة علمية رسمية ، فارسـلتها المديرية الى المجمع لتدقيقها والتصرف بهـا بغية تعميمها بعد ذلك على منتسبيها وذوي الاختصاص في الزراعـة والعلوم ذات العلاقة بها للاستفادة من استعمالها في تآليفهم وكتاباتهم . وقد قرن صاحب القائمة كل مصطلح بايضاح وجيز قصد بـه تفسير المراد منه

وقد درس المجمع هـذه المصطلحات بدقة وامعـان واستحضر السيد حميد نشأة اسماعيل صاحب القائمة في كثير من الجلسات لتوضيح معانيهـا مفصلة — كما هو ديدنه في تدقيق ما تطلبه منه الدوائر الرسمية من ذلك — فأقر بعض ما ورد في القائمة بعد

ان صرف جهداً في تدقيقه وتعديل بعض صيغه وشكلاته ووضع للباقي مصطلحات استخرجها من عيون كتب اللغة مستعيناً بالملكة العلمية والقياس اللغوي ، ومداولة الآراء بين أعضائه .

ولا بد لنا من الاشارة الى قرار للمجمع ، سبق ان نبه اليه مراراً ، هو : ان المصطلحات التي يضعها لا تعتبر مستقرة نهائياً ، بل هي في عرفه مصطلحات مقترحة تقدم الى الجمهور لابداء الرأي فيها من الاختصاصيين والمعنيين خلال ستة أشهر من نشرها ، وارسال ما عندهم من ملاحظات ليعيد المجمع النظر فيها فتصبح بعدئذ مستقرة نهائياً عنده

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
العقد الماص	ABSORBING COMPLEX	مركب الامتصاص
التعرّي المعجل	ACCELERATED EROSION	التعرية الشديدة
اشباه الحوامض	ACIDOIDS	حامضيات
التصاق	ADHESION	التلاصق
امتساك	ADSORPTION	ادمصاص
مجموعة (مجموع)	AGGREGATE	مجموعة (مجاميع)
ارض زراعية. أو ارض اريضة	AGRICULTURAL LAND	الأرض الزراعية

المصطلح الوارد	المصطلح الانكليزي	المصطلح الذي اختاره المجمع
السعة الهوائية	AIR CAPACITY	السَّعة الهوائية
التجفيف الهوائي	AIR DRY	الجاف بالهواء
قلوية	ALKALI (OR SOLONETZS)	قلوية
عملية تكوين التربة القلوية	ALKALIZATION	تَقْلية
تربة رسوبية نهرية	ALLUVIAL	التربة التقنية
الطمي	ALLUVIUM	التِقن
التركيب العديم الشكل	AMORPHOUS STRUCTURE	التركيب اللاشكلي
غرويات امفوتيرية	AMPHOLYTOIDS	الغَراويات الحمض قاعدية
الكثافة الظاهرية	APPARENT DENSITY	الكثافة الظاهرة
قابلة للزراعة	ARABLE	ارض حية أو (صالحة للزراعة)
المناخ الجاف	ARID CLIMATE	المُناخ القاحل
اتحاد	ASSOCIATION	المتجمهرة
الجاهزية	AVAILABILITY	التَجهُز
لا اقليمية	AZONAL	لا منطقية
الأرض الرديئة	BADLAND	الأرض الرديئة
نثر السماد على خطوط	BANDING FERTILIZER	التسميد الخطي
المستوى القاعي	BASE LEVEL OF EROSION	قَرارة التعرية
دليل المعادن القاعدية	BASE MINERAL INDEX	دليل المعادن القاعدية
الاشباع القاعدي	BASE SATURATION	التشبُّع القاعدي
قاعديات	BASEOIDS	اشباه القواعد

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
الارواء الحوضي	BASIN IRRIGATION	الري الحوضي
صخر الأديم	BED ROCK	الصخر الأصل
تسطيحة	BENCH TERRACE	مصطبة
الرمل المبلّج	BLEACHED SAND	الرمل المقصور
مُكتّل	BLOCKY	مكتل
تربة رَدَغية	BOG SOIL	تربة المستنقعات
الارواء الشريطي	BORDER IRRIGATION (STRIP IRRIGATION)	الري الشريطي
التسطيحة الوسيعة	BROAD BASE TERRACE	مسطبة عريضة
الأرض العفراء	BROWN EARTH (BROWN FOREST SOIL)	الأرض البنية
التربة البودزولية العفراء	BROWN PODZOLIC SOIL	تربة البودزول البنية
التربة العفراء	BROWN SOIL	التربة البنية
تربة كلسية	CALCAREOUS SOIL	تربة كلسية
قشرة كلسية	CALCAREOUS CRUST	قشرة كلسية
الكالسة	CALICHE	طبقة كلسة او نتراتية
تقييم (تقويم) القابلية	CAPABILITY RATING	تقويم التربة
المسامية الشعرية	CAPILLARY POROSITY	المسامية الشعرية
الماء الشعرى	CAPILLARY WATER	الماء الشعرى
الحاشية الشعرية	CAPILLARY FRINGE	الحاشية الشعرية
النّسيقة	CATENA	كتينة

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
التبادل الكاتايوني	CATION EXCHANGE	التبادل الفلزي
التربة الدكناء	CHERNOZEM	شرنوزم
التربة الكُمَيت	CHESTNUT SOIL	التربة الكستانية
الرماع	CHLOROSIS	اصفرار النبات
البَوْغاء	CLAY	الطين
الجزء البوغائي	CLAY FRACTION	الجزء الطيني
العقد البوغائي	CLAY COMPLEX	مركب الطين
الغراويات البوغائية	CLAY COLLOIDS	غرويات الطين
معدن البوغاء	CLAY MINERAL	المعدن الطين
صحن بوغائي	CLAY PAN	طبقة طينية صلدة
ك / ن	C / N	نسبة الكاربون للنايتروجين نسبة ك / ن
مَدَرة	CLOD	مدرة
الحُث (الرمل الخشن)	COARSE SAND	رمل خشن
التماسك	COHESION	الالتحاء
عمودي	COLUMNAR	اسطواني
الترنوق	COLLUVIUM	الطمي الموضعي
السماد الكامل	COMPLETE FERTILIZER	السماد الكامل
العقد والعقدة والجمع عقدات	COMPLEX	—
الدُمان	COMPOST	ممزوج

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
الركامية	CONCRETION	متحجر
قوام	CONSISTENCY	درجة التماسك
المناخ القاري	CONTINENTAL CLIMATE	المناخ القاري
الأتْلام الحائقة	CONTOUR FURROWS	السواقي الكنتورية
الاستنفاد	CONSUMPTIVE USE (OR EVAPO = TRANSPIRATION)	الاسهلاك المائي
نبات الصيانة	COVER CROP	نبات التغطية
النسبة القصوى	CRITICAL PERCENTAGE	النقطة الحرجة
فُتات	CRUMB	فتات
التركيب الفتاتي	CRUMB STRUCTURE	التركيب الفتاتي
حطام	DEBRIS	حطام
درجة الانتشار	DEGREE OF DISPERSION	درجة التفريق
التردُّؤ	DEGRADATION	انحلال
التربة الدكناء المتردئة	DEGRADED CHERNOZEM	تربة الشرنوزم المنحطة
إمازة القواعد	DEPLETION OF BASES	ابعاد الفلزات
الاسترصاف الصحراوي	DESERT PAVEMENT	الرصف الصحراوي
الترب الصحراوية	DESERT SOILS	الترب الصحراوية
التلمع الصحراوي	DESERT VARNISH	الطلاء الصحراوي
رواسب مِذروية	DETRITAL FAN	الترسبات المروحية
انتشار	DISPERSION	انتشار

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
الطبقة الشفعية	DOUBLE LAYER	الطبقة المزدوجة
بزل	DRAINAGE	صرف او بزل
بزلة	DRAINAGE BASIN(WATER SHED)	حوض الصرف
تسطيحة البزل	DRAINAGE TERRACE	مسطبة الصرف
التسميد المستبطن	DRILLED FERTILIZER	التسميد الآلي الخطي
الزراعة التبرُضية	DRY FARMING	الزراعة الجافة
كثبان	DUNES	كثبان
علم بيئة الاحياء	ECOLOGY	علم بيئة الاحياء
التأثير التربي	EDAPHIC	التربة كمحيط للنمو النباتي
علم تأثير التربة	EDAPHOLOGY	علم التربة كمحيط للنمو النباتي
الغيث المشتف	EFFECTIVE PRECIPITATION	المتساقطات المائية الفعالة
التوصيل الكهربائي	ELECTRICAL CONDUCTIVITY	الايصال الكهربائي
الافق السليب	ELUVIAL HORIZON	افق السلب
المكافيء بالمليون	E. P. M. (EQUIVALENT PER MILLION)	مكافيء بالمليون
التعرية	EROSION	تعرية
العنصر الجوهري	ESSENTIAL ELEMENT	العنصر الاساسي
قابل للتبادل	EXCHANGEABLE	قابل للتعويض
الحموضة التبادلية	EXCHANGE ACIDITY	الحموضة المتبادلة
السعة التبادلية	EXCHANGE CAPACITY	السعة التبادلية
بور	FALLOW	بور

المصطلح الوارد	المصطلح الانكليزي	المصطلح الذي اختاره المجمع
عائلة	FAMILY	عائلة
تربة عضوية منخفضة	FEN SOIL (LOW MOOR)	التربة الحَمَئية
خصوبة	FERTILITY	الخصب أو (الاخصاب)
نسبة التسميد	FERTILIZATION RATIO	نسبة التسميد
السعة الحقلية	FIELD CAPACITY	السعة الحقلية
رطوبة الخمسة عشر ضغطجوي	FIFTEEN ATMOSPHERE MOISTURE PERCENTAGE	الرطوبة الخمسة ـ عشرية
الماء الرقيق	FILM WATER	الرَق
التربة الناعمة	FINE EARTH	دِق
الرمل الناعم	FINE SAND	العَداب (الرمل الناعم)
القاع الأول	FIRST BOTTOM	الرقة
تثبيت	FIXATION	تثبيت
التبقع الاختزالي	GLEY	التبقع
ارض المرعي	GRAZING LAND	المرعى
حبيبات	GRANULES	حبيبات
حبيبي	GRANULAR	حبيبي
حصى	GRAVEL	حصى
ماء الجذب	GRAVITATIONAL WATER	الماء المجتذب
تربة البودزول الرمادية البنية	GRAY BROWN PODZOLIC	تربة البودزول الصنابية
تربة حديد رمادية	GRAY FERRUGINOUS SOIL	تربة حديدية رمادية
الطين الاستوائي الرمادي	GRAY TROPICAL CLAY	البوغاء الاستوائية الرمادية

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
التربة الغابية الرمادية	GRAY WOODED SOIL	تربة الغابات الرمادية
السماد الخضر	GREEN MANURE	السماد الاخضر
الماء الجوفي	GROUND WATER	الماء الجوفي
التربة البدزولية الجوفية الماء	GROUND WATER PODZOL	تربة البودزول ذات الماءالجوفي
اخدود	GULLY	اخدود
التعرية الاخدودية	GULLY EROSION	التعرية الاخدودية
النباتات الملحية	HALOPHYTIC	النباتات الهالوفتيكية
الصحن الصلد	HARD PAN	طبقة صلدة
حرارة الابتلال	HEAT OF WETTING	حرارة الابتلال
افق	HORIZON	افق او طبقة
افق (ا)	HORIZON A	افق (ا)
افق (ب)	HORIZON B	افق (ب)
افق (ج)	HORIZON C	افق (ج)
المناخ الندى	HUMID CLIMATE	المناخ الرطب
الاماهة	HYDRATION	—
التحلل المائي	HYDROLYSIS	—
الصخر الناري	IGNEOUS ROCK	الصخر الناري
السلسلة الايلية	ILLITE SERIES	سلسلة المايكا المائية
الافق الكاسب	ILLUVIAL HORIZON	افق الاضافة
الخواص الموروثة	INHERITED CHARACTERISTICS	الخواص الموروثة

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
فجة	IMMATURE	غير ناضجة
الصرف المعوق	IMPEDED DRAINAGE	الصرف المحبوس
النبات المشير	INDICATOR PLANT	النبات الكشاف
المغاض	INFILTRATION	ارتشاح
مستنطقة	INTRAZONAL	شبه اقليمية
الصحن الحديدي	IRON PAN	طبقة حديد صلدة
الحجر الحديدي	IRON STONE	الحجر الحديدي
كفاية الارواء	IRRIGATION EFFICIENCY	كفاءة الري
التعويض المتشاكل	ISOMORPHOUS REPLACEMENT	التعويض المتماثل
عائلة الكائولين	KAOLINE FAMILY	عائلة الكيئولين
ارض	LAND	ارض
منظر ارض	LANDSCAPE	صقع
تصنيف الاراضي	LAND CLASSIFICATION	تصنيف الأراضي
طريقة استعمال الأرض	LAND USE PATTERN	نظام استعمال الارض
مور الأرض	LANDSLIDE	انزلاق التربة
التربة الحمراء	LATERITE SOIL	تربة اللاترايت
التركيب الشبكي الطبقي	LAYER-LATTICE STRUCTURE	التركيب الصفائحي الطبقي
التصويل	LEACH	غسل باطني
صحن كلس	LIME PAN	طبقة كلس صلدة
المزيجة	LOAM	مزيجية

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
الفقد بالاحتراق	LOSS ON IGNITION	مفقود الاحتراق
الحد اللّدائي الادنى	LOWER PLASTIC LIMIT	الحد العجيني
الاستنفاد الترِيف	LUXURY CONSUMPTION	الاسهلاك الـكمالي
مقياس التسرب	LYSIMETER	مقياس الرشح
السِكرس	MARL	مارل
نضيجة	MATURE	ناضجة
مُناخ البحر المتوسط	MEDITERRANEAN CLIMATE	مناخ البحر الابيض المتوسط
التحليل الآلي	MECHANICAL ANALYSIS	التحليل الميكانيكي
هشة	MELLOW	هش
المو	MHO	وحدة الايصال الـكهربائي
التعدن	MINERALIZATION	تحرير المعادن
المدخر المعدني	MINERAL RESERVE	الاحتياط المعدني
الرطوبة	MOISTURE	الرطوبة
المُكافئ الرطوبي	MOISTURE EQUIVALENT	المكافئ الرطوبي
نسبة الرطوبة	MOISTURE PERCENTAGE	نسبة الرطوبة
الاجهاد الرطوبي	MOISTURE STRESS	ضغط ماء التربة
الشد الرطوبي	MOISTURE TENSION	الشد الرطوبي
البزل الانبوبي	MOLE DRAINAGE	الصرف الانبوبي
قِدّة	MONOLITH	مقطع عمودي
سلسلة المونتموريلونايت	MONTMORILLONITE SERIES	سلسلة المونتموريلونايت

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
النترية	NITRIFICATION	النترجة
تثبيت النايتروجين	NITROGEN FIXATION	تثبيت النايتروجين
المسامية اللاشعرية	NON-CAPILLARY POROSITY	المسامية الغير شعرية
الانزواء العادي	NORMAL SHRINKAGE	التقاص الاعتيادي
الغاذي	NUTRIENT	المادة الغذائية
نسبة الثلث الجوي	ONE-THIRD ATMOSPHERE PERCENTAGE	النسبة المئوية لثلث ضغط جوي
رُتبة	ORDER	رتبة
الضغط الحلولي	OSMOTIC PRESSURE	الضغط الاوزموزي
المادة الأم	PARENT MATERIAL	المادة الاصلية
كثافة الدقائق	PARTICLE DENSITY	الكثافة النوعية
الدَرين	PEAT	مادة عضوية
تربة درينية	PEAT SOIL	تربة عضوية
التربة الحديدية الالومينية	PEDALFER	تربة الحديد والالمنيوم
تربيب التربة	PEDOGENESIS	تكوين التربة
جو التربة	PEDOSPHERE	بيئة التكوين
النفاذية	PERMEABILITY	النفاذية
طور	PHASE	شكل
مقياس الضغط	PIEZOMETER	مقياس الضغط
التربة المستوية	PLANOSOL	بلنيسول
اللَدن	PLASTIC	عجيني

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
التركيب الصفيحي	PLATY STRUCTURE	التركيب الصفائحي
تربة الحرث	PLOW SOLE	تربة الحرث
البودزول	PODZOL	تربة البودزول
البَـدْزلة	PODZOLIZATION	البدزلة
اخلية المسام	PORE SPACES	المسامات البينية
المعدن الاولي	PRIMARY MINERAL	المعدن الرئيسي
منشوري	PRISMATIC	منشوري
التربة المَرْجية	PRAIRIE SOIL	البريري
النتاجية	PRODUCTIVITY	قابلية الانتاج
المَقَدّ	PROFILE	قطاع
مسامية	POROSITY	مسامية
سداد الفاقة	POVERTY ADJUSTMENT	منطقة الفاقة الغذائية
الاستصلاح	RECLAMATION	اصلاح التربة
البودزولية الحمراء	RED PODZOLIC	البودزول الحمراء
التربة الصحراوية الشكلاء	REDISH DESERT	التربة الصحراوية الحمراء
التربة الكُميت الشكلاء	REDISH CHESTNUT SOIL	التربة الكستانية الحمراء
التربة المرجية الشكلاء	REDISH PRAIRE SOIL	ترب البريري الحمراء
مقد الصقع	REGIONAL PROFILE	القطاع النموذجي
التربة الارقية	REGOSOL	ركو سول
ضرس	RELIEF	تضريس

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
رندزينة	RENDEZINA	رندزينة
فُضالة الانزواء	RESIDUAL SHRINKAGE	التقلص المتبقي
التربة الماكثة	RESIDUAL SOIL	تربة متبقية
التعرية المتشعبية	RILL EROSION	تعرية الخطوط
جو الجذور	RIZOSPHERE	بيئة الجذور
ملحي	SALINE (OR SOLONCHAK)	التربة الملحية
الاملاح	SALINIZATION	التمليح
رمل	SAND	رمل
القلوية ـ الملحية	SALINE-ALKALI	القلوية ـ الملحية
مستخلص الشبع	SATURATION EXTRACT	المستخلص المشبع
نسبة الشبع	SATURATION PERCENTAGE	نسبة التشبع
القاع الثاني	SECOND BOTTOM	القاع الثاني
المعدن الثونوي	SECONDARY MINERAL	المعدن الثانوي
تربة ثانوية	SECONDARY SOIL (TRANSPORTED	تربة ثانوية
شبه قاحل	SEMIARID	الشبه قاحل
سلسلة	SERIES	سلسلة
التعرية اللوحية	SHEET EROSION	التعرية الطبقية
الرمل المتنقل	SHIFTING SAND	الرمل المتنقل
التسميد الجانبي	SIDE DRESSING	التسميد الجانبي
نسبة السيليكا الى الاكاسيد السداسية	SILICA-SESQUIOXIDE RATIO	نسبة السيليكات للاكاسيد السداسية

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	للمصطلح الوارد
غِرْيَن	SILT	غرين
التركيب المنفرد للحب	SINGLE GRAIN STRUCTURE	التركيب المنفرد
نسبة الصوديوم	SODIUM PERCENTAGE	نسبة الصوديوم
زُحول التربة	SOIL CREEP	زحف التربة
علم تشكل التربة	SOIL MORPHOLOGY	الخواص الظاهرية
مناخ التربة	SOIL CLIMATE	مناخ التربة
تقرير مسح التربة	SOIL SURVEY REPORT	تقرير مسح التربة
القلوية المتردئة	SOLOD (SOLOTH)	القلوية المنحطة
نسبة الصوديوم الذائب	SOLUBLE SODIUM PERCENTAGE	نسبة الصوديوم الذائب
المستتربة	SOLUM	سولم
التسطيحة الدرجية	STEP TERRACE	مسطبة سلمية
نقطة اللَّـثَـق	STICKY POINT	نقطة اللزوجة
مطبقة	STRATIFIED	طبقية
الازدراع الشريطي	STRIP CROPING	الزراعة الشريطية
تركيب	STRUCTURE	تركيب التربة
دليل التركيب	STRUCTURAL INDEX	دليل التركيب
التربة التحتية – التربة التحتانية	SUB-SOIL	التربة الداخلية
الرتبة التحتية ـ الرتبة التحتانية	SUB-ORDER	تحت الرتبة
مستنقع	SWAMP	مستنقع
مقياس الشد	TENSIOMETER	مقياس الشد الرطوبي

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
التسطيحة	TERRACE	مسطبة
التربة الوردة	TERRA ROSSA	التربة الحمراء
نَسجة	TEXTURE	نسيج التربة
فلاحة	TILLAGE	—
فلحية	TILTH	فلح
التربة الانتقالية	TRANSITIONAL SOIL	التربة الانتقالية
نوع	TYPE	نوع
الدقيقة الآخرة	ULTIMATE PARTICLE	القطعة النهائية
حد اللدانة الأعلى	UPPER PLASTIC LIMIT	الحد العجيني الاعلى
الأرض الموات	WASTE LAND	الارض التالفة
الطلب المائي	WATER REQUIREMENT	—
سطح الماء الباطن	WATER TABLE	مستوى ماء الارض
التغدُّق	WATERLOGGING	التشبع المائي
المناخية	WEATHERING	عملية الهدم والبناء
نقطة الذبول	WILTING POINT	درجة الذبول
تربة البودزول الصفراء	YELLOW PODZOLIC SOIL	تربة البودزول الصفراء
منطقية	ZONAL	اقليمية

مصطلحات في أنواع التربة

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
رمل	SAND	رمل
رملية مزيجة	LOAMY SAND	تربة رملية مزيجية
مزيجة رملية	SANDY LOAM	تربة مزيجية رملية
مزيجة رملية ناعمة	FINE SANDY LOAM	تربة مزيجية رملية ناعمة
مزيجة رملية ناعمة جداً	VERY FINE SANDY LOAM	تربة مزيجية رملية ناعمة جداً
مزيجة	LOAM	تربة مزيجية
مزيجة غرينية	SILT LOAM	تربة مزيجية غرينية
غرينية	SILTY	تربة غرينية
مزيجة بوغائية	CLAY LOAM	تربة مزيجية طينية
مزيجة بوغائية رملية	SANDY CLAY LOAM	تربة مزيجية طينية رملية
مزيجة بوغائية غرينية	SILTY CLAY LOAM	تربة مزيجية طينية غرينية
بوغائية رملية	SANDY CLAY	تربة طينية رملية
بوغائية غرينية	SILTY CLAY	تربة طينية غرينية
بوغاء	CLAY	تربة طينية

الضائع من معجم الأدباء

- ٢ -

٢٧ — عبد الله بن علي بن نصر بن حمزة [1] بن علي بن عبد الله أبو بكر بن أبي الفرج التيمي المعروف بابن المارستانية :

قال الصلاح الصفدي : « هكذا كان يذكر نسبه ويوصله إلى أبي بكر الصديق - رضي - ... قال ياقوت : وعني بجمع تاريخ بغداد أزرى فيه على الخطيب وسماه كتاب (ديوان الاسلام الأعظم) قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً ، وفي كل كتاب أسماء توافق أنسابها وطوّل في ذلك ، وله كتاب تاريخ الحوادث ولم يتمّ وكتاب في الصفات وغير ذلك ... وفيه يقول أبو جعفر [أحمد] ابن الواثق :

دع الأنساب لا تعرض لتيم ... فأين الهجن من ولد الصميم

لقد أصبحت في تيم دعياً ... كدعوى الحيص بيصَ الى تميم

[تتمـــة]

وقال محب الدين بن النجار : « ورأيت المشـــايخ الثقات من أصحاب الحديث وغيرهم ينكرون نســـبه هذا ويقولون إن أباه وأمه كانا يخدمان المرضى بالمارســتان ، وكان أبوه مشهوراً بفريج تصغير (الفرج) ، عامياً لا يفهم شيئاً وإنه سئل عن نسبه فلم يعرفه ثم ادعى لأمه نسباً إلى قحطان وادعى لأبيه سماعاً من أبي بكر محمد بن عبد الباقي وسمعه منه ، وذلك

(١) قال الصفدي وغيره « وجده حمزة بالحاء وسكون الميم »

باطل ، وكان قد طلب العلم في صباه ، وتفقه لأحمد بن حنبل وسمع كثيراً وكتب بخطه وحصل الأصول ، ولم يقنع بذلك حتى ادعى السماع ممن لم يدركه واختلق على الكتب طباقاً بخطوط مجهولة ، وجمع مجموعات من التواريخ وأخبار الناس من غير طرقها وظهر له (كذا) من كذبه وخشه وبهوره ما كان مخفياً ، وقرأ كثيراً من الطب والمنطق والفلسفة ، وكانت بينه وبين عبيدالله بن يونس صداقة ، فلما أفضت إليه الوزارة اختص به وقوي جاهه ، وبنى داراً بدرب الشاكرية وسماها (دار العلم) وجعل فيها خزانة علم أوقفها على طلاب العلم ، وكانت له حلقة بجامع القصر يقرئ فيها الحديث يوم الجمعة ويحضره الناس ، ورتب ناظراً على المارستان العضدي فلم تحمد سيرته وقبض عليه وسجن في المارستان مدة مع المجانين مسلسلاً ، وبيعت دار العلم بما فيها ثم أطلق بعد مدة وبقي يطب الناس ، وصادف قبولاً فأثرى وعاد إلى حسنته (كذا) ، وحصل كتباً كثيرة ثم ندب إلى الترسلية من الديوان الى تفليس وخلع عليه خلعة سوداء وقميص وعمامة وطراحة [1] وأعطي سيفاً ومركوباً ، وتوجه الى إيلدكز ، فأدركه أجله هناك سنة تسع وتسعين وخمسمائة ومن شعره :

أفردتني بالهموم ذات دل ونعيم أودعت قلبي سقاماً والحشا نار الجحيم

ليس لي شغل سواها من خليل وحميم وهي داء للمعافى ودواء للسقيم

شغلت قلبي بأمر مقعد فيها مقيم

... وقد بالغ ابن الدبيثي في الطعن عليه وزاد في غلوّه فيه والله أعلم بحقيقة الحال »[2]

(١) الطراحة : الطيلسان

(٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦٦ ٢ الورقة ٥ ٣ ، ٣٠٦ » وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال كما جاء في لسان الميزان « ٤ : ١٠٨ » قال : « عبيد الله بن علي البغدادي المشهور بابن المارستانية ، ليس بثقة اتهم بالكذب وتزوير السماع من شهدة وطبقتها فما قنع حتى ادعى السماع من الأرموي وكان يتفلسف انتهى » وسيأتي في نقلنا من تاريخ ابن الدبيثي أن الرجل سمع من شهدة وطبقتها ، فلا وجه لانكار الذهبي ذلك

وقال ابن الدبيثي : « عبيــد الله بن علي بن نصر بن حمزة (بالحاء المهملة والزاء غير المعجمة) أبو بكر بن أبي الفرج المعروف بابن المارســتانية ، أحد من طلب الحديث وسمعه ، وجمع الكتب المصنفات فيه واتسم بمعرفته وادعى الحفظ له ، وسعة الرواية والنقل عمن لم يدركه ولا سمع منه ، فأطلق ألسن الناس في جرحه وتكذيبه وإساءة القول في حقه من أهل هذه الصناعة والعلماء بها ، وانتسب الى أبي بكر الصديق — ر ض — مع معرفة الناس به وبأبيه ، وبعدهم عن نسب مشهور غير خدمة المارستان فكان أبواه يخدمان بالمارستان وتعرف أمه بالمارســتانية وإليها نسب وأما أبوه فكان يعرف بفرج أحد حواشي المارستان والقوام بــه . لا يعرف بكنية ولا يعرف بغير ذلك ، فغير ابنه هـذا اسمــه وكناه بأبي الفرج وسماه علياً ، ولعل قائلاً لو قال لأبيه أتعرف (أبا الفرج علي بن نصر المحمــدي التيمي) كما كان ابنــه عبيد الله هذا [يسميه] لما عرف ذلك الشخص وهو نفسه ومن العجائب أن عبيد الله هذا روى في شيء من تأليفه في عدة مواضع عن أبيه هذا ويقول : أخبرني والدي أبو الفرج علي بن نصر قال أنبأنا القاضي أبو بــكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري — ويذكر حديثاً — وأبوه معروف وكان عامياً غير معروف بطلب الحديث ولا بسماعه ولا يفهم الرواية ولا كان من أهلها ، وكان في ابنه عبيد الله من الجرأة والقحة والإقدام أن خرّج عنه [أحاديث] وأدخله في جملة الرواة ، و نَقلة الأخبار ، وجعله ممن يسند اليه تمهيداً لنفســه حتى يقال (هو محدث بن محدث) ومن (أولاد الشيوخ الرواة) ولم يحصل له ذلك بل كان من أظهر الأدلة على تمحله وتخرصه وادعائه ما لم يكن قط الى غير ذلك من فعلاته الظاهرة المحال وروايته الواضحة البطلان وقد بلغني أن شيخنا أبا الفرج بن الجوزي بلغه أنه روى عن شيخ من أهل بغداد تحقق أنه ما سمع منه فأحضره عنده وسأله عن روايته عن ذلك الشيخ فأقر بالسماع منه ، فسأله عن مولده فأخبره ، وذكر الشيخ وفاة ذلك الشيخ وكان قد توفي قبل مولد هذا الرجل ـ أعني ابن المارستانية ، فظهر

كذبه واتضح تخرصه ، ولقد وقفت على جزء من حديث أبي محمد العلوي الأقساسي الكوفي وقد رواه القاضي أبو الفضل الأرموي عنه سماعاً صحيحاً ، وسمعه من الأرموي جماعة في طباق وعليه طبقته قد زوّرها هذا ابن المارستانية على الأرموي وذكر اسمه فيها وسماعه منه ، وجعل كاتب السماع أبا العلاء محمد بن هبة الله بن البُوقي الواسطي ، وهي ظاهرة المحال من وجوه منها بُعد سماعه من الأرموي لأنه كان في حياته صبياً ، ولم يكن معروفاً بطلب الحديث في صباه ولا كان له من يُسمعه ، ومنها أن أبا العلاء لم يسمع من الأرموي ولا دخل بغداد في حياته وإنما دخلها بعد وفاته بسنتين ، وقد أدركنا أبا العلاء وسمعنا منه وما ذكر أنه سمع من الأرموي ولا غيره من أهل بغداد لاشتغاله بغير ذلك ، ومنها أن خط أبي العلاء كنا نعرفه ، وقد كتب لنا سماعاً عليه بخطه وفي إجازة لا يشبه الخط الذي على الجزء بسماعه من الأرموي ثم رأيت على حاشية الجزء المذكور عند هذه الطبقة بخط أبي القاسم تميم بن أحمد البندنيجي (كذب فعل الله به وصنع ، لم يسمع من الأرموي ولا لقيه) وسماه — أعني ابن المارستانية — ، وله مثل ذلك كثير على أنه كان منتمياً الى علم الطب والفلسفة وأشباه ذلك مشهوراً به وقد سمع شيئاً من الحديث من المتأخرين كالكاتبة شهدة بنت أحمد الإبَري وأبي الحسين بن يوسف وابي الفتح بن شاتيل وأمثالهم فأما ما يدعيه من السماع ممن قبلهم فغير صحيح ، وقد حدث عن الأرموي بالجزء الذي قدمنا ذكره وعن غيره من الشيوخ بما لا يصح سماعه ، وسمع منه قوم على غرّة من أمره ، وتقلبت به أحوال الدنيا ، ونظر في أوقاف المارستان العضدي ولم تحمد سيرته ، فقبض عليه وحُبس به — أعني المارستان — مدة وأطلق ، وجمع مسوّدة كتاب سماه (ديوان الاسلام الأعظم) في تاريخ بغداد ، فكتب منه كثيراً ولم يتممّه ولا بيضه ، ووقفت منه على شيء ، وقد ضمنه من غرائب الشيوخ له والروايات غير قليل ، ولو ظهر هذا الكتاب وتمّ لكان من أكبر الشواهد على تخرصه وفي صفر سنة تسع

وتسعين وخمسمائة ندب من الديوان العزيز — مجّـده الله — إلى الخروج في بعض الأمور السلطانية إلى تفليس وخُلع عليه خلعة سوداء وطيلسان ، وتوجه إليها في الشهر المذكور وجاز في طريقه باربل والموصل وحدث بهما وبغيرهما ووصل الى البلد المذكور ، وقضى ما خرج فيه ، وتوجه عائداً الى بغداد ، فتوفي قبل وصوله بموضع يعرف بجرخ بنـد في ليلة ذي الحجة (كذا) سنة تسع وتسعين وخمسمائة فدفن هناك [١] »

وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة « ٥٩٩ » : « وفي ذي الحجة توفي الشيخ أبو بكر عبيد الله بن أبي الفرج علي بن نصر بن حمْـزة [٢] البغـدادي المعروف بابن المارستانيّـة ، بطريق تفليس ، ودفن هُـناك ، سمع من شهدة بنت الأبري وأبي الحسن عبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف وأبي الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل ، وطبقتهم ، وحدث باربل والموصل وغيرها ، وكان يذكر أنه تيميّ وذكر أنه سمع من أقوام لم يدركهم... وعرف بابن المارستانية ، لأن أبويه كانا يخدمان المارستان ، ونظر هو في أوقاف المارستان العضدي ، وقيل كانت وفاته في صفر من السنة والصحيح الأول لأن خروجه من بغداد الى تفليس كان في صفر فوصل اليها وقضى ما خرج فيه وعاد فمات في الطريق [٣] »

وقال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين علي بن أنجب في تاريخه وقال : كان فقيهاً محدثاً مؤرخاً مفسراً وجمع وصنّـف ورسم كتاباً سمـاه (ديوان الاسلام) ، ذكر في خطبته أنه قسّـمه ثلاثمائة وستين كتاباً ، وطوّل في ذلك تطويلاً يضيق العمر عنه ، لا جرم لم يتمّ ، وصنّـف سيرة الوزير عون الدين يحيي بن هبيرة ، وأنفذ رسولاً الى تفليس ، فلما رجع توفي بجرخ بنـد ، موضع قرب نخجوان في غرّة ذي الحجة سنة تسع وتسعين

(١) ذيل تاريخ بغداد . نسخة كمبرج (٢٩٢٤ : الورقة ٢٦)

(٢) قال : « وحمزة : بضم الحاء المهملة وسكون الميم وبعدها راء مهملة وتاء تأنيث »

(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ١ : ٤٧)

وخمسمائة [1] »

وقال الذهبي في وفيات سنة « ٥٩٩ » : « عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة أبو بكر ابن المارستانية ، قال ابن نقطة : حدثني علي بن أحمد الزيدي أن ابن المارستانية استعار منه (مغازي الأمويّ) فردَّها وقد طبق عليها السَّماع على كل جزء ولم يسمعها ، وكان شيخنا ابن الأخضر ينهى أن يسمع على أحد بنقله أو بخطه أو بخط أبي بكر بن هوار ، وسمعت نصر بن عبد الرزاق الجيلي يقول : اجتاز ابن المارستانية على باب مسجد عبد الحق ابن يوسف ونحن نسمع فلما رآه نهض اليه وأخذ عكازه وجعل يضربه ويقول : (ويلك تستعير مني أجزاءاً ثم تردها وقد سمعت عليها ؟ تستغفلني أنت ، متى قرأتها علي ؟) وشتمه حتى قام رجل وخلّصه منه ، وحدثني علي بن عبد العزيز بن الأخضر قال : سمعت أبي يقول قام أبو الحسين بن يوسف عندنا بجامع القصر فقال : اشهدوا عليّ أن ابن المارستانية كذاب قلت ابن المارستانية بغدادي طالب حديث ذكره الدبيثي [2] ... »

وقد نقل سبط ابن الجوزي من تاريخه كما جاء في ترجمته لابن الهبارية « مخ ج ٨ ص ٥٩ طبعة حيدر أباد » ونقل ابن الدبيثي من تاريخه كما جاء في ترجمة « محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الثقفي الأصفهاني » ، قال : « ذكره أبو بكر عبيد الله بن أبي الفرج المارستاني فيما رسمه من التاريخ وسماه (ديوان الاسلام الأعظم لمدينة السلام) ولم يتممه ... وأبو بكر هذا ممن لا يعتمد عليه ولكن حكينا ما ذكره [3] » ونقل منه في مواضع أخرى

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ ص ٢٣٦ من نسختي المنسوخة الأولى »

(٢) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١١٨ ، ١١٩ » ، وله ترجمة في ذيل الروضتين « ص ٣٤ » والجامع المختصر « ٩ : ٨٢ ، ٩٨ ، ١١٠ » وعيون الأنباء « ١ : ٣٠٣ » وذيل طبقات الحنابلة « ١ : ٢ : ٤ » وقد دافع عنه أبو شامة وابن رجب . وله ذكر في أخبار الحكماء « ص ١٠٤ » والشذرات « ٤ : ٣٣٩ »

(٣) ذيل تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٦ »

طاعناً عليه ونقل غير مؤرخ من كتابه « سيرة عون الدين بن هبيرة » كما فعل الصفدي في ترجمة العاضد لدين الله الفاطمي [1]

٢٨ — محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون غرس الدولة أبو نصر المنشىء الأديب

ذكره ياقوت أولاً في ترجمة « أحمد بن علي بن المعمّر العلوي الحسيني النقيب » المتوفى سنة « ٥٦٩ » قال : « وكان فيه كيس ومحبة لأهل العلم ، وبينه وبين محمد بن الحسن بن حمدون مكاتبات كتبناها في ترجمته » [2]

وجاء في آخر الجزء الثالث من معجم الأدباء » تمَّ المجلد الثالث من كتاب معجم أهل الأدب والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيد المرسلين محمد النبيّ وآله الطاهرين وصحبه أجمعين ، ويتلوه إن شاء الله في أول الرابع (محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الملقب بغرس[3] الدولة أبو نصر المنشىء صاحب الرسائل » [4]

[تتمة]

وقال ابن الفوطي : » غرس الدين أبو نصر محمد بن الحسن بن علي بن حمدون البغدادي المنشىء ، أخو الصاحب بهاء الدين أبي المعالي محمد ، وكان ينوب في ديوان الرسائل عن سديد الدولة [محمد بن عبد الكريم] ابن الأنباري ، وكتب في الديوان من سنة ثلاث عشرة وخمسمائة الى أن مات ، وذكره أبو سعد بن السمعاني وقال : سمع أبا عبد الله الحسين بن علي ابن البُسري ، كتبت عنه بافادة شيخنا أبي الحسن علي بن أحمد اليزدي ، قال : وسألته عن مولده فقال : ولدت في صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وذكر أحمد بن صالح بن شافع

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ »

(٢) معجم الأدباء « ١ : ٢٤ » طبعة مرغليوث »

(٣) في النسخة المطبوعة « بفرس الدولة » وهو تصحيف

(٤) معجم الأدباء « ٦ : ٥٢٣ »

في تاريخه أنه توفي في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وخمسمائة »[1]

وقال ابن خلكان في ترجمة أخيه بهاء الدين أبي المعالي محمد بن الحسن بن حمدون :
« كان فاضلاً ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة ، من بيت مشهور بالرئاسة والفضل هو وأبوه وإخوته أبو نصر [غرس الدولة محمد بن الحسن] وأبو المظفر ... وأخوه أبو نصر محمد بن الحسن الملقب غرس الدولة ، كان من العمال وممن يعتقد في أهل الخير والصلاح ويرغب في صحبتهم ، ولد في صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وتوفي في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وخمسمائة ببغداد ودفن بمقابر قريش[2] ، وكان والدهما من شيوخ الكتاب والعارفين بقواعد التصرف والحساب وله تصنيف في معرفة الأعمال وعمّر طويلاً وتوفي يوم السبت عاشر جمادى الأولى سنة ست وأربعين وخمسمائة »[3] وذكره ابن الدبيثي في ترجمة أخيه بهاء الدين بقريب مما نقلناه من الوفيات[4] وقول ابن الدبيثي أقدم زماناً

٢٩ — محمد بن داود بن علي بن خلف أبو بكر الاصبهاني الظاهري :

قال ياقوت في ترجمة أبي عبد الله ابراهيم بن محمد نفطويه المتوفى سنة « ٣٢٣ هـ » :
« وكان بين أبي عبد الله نفطويه وبين محمد بن داود الاصبهاني مودّة أكيدة وتصاف ... وقال [نفطويه] : إن أبا بكر بن داود قال لي يوماً ـ وقد تجارينا حفظ عهود الأصدقاء ـ فقال : أقلّ ما يجب للصديق أن يتسلّب على صديقه سنة كاملة عملاً بقول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما   ومَن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

... قال المؤلف لهذا الكتاب [يعني ياقوتُ نفسه] : وأخبار أبي بكر بن داود

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١٨٧ من نسختي الأولى »

(٢) هي مقبرة الامام موسى بن جعفر الحالية في الكاظمية

(٣) الوفيات « ٢ : ٩٦ »

(٤) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٣٢ »

كثيرة مليحة رائقة وقد أفردنا له باباً في هذا الكتاب فقف عليه تطرب وتعجب »[1]

[تتمـــة]

وقال الخطيب البغدادي : « محمد بن داود بن علي بن خلف أبو بكر الاصبهاني صاحب كتاب الزهرة ، كان عالماً أديباً ، شاعراً ظريفاً ، وله في الزهرة أحاديث عن عباس بن محمد الدوري وطبقته ... أخبرنا أبو نعيم الاصبهاني أخبرني جعفر الخالدي في كتابه إليّ قال سمعت رويم بن محمد بن رويم بن يزيد يقول : كنا عند داود بن علي الاصبهاني إذ دخل عليه ابنه محمد وهو يبكي فضمّه إليه وقال : ما يبكيك ؟ قال : الصبيان يلقبوني قال : فعلى أيش حتى أنهاهم ؟ قال : يقولون لي شيئاً قال : قل ما هو حتى أنهاهم عن الذي يقولون قال : يقولون لي (يا عصفور الشوك) . فقال : فضحك داود فقال له ابنه : أنت أشد عليّ من الصبيان ممَّ تضحك ؟ فقال داود : لا إله إلا الله ما الألقاب إلا من السماء ، ما أنت يا بني إلا عصفور الشوك[2] أخبرنا علي بن أبي علي حدثنا القاضي أبو الحسن الخرزي الداودي قال : لما جلس محمد بن داود بن علي الاصبهاني بعـــد وفاة أبيه في حلقته يفتي استصغروه عن ذلك ، فدسوّا إليه رجلاً فقالوا له : سَلْه عن حد السكر ما هو ؟ فأتاه الرجل فسأله عن حدّ السكر ما هو ومتى يكون الانسان سكران ؟ فقال محمد : إذا عزبت عنه الهموم وباح بسرّه المكتوم فاستحسن ذلك منه وعُلم موضعه من العلم حدثني القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال حدثني أبو العباس الخضري ـ شيخ كان بطبرستان وكان ممن يحضر مجلس محمد بن داود الاصبهاني[3] ـ قال: كنت جالساً عند أبي بكر بن

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٨ — ٣١ .

(٢) قال ابن الفوطي : « عصفور الشوك محمد بن داود الاصفهاني ، المحدث المصنف صاحب كتاب الزهرة ليس من شرط هذا الكتاب » « تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٥٢ » وما درى مقصدهم لم لم يكن من شرط هذا الكتاب ؟ لأنه لقب استهزاء

(٣) قال في آخر الجزء : « قال لي القاضي أبو الطيب : كان الخضري شافعي المذهب الا أنه كان يعجب بابن داود : يقرظه ويصف فضله »

داود فجاءته امرأة فقالت له : ما تقول في رجل له زوجة لا هو ممسكها ولا هو مطلقها ؟ ـ ومعنى لا هو ممسكها أنه لا يقدر على نفقتها ـ فقال أبو بكر بن داود : اختلف في ذلك أهل العلم فقال قائلون : تؤمر بالصبر والاحتساب ويبعث على التطلب والاكتساب وقال قائلون : يؤمر بالانفاق وإلا يحمل على الطلاق قال أبو العباس الخضري : فلم تفهم قوله وأعادت مسألته وقالت : رجل له زوجة لا هو ممسكها ولا هو مطلقها فقال : يا هذه قد أجبتك عن مسألتك وأرشدتك إلى طلبتك ولست بسلطان فأمضي ولا قاض فأقضي ولا زوج فأرضي ، انصرفي رحمك الله قال : فانصرفت المرأة ولم تفهم جوابه أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري حدثنا المعافى بن زكريا الجريري حدثنا محمد بن يحيي الصولي قال : كنت عند ثعلب جالساً ، فجاءه محمد بن داود الاصبهاني فقال : أهاهنا شيء من صبوتك ؟ فأنشده :

سقى الله أيامـــاً لنا ولياليا	لهُنَّ بأكناف الشباب ملاعبُ
إذا العيش غض والزمان بغرّة	وشاهد آفات المحبين غائب

حدثنا أبو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن أحمـد الطبراني أخبرني بعض أصحابنا قال : كتب بعض أهل الأدب إلى أبي بكر بن داود الفقيه الاصبهاني :

يا ابن داود يا فقيـه العراق	أفتنا في قواتل الأحـــداق
هل عليها القصاص في القتل يوماً	أم حلال لها دم العشاق ؟

فأجابه ابن داود :

عندي جواب مسائل العشاق	اسمعه من قلق الحشا مشتاق
لما سألت عن الهوى أهل الهوى	أجريت دمعـاً لم يكن بالراقي
أخطأت في نفس السؤال وإن تصب	تكُ في الهوى شنقاً من الأشناق
لو أن معشوقاً يعـذب عاشقاً	كان المعذب أنعم العشاق

أخبرنا الحسن بن الحسين بن العباس النعالي قال أنشدنا أحمد بن نصر الذراع قال سمعت أبا بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني ينشد :

ومن يمنع العذب الزلال ويمتنع … من الشرب من سؤر الكلاب تغضبا
خليق إذا ما لم يجد شرب غيره … وخاف المنايا أن يذلّ ويشربا
إذا لم يقــدّر للفتى ما أراده … أراد الذي يقضى له شاء أم أبى

حـــدثني الأزهري قال أنشدنا محمد بن جعفر الهاشمي قال أنشدنا عبيد الله بن أحمد الأنباري قال أنشدني محمد بن داود الاصبهاني لنفسه :

وإني لأدري أن في الصبر راحة … ولـكن إنفاقي على الصبر من عمري
فلا تُطف نار الشوق بالشوق طالباً … سلواً فاـــن الجمر يسعر بالجمر

[وباسناد آخر] عن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي قال : كنت أساير أبا بكر محمد بن داود بن علي ببغداد فاذا جارية تغني بشيء من شعره وهو :

أشكو عليل فؤاد أنت متلفه … شكوى عليل إلى إلف يعلّله
سقمي تزيد مع الأيام كثرته … وأنت في عظم ما ألقى تقلّـله
الله حرّم قتلي في الهوى سفها … وأنت يا قاتلي ظلماً تحلّـله

فقال محمد بن داود : كيف السبيل الى استرجاع هذا ؟ فقال القاضي أبو عمر : هيهات ، سارت به الركبان

[وباسناد آخر] لمحمد بن داود الاصبهاني :

قدّمت قبلك قد والله برّح بي … شوق إليك فهل لي فيك من حظ
قلبي يغار على[1] عيني إذا نظرت … بقيا عليك فما أروى من اللحظ

* * *

(١) الصواب « من عيني » لأنه يغار من عينيه على حبيبه

جُعلت فداك إن صلحت فداءاً ... لنفسك نفسُ مثلي أو وقاءا
وكيف يجوز أن تفديك نفسي ... وليس محل نفسينا سواءا ؟

[وباسناد آخر] :

العذر يلحقه التحريف والكذب ... وليس في غير ما يرضيك لي أرب
وقد أسأت فبالنعمى التي سلفت ... إلا مننت بعفو ما له سبب

[وباسناد آخر] قال محمد بن داود الاصبهاني : ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب ، وبدأت بعمل كتاب الزهرة وأنا في الكتاب ونظر أبي في أكثره . [وبآخر] كان محمد بن داود وأبو العباس بن سريج يسيران في طريق ضيقة ، فقال أبو العباس : الطريق الضيقة تورث العقوق فقال له محمد بن داود : وتوجب الحقوق وقال أبو العباس بن سريج لمحمد بن داود ، في كلام ناظره فيه : عليك بكتاب الزهرة فقال : ذاك كتاب عملناه هزلاً فاعمل أنت مثله جداً [وباسناد من أسانيده] كان محمد بن داود خصماً لأبي العباس بن سريج القاضي ، وكانا يتناظران ويترادّان في الكتب ، فلما بلغ ابن سريج موت محمد بن داود نحّى مخاده ومساوره وجلس للتعزية وقال : ما آسى إلا على تراب أكل لسان محمد بن داود [وبغيره] لأبي بكر بن داود :

حملت جبال الحب فيك وإنني ... لأعجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماجة ... ولكنه شيء به الروح تكلف

حدثني مكي بن ابراهيم الفارسي قال أنشدنا ابن كامل الدمشقي لأبي بكر محمد بن داود في حبيبه محمد [1] بن زخرف :

يا يوسف الحسن تمثيلاً وتشبيهاً ... يا طلعة ليس إلا البدر يحكيها

(١) المشهور هو بحبه محمد بن جامع الصيدلاني ، ولكنه كما قال : « ما انفك من هوى منذ دخل الكتاب » والظاهر أنه كان ذا شذوذ جنسي يميل الى الصبيان والغلمان

أما نشرة :

« Monatsberichte der Deutschen Akademie der Wissenschaften zu Berlin »

فانها نشرة اخبارية يصدرها « المجمع العلمي الألماني ببرلين » بالمطبوعات العلمية التي يصدرها هـــذا المجمع والتي تطبع في مطبعته أو في المطابع الأخرى وتشتمل على مطبوعات في الرياضيات والفلك والفيزياء الفلكية والفيزياء والعلوم الصناعية والكيمياء وعلم الأحياء وعلم طبقات الأرض والتعدين وعلم البحث عن المعادن والطب العملي والطب النظري وتأريخ الطب وغير ذلك من العلوم

وللمجمع العلمي « الشيكوسلوفاكي » نشرة يصدرها باللغة الشيكية وباللغة الألمانية في المطبوعات العلمية والفنية والصناعية والأدبية التي ينشرها هـــذا المجمع بمختلف اللغات . وهي تفيد الباحثين ولا شك في الوقوف على ما ينشره هذا المجمع هناك كما أن للمجمع العلمي البولوني نشرة تصدر بالبولونية وبالألمانية تتضمن تعريفاً بالمطبوعات التي ينشرها هذا المجمع في كل فروع المعرفة الانسانية وتطبع في برلين

وعلى شاكلة وطراز نشرة المجمع العلمي الشيكوسلوفاكي والبولوني والألماني ، يصدر المجمع العلمي الروماني والمجمع العلمي الهنغاري نشرات تعريف بالمطبوعات التي تنشر باسم المجمعين

وتصدر باللغة الألمانية نشرة أربعة مرّات في السنة من برلين بعنوان « Ankundigungen » تبحث عن الكتاب الألماني وما ينشر في الألمانيتين من آثار في كل أنواع المعرفة الانسانية من علوم وأدب وصناعة وفيها تعريف بالكتب الألمانية ، وعرض عام لكل كتاب مهم وترسل مجاناً لكل ناشر وصاحب مكتبة لتساعده في الوقوف على ما ينشر من الكتب والنشرات باللغة الألمانية في المانيا الاتحادية والمانية الشرقية وهي عون بالطبع للواقفين على اللغة الألمانية يساعدهم في الحصول على آخر ما ينتجه العقل الألماني

من حديث أو قديم في صنوف العلوم والآداب والمعرفة

ويجد الواقفون على اللغة الألمانية في مجلة : « Die Bücher Kommentare » ، وهي مجلة في خجم الجرائد العادية تصدر أربع مرّات في السنة ، مادة دسمة عن الكتب عامة وفيها أبواب خاصة بنقد المؤلفات ذات المستوى العالمي العالي وتصدر في مدينة « Stuttgart » بالمانيا الغربية . يساهم في تحريرها نخبة من مشاهير الكتاب الألمان . وفيها نقد وتعريف لأهم ما يطبع في اللغات الأجنبية وما ينقل الى اللغة الألمانية من تراث فكري أجنبي .

وتصدر جمعية أصحاب المكتبات بالمانية ومقرها مدينة «فرنكفورت على نهر الماين » ، نشرة تصدر ست مرات في السنة ، بأسماء الكتب المختارة التي تصدر بالالمانية وعنوانها : « Deutsche Bibliographie : das Deutsche Buch » وتجد أمام كل كتاب نبذة عن محتواه وعن قيمته وشخصية مؤلفه ، ونقداً مركزاً عنه بقلم أساتذة من أصحاب الاختصاص ولذلك فالنشرة مرجع مهم للواقفين على اللغة الألمانية وهي تتناول كل نواحي المعرفة الانسانية من علم وفن وأدب

ولمكتبة « Fl. Tulkens » بمدينة « بروكسل » « Bruxelles » نشرة مهمة ، تنشر باللغة الفرنسية تحتوي على أسماء المؤلفات الصادرة عن الشرق . وعن المطبوعات القديمة الموجودة لديها للبيع وأمام كل مطبوع وصف مختصر له وضع على طريقة أصحاب المكتبات في الغرب في التعريف بالكتاب مع بيان سعره ليستفيد منه القارىء

من منشورات المستشرقين : طبع في مدينة « لايدن » الجزء الخامس والعشرون من « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » ، وذلك في سنة ١٩٥٩ وظهر القسم السابع عشر من الموسوعة الاسلامية « Ency of Islam » في اللغة الانكليزية وسيتم طبع الجزء الثامن عشر قريباً

إن يكن عيب خده بدد الشعـ ... ـر فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له : نفيت القيـاس في الفقه وأثبته في الشعر فقـال : غلبة الهوى وملـكة النفوس دعتا إليه [1] قال : ومات في ليلته أو في اليوم الثاني قرأت على الحسن بن أبي بـكر عن أحمد بن كامل القاضي [ابن شجرة] أن يوسف بن يعقوب القاضي مات يوم الاثنين لتسع خلدن من شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين ، وفي اليوم الذي مات فيه مات محمد بن داود بن علي الأصبهاني [2] ... »

قال ياقوت : « وكان بين ابن عرفة أبي عبد الله نفطويه وبين محمد بن داود الاصبهاني مودة أكيدة وتصاف تام ، وكان ابن داود يهوى أبا الحسين محمد بن جامع الصيدلاني هوىً أفضى به إلى التلف ، وكان ابن عرفة نفطويه [يختلف اليه قال] : فدخلت عليه في مرضه الذي مات فيه فقلت : يا سيدي ما بك ؟ فقال : حب مَن تعلم أورثني ما ترى فقلت : ما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه ؟ فقال : الاستمتاع نوعان محظور ومبـاح ، أما المحظور فمعاذ الله منه ، وأما المباح فهو الذي صيّرني إلى ما ترى ثم قال حدثني سويد ابن عباس] أن النبي — ص — قال : من حب فعف وكتم ثم مات مات شهيداً ثم غشي عليه ساعة وأفاق ففتح عينيـه فقلت له : أرى قلبك قد سكن وعرق جبينك قد انقطع وهذه أمارة العافية ، فأنشأ يقول :

أقول لصـاحبي وسـليـاني ... وغرّهما سكون حمى جبيني

تسلوا بالتعزي عن أخيكم ... وخوضوا في الدعاء وودعوني

فلم أدع الأنين لضعف سقم ... ولـكني ضعفت عن الأنين

(1) نقل ياقوت الخبر في ترجمة نفطويه باختلاف عن هذا النص يسير « معجم الأدباء ١ : ٢٠٨، ٢٠٩ » كما ترى

(2) تاريخ بغداد للخطيب « ٥ : ٢٥٦ — ٢٦٣ » ونقل أنه توفي على قول لسبع خلون من شوال

ثم مات من ليلته وذلك في سنة ٢٩٧ فيقال ان نفطويه تفجع عليه وجزع جزعاً عظيماً ولم يجلس للناس سنة كاملة ثم ظهر بعد السنة فجلس [١] ... »

وقال محب الدين بن النجار في ترجمة « عبيد الله بن أحمد بن السمسار الداودي القاضي » :
« من تلاميذ أبي بكر محمد بن داود الأصبهاني روى عنه وعن أبيه داود أيضاً » ثم ذكر أنه قرئت عليه مصنفات أبي بكر بن داود بأسرها وقال : « قرأت على أبي القاسم سعيد بن محمد المؤدب عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد المعدل قال : كتب إليّ القاضي أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي عن القاضي أبي عمر عبيد الله بن أحمد السمسار ... أن حدثاً كان يعرف بابن سمنون الصوفي نشأ مع أبي بكر بن داود في كتاب واحد ، وكانا لا يفترقان وإذا عمل أبو بكر كتاباً في الأدب ناقضه وعمل في معناه وأن أبا بكر نقش على فصّ خاتمه سطرين الأول منها (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) والآخر (فلا تذهب نفسك حسرات عليهم) فكان إذا رأى إنساناً ينظر الى حدث رمى إليه بخاتمه وقال : اقرأ ما عليه . فينتهي عن ذلك فقال لابن سمعون : أتقدر أن تناقضني في هذا ؟ فقال : نعم ولما كان الغد جاءه بخاتم على فصه [سطران] الأول منها (وجعلنا بعضهم يومئذ يموج في بعض فتنة أتصبرون [٢]) والثاني (ولنصبرنّ على ما آذيتمونا [٣]) . قال : وحدثنا القاضي أبو عمر أن أبا بكر بن داود كان يجعل طريقه الى الجامع [٤] من سكة الربيع ، وكانت امرأة تقف خلف بابها وتفتح بقدر ما تنظر إليه ، فلمّا كان بعد مدة جذبتْ طيلساني ، وكنت أمشي خلفه ، فقالت : يا هذا إني أشتهي أن أستفتي صاحبك في مسألة وأستحيي أن

(١) معجم الأدباء « ١ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ »

(٢) كذا ورد والآية في سورة الكهف « وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعنا جمعاً » (الآية ٩٩)

(٣) سورة الاسراء « الآية ١٢ » .

(٤) يعني جامع المنصور في وسط مدينة السلام بالجانب الغربي

أخاطبه على الطريق فاعمل على أن تدخله إلى مسجد مقابل دارنا لنسأله فيه ودفعت إليّ دُملجاً وقالت : خذ هذا بارك الله لك فيه فرددته عليها وقلت : أنا في غنى عنه ولكني أتلطفه في ذلك عند انصرافنا من الجامع فلما قربنا من ذلك الجامع عرفته أن البول قد أقلقني وسألته أن ندخل المسجد الى أن أقضى حاجتي ففعل ودخلت [المرأة] عليه ، وعبرت (كذا) فاذا هي تشكو إليه [وتقول] له : والله إني لأحبك وإني لأشهي أنظر إليك فقال : ألكِ زوج ؟ قالت : نعم فأطرق ثم أنشأ يقول :

أما الحرام فلست أركب محرماً ووصال مثلك في الحلال شديد

إن امرأً أمسيتِ ملك يمينه يقضى عليك بحكمه لسعيد

وترك الأجتياز بتلك السكة الى أن مات [1] »

وقال ابن الفوطي في ترجمة « الحسين بن محمد بن سعد الرومي السيواسى الفقيه » : « أنشد لمحمد بن داود الاصفهاني :

خفت من صدّه علي فصدا وبدا بالجفاء لي وتصدّى

قال لي قد جرحت باللحظ خدي كيف يقوى أن يجرح اللحظ خدا

سيدي أنت للجروح قصاص قد رأينا مولى يؤدب عبدا

خذ جفوني إذ كنت أذنبت فاضرب بدموعي إنسان عيني حدا [2]

وقال ابن الفوطي في ترجمة إسماعيل بن عبد المؤمن بن رسم الأصبهاني المحدث : « روى عن أبي بكر محمد بن داود بن علي الفقيه في قول النبي — ص — (من عشق فكتم فمات فهو شهيد) :

سأكتم ما ألقاه يانور ناظري من الود كيلا يذهب الأجر باطلا

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة للمكتبة الظاهرية ، الورقة ٧٦ ، ٨ »

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١ »

وقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد ... ومن كان براً بالأنام وواصلا

بأنْ من َيمت بالحب يكتم سرّه ... يكون شهيداً في الفراديس نازلا

رواه سويد عن علي بن مسهر ... فما فيه من شك لمن كان عاقلا [1] »

وقد ذكر له ابن النديم من الكتب كتاب الانذار والاعذار ، والوصول الى معرفة الأصول، والايجاز ، والرد على [عبدالله] ابن شرشير، والرد على أبي عيسى الضرير والانتصار من أبي جعفر الطبري ، وقال : « وقد ذكرت ما صنفه من الكتب في الأدب والشعر في موضعه من مقالة الأخباريين والنسابين والأدباء » وفي الوفيات أن الرد الثاني على عيسى ابن ابراهيم الضرير

وقد طبع الجزء الأول من كتابه الزهرة بعض المستشرقين الأمريكان ، ومن الجزء الثاني نسخة في مكتبة مديرية الآثار القديمة ببغداد صارت اليها بالهبة من الآباء الكرملين بعد وفاة اللغوي المشهور الأب أنستاس جامع الخزانة

٣٠ — محمد بن خلصة أبو عبد الله الشذوني :

قال الصفدي : « نزيل دانية ، كان كفيفاً من كبار النحاة والشعراء أخذ عن ابن سيده وبرع في اللغة والنحو وشعره مدوّن توفي سنة سبعين وأربعمائة أو ما قبلها ... وقد طوّل ياقوت في إيراد ما أورده من ترسّله وشعره في معجم الأدباء [2] ، وأورد له مراسلات

---

(١) المرجع المذكور « ٤ : ٩٦ » ولابن داود الاصبهاني ترجمة في المنتظم « ٦ : ٩٣ » والوفيات « ٢ : ٥٣ » والفهرست لابن النديم « ص ٥ ٣ من طبعة مصر » وطبقات الفقهاء لأبي اسحق الشيرازي « ص ١٠٨ » وهو من المراجع القديمة ، وأشار ابن الأثير الى وفاته في حوادث سنة ٢٩٧ وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة « ٣ : ١٧١ » وابن العماد في الشذرات نقلا من العبر للذهبي « ٢ : ٢٢٦ » وله ترجمة وأخبار في تواريخ أخرى

(٢) قال طابع الجزء الثالث من الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٢ » : « ترجمته غير موجودة في معجم الأدباء » وقوله صحيح

كتبها الى وزراء الموصل ونقيبها ... ، ورأيت ابن الأبّار قد ذكر في تحفة القادم ابن خلصة النحوي الشاعر في أول كتابه لكنه | عنده هو | محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن فتح بن قاسم بن سليمان بن سُويد وقال : هو من أهل بلنسية وأقرأ وقتاً بدانية وذكر وفاته في سنين مختلفة وصحّح سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، ولعله غير هذا لبعد ما بين الوفاتين ، وقد ذكرتُ هذا الثاني مكانه [1] ، وهذا الأول نقلته من خط الشيخ شمس الدين في مكانه والله أعلم ومن شعره :

يغـــرُّهم بك والآمال كاذبـة ... ما جَمَّعُوا لك من خيل ومن خَوَل

وما يصمم عظماً كل ذي شـطب ... ولا يقوم بخصـل كل ذي خُصَل

مكنت حزمك من حيزوم مكرهم ... وقد تصاد أسود الغيـل بالغِيَل

ومنـه :

ملك إذا استبقت الأيام باقيـة ... ممـن أبادته أو جادت بمغتـصب

طوى الجنـاح على كسر به حسداً ... كسرى وعاد أبا كرب أبو كرب

ومنـه :

بنفسي وقلّت ظعنُهم مستقلةً ... وللقلب إثر الواخدات بهم وخـدُ

يحف سنا الأقمار فيهم سـنا الظبى ... وشهد اللمى الماذي ماذيّة حصـدُ

فمن غرب ثغر دونه غرب مُرهف ... ومن ورد خـدّ دونه أسـودردُ

قلت : شعر جيد طبقة ... والحميدي قال : آخر عهدي به بدانية ويحتمل أن يكون ورد الشام [2] »

(١) ج ٣ ص ٢٨٢ وقال هناك : « خلصة بفتح الخاء المعجمة واللام والصاد »

(٢) الوافي بالوفيات « ٣ : ٤٢ » وكرر الصفدي الترجمة في نكت الهميان « ص ٢٤٨ » ولم يقرظ فيه شعره

وقال السيوطي : « محمد بن خلصة الشذوني النحوي أبو عبد الله ويقال له البصير ، وكان أعمى قال الحميدي : كان من النحويين المتصدرين والعلماء المشهورين والشعراء المجوّدين بدانية بعد الأربعين وأربعمائة قال الذهبي : أخذ عن ابن سيده وبرع في اللغة والنحو ، وشعره مدون ، مات سنة سبعين وأربعمائة أو قبلها ومن شعره :

أرى جزعي بالجزع يزداد كلما ينادي فريق منهم بالتفرق
تخطف نفسي كل مخطفة الحشا ويخفق قلبي كل وجناء خيفق
وهل ناصري صبري ودمعي خاذلي وهل منقذي عزمي ودمعي مغرقي [1]

٣١ — محمد بن سعد الرازي الكاتب الأوحد :

قال الصفدي : « لم يكن بعد ابن البواب من كتب الثلث والمحقق مثله قال ياقوت : ورأيت جماعة يفضلونه على جماعة من الكتاب حتى قيل إنه كتب ذلك أصفى من ابن البواب [2] »

٣٢ — محمد بن سعيد الكراني :

قال ياقوت : « كُران بالضم والتخفيف وآخره نون ... قال السلفي قال لي أبو منصور الفيروزأبادي الحافظ : كُران قرية على عشرة فراسخ من سيراف . وإليها ينسب محمد بن سعد الكُراني الأديب الأخباري ، روى عن الأصمعي وأكثر عن الرياشي وأبي حاتم السجستاني وعمر بن شبة وحماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي وأبي الحسن الميداني والخليل بن أسد النوشجاني وطبقته ، روى عنه الصولي وكان من مشاهير أهل الأدب [3] ... فقوله « كان

(١) بغية الوعاة « ص ٤ »

(٢) الوافي بالوفيات « ٣ : ٩ »

(٣) معجم البلدان في « كران »

من مشاهير أهل الأدب » يؤذن بأنه ترجمه في معجم الأدباء

٣٣ — محمد بن سعد بن محمد بن محمد بن محمد أبو الفتح الديباجي المروزي النحوي :

قال السيوطي : «قال ياقوت : شيخ جليل عالم، حسن العشرة، أخذ النحو عن أبيه ، ولقي الزمخشري وقرأ على تلميذه البقالي وله شرح المفصل [المحصل في شرح المفصل]. شرح الأنموذج. تهذيب مقدمة الأدب القانون الصلاحي في أودية النواحي فلك الأدب منافع أعضاء الحيوان وكان ينظر في خزانة الكتب التي بالجامع الأكبر بمرو ومولده في المحرم سنة ٥١٧ وعثر بعتبة بابه فسقط على وجهه ووهن عظمه وهناً أداه إلى الموت وذلك في يوم الأحد ثامن عشر صفر سنة تسع وستمائة [1] »

[تتمـــة]

وقال أبو عبد الله بن الدبيثي : من أهل مرو ، وكانت له معرفة جيدة بالنحو وله فيه تصنيف ، وشرح المفصل في النحو تصنيف محمود بن عمر الزمخشري وسماه (المحصل في شرح المفصل [2]) وغير ذلك وهو مشهور عند أهل بلده بالفضل والمعرفة سمع شيئاً من الحديث على علو سنه من تاج الاسلام أبي سعد بن السمعاني ، وقرأ الأدب مدة ببلده وحدث به قدم بغداد حاجاً في سنة ست وستماية فحج وعاد ولم يقم بها ، فاستجزناه فأجاز لنا في شهر ربيع الأول سنة سبع وستمائة وكتب لنا بخطه مولده في محرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وسأله غيرنا فقال : في ثالثه وتوفي بعد عوده إلى مرو بها يوم الأحد ثامن عشر صفر سنة تسع وستمائة عن اثنتين وتسعين سنة وشهر ونصف [3] »

(١) بغية الوعاة « ص ٤٥ »

(٢) ذكره مؤلف كشف الظنون في الكلام على « المفصل » قال في ذكر شراحه : « ومحمد بن سعد الديباجي المتوفى سنة تسع وستمائة وسماه المحصل »

(٣) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٥١ »

وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة ٦٠٩ » : « وفي الثامن عشر من صفر توفي الشيخ الفاضل أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد بن محمد الديباجي المروزي النحوي بمرو ومولده في الثالث من المحرم سنة ٥١٧ سمع من تاج الاسلام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني وغيره وحدث بمرو ، وأقرأ بها الأدب مدة وشرح المفصل للزمخشري بكتاب سماه (المحصل في شرح المفصل) وصنف في النحو غير ذلك ، وهو مشهور عند أهل مرو بالفضل والمعرفة [١] »

وقال الذهبي في وفيات سنة ٦٠٩ : « محمد بن سعد بن محمد أبو الفتح الديباجي المروزي، شيخ العربية بمرو ومصنف كتاب المحصل في شرح المفصل للزمخشري سمع من أبي سعد السمعاني وحدث وأقرأ النحو دهراً وحج وعاش اثنتين وتسعين سنة ، وهو مشهور في تلك الديار ، من أعيان النحاة ، توفي بمرو في ثامن عشر صفر [٢] »

٣٤ — محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن الحجاج بن محمد بن الحجاج جمال الدين أبو عبد الله الواسطي المعروف بابن الدبيثي

قال الصفدي : « الدُّبيثي بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة والياء آخر الحروف ساكنة والثاء المثلثة [٣] ... الحافظ الكبير المؤرخ ... الشافعي العدل ولد في رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وسمع بواسط وقرأ الفقه والعربية ، ورحل الى بغداد في حدود الثمانين ، وسمع من ابن شاتيل والقزاز وأبي العلاء بن عقيل وخلق كثير ببغداد

(١) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٠ د جـ ١ الورقة ٤ »

(٢) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٧٥ » ، وله ترجمة في الوافي بالوفيات « ٣ : ٨٩ »

(٣) ضبطه قبله كذلك ابن خلكان في الوفيات « ٢ : ١ ١ » والصحيح فتح الدال نسبة الى قرية « دبيثا » من شرقي العراق

والحجاز والموصل ، وعلق الأصول والخلاف ، وعُني بالحديث ورجاله وصنف تأريخاً كبيراً لواسط وذيَّل على الذيل للسمعاني وله نظم ، وكان من أعيان المعدّلين ، والعدالة ببغداد منصب كالقضاء ... وقال ياقوت في معجم الأدباء : شيخنا الذي استفدنا منه وعنه أخذنا ، قلت له : هل تنسبون الى قبيلة من قبائل العرب ؟ فقال : الناس يقولون : إننا من ولد الحجاج بن يوسف الثقفي وما عرفت أحداً من أهلنا يعرف ذلك وتولى وقوف المدرسة النظامية سنة ستمائة ... وقال ابن نقطة : له معرفة وحفظ وقال الضياء الحافظ : هو حافظ وحدّث بتاريخ واسط وبالذيل له وبمعجمه وقلّ أن يجمع شيئاً وأكثره على ذهنه ، وله معرفة تامة بالأدب توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة ... وأورد له ياقوت من شعره :

تمكنّ مني في الفؤاد وَحلّهُ ... وأضعف وجداً عقد صبري وَحله
وأيقن أني في هواه مُدَلَّه ... فعاد وأبدى بالغرام ودلّه
بديع جمال فاق في الحسن أهله ... وَسلّط إعناتاً على القلب دلّه
وأسلمني للوجد حسن قوامه ... وطلّ دمي في حبّه وأحلّه
وكنت طليقاً لا أخاف من الهوى ... فأسكن قلبي شوقه وأحلّه
إذا رمت عنه الصبر عنّ تصبّري ... وأنهل قلبي من هواه وعلّه
وإذ قلت كم ذا الوجد يا قلب فاتئد ... يقول مجيباً لي عساهُ وعلّه
فشكواي من وجدي به وبعاده ... وبلواي من صبري إذا ما استقلّه
وإني على الحالات منه لذو غنى ... وشوق عظيم القدر قلبي استقله
فمن مسعدي في الحب والحب ظالم ... ومَن مُرشد لي فيه قلباً أضله
كأني إذا ما غاب عني شخصه ... من الوجد ذو حزن بشيء أضلّه

ومن شعره :

خبرتُ بني الأيام طراً فلم أجد   صديقاً صدوقاً مسعداً في النوائب
وأصفيهم مني الوداد فقابلوا   صفاء ودادي بالقذى والشوائب
وما اخترت منهم صاحباً وارتضيته   فأحمدته في فعله والعواقب

ومنه :

إذا اختار كل الناس في الدين مذهباً   وَصوَّبه رأياً وحققه فعلا
فاني أرى علم الحديث وأهله   أحق اتباعاً بل أسدَّهم سبلا
لتركهم فيه القياس وكونهم   يؤمون ماقال الرسول وما أملى[1]

[تتمة]

وقال شمس الدين الذهبي : « محمد بن سعيد بن يحيي بن علي بن حجاج الامام أبو عبد الله بن الدبيثي الواسطي المقرئ المحدث الفقيه الشافعي الحافظ المعدل ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وقرأ القراءات الكثيرة على أبي الحسن علي بن المظفر الخطيب وأبي الفتح نصر بن الكيال وعوض بن ابراهيم المراتبي وأبي بكر بن الباقلاني وجماعة وسمع من أبي طالب الكتاني وهبة الله بن قسام وعبيد الله بن شاتيل ونصر الله القزاز وأبي العلاء بن عقيل وعبد المنعم الفراوي وخلق كثير ، وبرع في القراءات والحديث وصنف تاريخ بغداد وتاريخ واسط ، وله خبرة تامة بالعربية والشعر وأيام الناس ، تصدر للاقراء والتحديث روى عنه زكي الدين البرزالي وأبو الحسن علي بن محمد الكازروني وعز الدين الفاروثي وجمال الدين الشريشي وتاج الدين علي الغرافي وآخرون ، وأضرّ بأخرة وتوفي ببغداد في

(١) الوافي بالوفيات « ٣ : ١٠٢ » ولم يذكره الصفدي في : « نكت الهميان » مع أنه أضر في آخر عمره كما يأتي نقله .

ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة وقرأ عليه بالعشر عبد الصمد [بن أبي الجيش] »[1]

٣٥ — محمد بن سهل أبو منصور المرزباني الأشل الكرجي الجهارعتي (كذا) الملقب بالباحث عن دماص العلم :

قال الصلاح الصفدي : « هو من أهل الكرج وهو أحد البلغاء الفصحاء قال ياقوت في معجم الأدباء : لم تقع إليَّ وفاته ولا شيء من شأنه ، غير أني وجدت في كتابه (المنهى في الكمال) : أنشدني ابن طباطبا العلوي — وابن طباطبا مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة — قال محمد بن إسحاق : قال لي من رآه إنه أشل اليد وله من الكتب (المنهى في الكمال) يحتوي على اثني عشر كتاباً وهي كتاب مدح الأدب ، كتاب صفة البلاغة ، كتاب الدعاء والتحاميد ، كتاب الشوق والفراق ، كتاب الحنين الى الأوطان ، كتاب التهانيء والتعازي ، كتاب الأمل والمأمول ، كتاب التنبيهات والطلب ، كتاب الحمد والذم ، كتاب الاعتذارات ، كتاب الألفاظ ، كتاب نفائس الحكم »[2]

٣٦ — محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي الكاتب الشاعر :

قال الصفدي : « محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي الشاعر المشهور ، يقال له الطبرخزي لأن أمه كانت من خوارزم وأبوه من طبرستان ، وكان ابن أخت محمد بن جرير الطبري ... وجرت بينه وبين البديع الهمذاني مناقضات ذكرهما ياقوت في كتاب معجم الأدباء في ترجمتيهما »[3]

(١) طبقات القراء « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٨٤ الورقة ١٩٢ » وله ترجمة في الوفيات « ٢ : ١ » وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي « ٥ : ٢١ » وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس » وكتاب الحوادث « ص ١٠٥ » والتكملة « ٢ : ٢٥ من نسخة الاسكندرية » وغيرهن

(٢) الوافي بالوفيات « ٣ : ١٤١ ، ١٤٢ »

(٣) الوافي أيضاً « ص ١٩١ — ١٩٦ » وتراجم المناقضات في معجم الأدباء « ١ : ٩٧ ، ١ — ١١٩ »

وقال ياقوت في « آمل » من معجم البلدان : « وقد خرج منها كثير من العلماء لكنهم قلما ينسبون الى غير طبرستان فيقال لهم الطبري ، منهم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهور ، أصله ومولده من آمل ، ولذلك قال أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي — وأصله من آمل أيضاً وكان يزعم أن أبا جعفر الطبري خاله :

بآملَ مولدي وبنو جرير فأخوالي ويحكي المرء خالَه

فها أنا رافضي عن تراث وغيري رافضي عن كلاله

وكذب : لم يكن أبو جعفر ـ رحمه الله ـ رافضياً وإنما حسدته الحنابلة فرموه بذلك فاغتنمها الخوارزمي ، وكان سبّاباً رافضياً مجاهراً بذلك متبجحاً به »

قلت : وهذا غلط وعدوان من ياقوت على أبي بكر الخوارزمي ، سببه وهم في التراجم فمحمد بن جرير الذي هو خال الخوارزمي الظاهر أنه طبري آملي آخر غير الطبري المؤرخ ، وهو من علماء الشيعة الامامية ، قال النجاشي المؤرخ : « محمد بن جرير بن رسم الطبري الآملي أبوجعفر ، جليل من أصحابنا [الامامية] كثيرالعلم ، حسن الكلام ، ثقة في الحديث له كتاب المسترشد في الامامة ، أخبرناه أحمد بن علي بن نوح عن الحسن بن حمزة الطبري قال : حدثنا محمد بن جرير بن رسم بهذا الكتاب وبسائر كتبه » [1]

وقد ميزه النجاشي عن أبي جعفر الطبري المؤرخ المفسر المشهور بأن قال سابقاً في كتابه : « محمد بن جرير أبو جعفر الطبرى ، عامي له كتاب الرد على الحرقوصية ، ذكر طرق يوم الغدير أخبرني القاضي أبو اسحاق إبراهيم بن مخلد قال حدثنا أبي قال حدثنا محمد بن جرير بكتابه الرد على الحرقوصية » [2]

٣٧ — محمد بن عبد الله بن العباس الوراق النحوي :

قال الصفدي : « مات سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ... قال ياقوت : بلغني أن كتاب

(١) رجال النجاشي « ص ٢٦٦ » ،

(٢) المذكور « ص ٢٢٥ » وللخوارزمي ترجمة في الوفيات وأنساب السمعاني واليتيمة وغيرهن

الفصول أملاه عليه السيرافي فنسبه هو إلى نفسه » وقال الصفدي أيضاً : « كافٍ في طبقة أبي طالب العبدي وكان زوج بنت أبي سعيد السيرافي وله شرح مختصر الجرمي الأصغر سماه (الهداية) وكتاب (العلل) في النحو » (١)

[تتمـــة]

وقال السيوطي : « محمد بن عبد الله بن العباس أبو الحسن النحوي المعروف بابن الوراق قال ابن النجار : كان ختن أبي سعيد السيرافي على ابنته . قرأ القرآن بالروايات على أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم وروى عنه ، قرأ عليه أبو علي الأهوازي وروى عنه ، وله من الكتب علل النحو وشرح مختصر الجرمي يسمى بالهداية ، مات يوم الأحد رابع جمادى الأولى سنة ٣٨١ » (٢)

٣٨ — محمد بن عبد الله بن حمدان أبو الحسن الدلفي وقيل أبو الحسن علي بن حمدان الدلفي :

قال الصفدي : « النحوي ، من أصحاب علي بن عيسى الربعي ، كان فاضلاً بارعاً ، شرح ديوان المتنبي في عشر مجلدات ، قال السلفي : وقفت على نسخة مقروءة عليه في سنة ستين وأربعمائة بمصر وعليها خطه ، وأظنه كان مقيما بمصر ، كذا ذكر السلفي . قال ياقوت : ووجدت في موضع آخر أبو الحسن علي بن حمدان الدلفي والله أعلم (٣)

وقال السيوطي : « محمد بن عبد بن حمدان الدلفي العجلي أبو الحسن النحوي ، قال ياقوت : من أصحاب علي الرماني ، كان فاضلاً بارعاً شرح ديوان المتنبي ومات بمصر سنة

(١) الوافي بالوفيات « س ٣٢٩ »
(٢) بغية الوعاة « س ٥٣ »
(٣) الوافي بالوفيات « ٣ : ٣٢٩ ، ٣٣ »

ستين وأربعمائة » (١)

٣٩ — محمد بن عبد الرحمن الجنزروذي الأديب :

قال ياقوت : « جنزروذ : بالفتح ثم السكون وفتح الزاي وضم الراء وسكون الواو وذال معجمة ، قرية من قرى نيسابور منها محمد بن الرحمن الجنزروذي الأديب ، ذكرته في كتاب الأدباء » (٢)

[تتمـــة]

وقال الصفدي : « محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمـــد بن محمد بن جعفر أبو سعيد النيسابوري الكنجروذي الفقيه الأديب النحوي الطبيب ، الفارسي ، شيخ مشهور أدرك الأسانيد العالية في الحديث والأدب وله شعر توفي في صفر سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وكانت لديه يد في الطب والفروسية وأدب السلاح وحدّث سنين وسمع منه خلق كثير وجرت بينه وبين أبي جعفر الزوزني البحائي محاورات أدّت إلى وحشة فرماه بأشياء » (٣)

وقال السيوطي : « محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن جعفر الجنزروذي (٤) أبو سعد الفقيه النحوي الأديب ، قال عبد الغافر في السياق : شيخ مشهور من أهل الفضل وله قدم في الطب والفروسية وأدب السلاح ، كان بارع وقته لاشتماله على فنون العلم سمع الحديث وأدرك الأسانيد العالية في الأدب وغيره ، وحدث عن أبي أحمـــد الحافظ وطبقته ، و [حدّث] عنه خلق وله شعر حسن ، وجرت بينه وبين أبي جعفر الزوزني محاورات أدّت إلى وحشة فهجاه بسببها وجعله غرضاً ورماه بمـــا برّأه الله منه مات في صفر سنة ثلاث

(١) البغية « ٥٢ »

(٢) معجم البلدان في « جنزروذ »

(٣) الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٣١ »

(٤) في المطبوع من البغية — ص ٦٩ — « الجنزرودي » وهو تصحيف

وخمسين وأربعمائة »[1]

وقال ابن العماد الحنبلي في وفيات سنة ٤٥٣ : « وفيها أبو سعد الكنجرودي ـ بفتح الكاف والجيم بينهما جيم (كذا) ســاكنة وآخره دال مهملة نسبة الى كنجرود قرية بنيسابور ويقال لها جنزروذ ـ محمد بن عبد الرحمن بن محمد النيسابوري الفقيه النحوي الطبيب الفارسي ، قال عبد الغافر : له قدم في الطب والفروسية وأدب السلاح ، وكان بارع وقته لاستجماعه فنون العلم حدث عن أبي عمرو بن حمدان وطبقته وكان مسند خراسان في عصره ، وتوفي في صفر »[2]

٤٠ — محمد بن عبد الغفار الخزاعي :

قال الصفدي : « ذكر أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي أنه عمل كتاب الخيل فعزاه الناس الى أبي عبيدة فهو اليوم بأيديهم ، قال ياقوت في معجم الأدباء : الصواب أن مؤلف كتاب الخيل عبد الغفار أبوه »[3]

٤١ — محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري :

ترجمه ياقوت في معجمه بدلالة قوله في سيرة أحمد بن أحمد المعروف بابن أخي الشافعي : « وجدت خطه في آخر كتاب وقد قال فيه : كتبه أحمد بن أحمد المعروف بأخي الشافعي (كذا) وراق ابن عبدوس الجهشياري ، والجهشياري هذا ذكر في بابه وقد جمع ديوان البحتري وغيره » فقوله : إن الجهشياري ذكر في بابه ، تصريح بترجمته في المعجم وفيه دلالة على ضياعها منه بالاضافة الى المطبوع

(١) البغية « ص ٦٩ »

(٢) الشذرات « ٣ : ٢٩٢ »

(٣) الوافي « ٣ : ٢٦٥ »

[تتمة]

قال محمد بن اسحاق المعروف بابن النديم : « الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس أحد الكتاب الأخباريين المترسلين وله من الكتب كتاب الوزراء والكتاب ، كتاب ميزان الشعر والاشتمال على أنواع العروض » [1]

وقال الصفدي : « محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري (بالجيم والشين المعجمة بعد الهاء) مصنف كتاب الوزراء ، كان فاضلاً مداخلاً للدول ، مات في بغداد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة مستتراً واستتر أولاده وحاشيته ، وكان حاجباً بين يدي الوزير أبي الحسن علي بن عيسى بن داود الجراح

وقال ابن اسحاق : ابتدأ الجهشياري بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، كل خبر قديم بذاته لا تعلق له بغيره ، وأحضر المسامرين وأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما يحلو بنفسه من تتمة ألف سمر ، ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبي الطيب أخي الشافعي (كذا) وصنف كتاب الوزراء وكتاب ميزان الشعر والاشتمال على أنواع العروض وأما نسبته الى جهشيار فان أباه كان يخدم أبا الحسن علي بن جهشيار القائد حاجب الموفق وكان خصيصاً به فنسب اليه » [2]

وقال ابن الأثير في وفيات سنة ٣٣١ : « وفيها أيضاً مات أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري » [3] وكان قد قال في حوادث سنة ٣١٧ : « وفيها سار حاج العراق الى مكة على طريق الشام فوصلوا إلى الموصل أول شهر رمضان ثم منها الى الشام لانقطاع الطريق بسبب القرمطي معه كسوة الكعبة (كذا) مع ابن عبدوس الجهشياري لأنه كان من

(١) الفهرست « ص ١٨٤ من طبعة القاهرة »

(٢) الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٠٥ »

(٣) الكامل في حوادث سنة ٣٣١

أصحاب الوزير »[1] وقد كان قال في حوادث ٣٢٤ : « وفيها قبض على أبي عبد الله بن عبدوس الجهشياري وصودر على مائتي ألف دينار »[2]

وقال ابن تغري بردي في حوادث سنة ٣٣١ : « وفيها توفي محمد بن عبدوس مصنف كتاب الوزراء ببغداد . وكان فاضلاً له رئيساً وله مشاركة في فنون »[3]

وقال أبو الحسن المسعودي : « وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشياري أخبار المقتدر في ألوف من الأوراق ووقع لي منها أجزاء يسيرة ، وأخبرني غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة[4] »

وذكر ياقوت الحموي في ترجمة أحمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي خبراً يدل على أن الجهشياري كان حاجباً للوزير علي بن عيسى بن الجراح[5] ، كما نقلنا آنفاً

وقد عُثر على كتابه « أخبار الوزراء والكتاب » ناقصاً فطبع ثلاث مرات الأولى في أوربة والأخريان في مصر وهو كتاب جزيل الفوائد ممتع الأخبار ومن أجلّ الآثار

٤٢ — محمد بن عبيد الله بن أحمد بن إدريس أبو عبد الله عز الملك المختار المعروف بالمسبحي المصري الكاتب المؤرخ :

ذكره ابن الفوطي بالاسم المقدم وقال : « ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : كانت له عناية بالتواريخ تامة وكتابه في ذلك من أحسن الكتب وأبسطها وأتقنها وهو كتاب كبير نحو ثلاثين مجلدة ، قال : ووقفت على شيء منه فاستحسنته وكتبت منه ،

(١) المذكور في حوادث سنة ٣١٧

(٢) الكامل في حوادث سنة ٣٢٤

(٣) النجوم الزاهرة « ٣ : ٢٧٩ »

(٤) مروج الذهب « ٤ : ٢٢٢ طبعة دار الرجاء بالقاهرة »

(٥) معجم الأدباء « ١ : ٩١ طبعة مرغليوث »

وله كتاب (السؤال والجواب) وكتاب (السجن والسكن) وكتاب (الراح والارتياح) وكتاب (سيرة الحاكم) وكان يلقب بالمختار عز الملك ، ويخاطب بالأمير ولما قتل الحاكم صرف عما كان يتولاه من أمر الحرب بالغربية من أعمال مصر [1] »

٤٣ — محمد بن علي أبو بكر الأدفوي الأديب المقرئ :

قال ياقوت في معجم البلدان : « أُدْفو بضم الهمزة وسكون الدال وضم الفاء وسكون الواو ، اسم قرية بصعيد مصر الأعلى بين أسوان وقُوص ... منها أبو بكر محمد بن علي الأدفوي الأديب المقرئ صاحب النحاس ، له كتاب تفسير القرآن المجيد في خمس مجلدات كبار ، وله غير ذلك من كتب الأدب ، وقد استوفيت خبره في كتاب معجم الأدباء »

[تتمة]

وقال شمس الدين الجزري : « محمد بن علي بن أحمد بن محمد أبو بكر الأدفوي المصري ـ وأُذفو بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وفاء مدينة حسنة بالقرب من أسوان رأيتها ـ أستاذ نحوي مقرئ مفسر ثقة ولد سنة أربع وثلاثمائة أخذ القراءة عرضاً عن المظفر ابن أحمد بن حمدان ، وسمع الحروف من أحمد بن ابراهيم بن جامع وسعيد بن السكن والعباس بن أحمد ولزم أبا جعفر النحاس وروى عنه كتبه وقيل فاته عليه من كتاب المعاني من سورة الحشر روى عنه القراءة محمد بن الحسين بن النعمان والحسن بن سليمان وعبد الجبار بن أحمد الطرسوسي وابنه أبو القاسم أحمد بن أبي بكر الأذفوي وعتبة بن عبد الملك وأبو الفضل الخزاعي ، وكان خشاباً يتجر في الخشب قال الداني : انفرد بالامامة في دهره في قراءة نافع رواية ورش مع سعة علمه ، وبراعة فهمه وصدق لهجته وحسن

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ الترجمة ٩٢٨ من الميم » والمسبحي ترجمة في الوفيات « ٢ : ٩٤ » من طبعة إيران ، وجاء فيه أن ولادته وقعت سنة « ٣٦٦ » وأن وفاته كانت سنة « ٤٢٠ » وذكر نسبه « المسبحي » بكسر الباء المشددة الموحدة ، السمعاني في كتاب « الأنساب »

اطلاعه وتمكنه من علم العربية وبصره بالمعاني وقال الذهبي : برع في علوم القرآن وكان سيد أهل عصره بمصره ، له كتاب التفسير في مائة وعشرين مجلداً ، موجود بالقاهرة.قلت: سماه الاستغناء في علوم القرآن ، ألفه في اثنتي عشرة سنة ، وألف كتاب [1] ... قال الذهبي وقد غلط ابن سوار فأسند قراءة ورش عن شيخه العثماني عن الأذفوي عن أحمد بن عبدالله ابن هلال (كذا) فأسقط بينهما رجلاً وهو المظفر بن أحمد عن ابن هلال . توفي الأذفوي بمصر يوم الخميس لسبع خلون من ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وقبره ظاهر بالقرافة يزار الى اليوم [2] »

وقال ابن العماد الحنبلي في وفيات سنة ٣٨٨ : « وفيها أبو بكر الأدفوي محمد بن علي ابن أحمد المصري المقريء المفسر النحوي — وأدفو بضم الهمزة وسكون المهملة وضم الفاء قرية بصعيد مصر قرب أسوان — وكان خشاباً ، أخذ عن أبي علي جعفر النحاس فأكثر وأتقن رواية ورش على أبي غانم المظفر بن أحمد وألف التفسير في مائة وعشرين مجلداً ، وكان شيخ الديار المصرية وعالمها ، وكانت له حلقة كبيرة للعلم ، وتوفي في ربيع الأول [3] »

٤٤ — محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله أبو علي المعروف بابن مقلة الوزير الأديب الكاتب :

قال ياقوت في ترجمة أخيه « أبي عبد الله الحسن بن مقلة » : « هو أخو الوزير أبو علي محمد بن علي وهو المعروف بجودة الخط الذي يضرب به المثل ، كان الوزير أوحد الدنيا في كتبة قلم الرقاع والتوقيعات ، لا ينازعه في ذلك منازع ولا يسمو الى مساماته ذو فضل

(١) بياض في الأصل المطبوع

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء « ٢ : ١٩٨ ، ١٩٩ »

(٣) الشذرات « ٣ : ١٣ »

بارع ، وكان أبو عبد الله الحسن هذا أكتب من أخيه في قلم الدفاتر والنسخ ، مسلماً له فضيلته ، غير مفاضل في كتبته ... ولأخيه أبي علي محمد ترجمة في باب مفردة لما اشترطنا في ذكر أرباب الخطوط المنسوبة ، وكان أبوهما الملقب بعقلة[1] أيضاً كاتباً مليح الخط وقد كتب في زمانها وبعدهما جماعة من أهلها وولدهما ولم يقاربوهما وإنما يندر الواحد منهم الحرف بعد الحرف والكلمة بعد الكلمة وإنما الكمال لأبي علي وأبي عبد الله أخيه[2] ».

[تتمة]

وأخبار أبي علي بن مقلة مستفيضة في التواريخ كالمنتظم لابن الجوزي والكامل لابن الأثير وغيرها من تواريخ الحوادث والأحداث ، وروى ابن النجار بسنده عن عبدالواحد ابن عبد السلام الكاتب البغدادي قال : « كتب أبو علي محمد بن مقلة وهو وزير في أيام المقتدر إلى بعض إخوانه كتاباً [يقول فيه] : يا سيد أخيه ، أطال الله بقاءك في عرض كل نعمة ، نعم (كذا) والحيرة ممكنة والرأي عازب والمعين معذور (كذا) وأعظمها مرور الأيام وتقضي مدة العمر وأنشد لنفسه :

زمان يمر وعيش يفـرّ ... ودهر يكرّ بما لا يسرّ

وحال تذوب وهم يثوبُ ... ودنيا تناديك أن ليس حرّ

وأحس ما استشعر العارفو ... ن عند الشدائد حلم وصبرُ

ولله في كل ما نابني ... وأولى وأبلى ثناء وشكر[3] »

وذكر ابن خلكان في ترجمة « سعيد بن الدهان قال : « وكان له ولد وهو أبو زكريا

(١) لعل الأصل « بابن مقلة أيضاً » إلا إذا كان « أيضاً » تابعاً لـ « كاتباً » مقدماً عليه

(٢) معجم الأدباء « ٣ : ١٥ » ولأبي علي بن مقلة ترجمة في الوفيات « ٢ : ١٧٩ » ويتيمة الدهر « ٣ : ١ طبعة الصاوي » والتاريخ الفخري لابن الطقطقي « ص ٢١ » وعيون الأنباء في طبقات الأطباء « ١ : ٢٢٤ »

(٣) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المجمع العلمي المصورة ، الورقة ٤٥ »

يحي بن سعيد وكان أديباً شاعراً ومولده بالموصل في أوائل سنة تسع وستين وخمسمائة تقديراً ، وتوفي سنة ست عشرة وستمائة بالموصل ودفن على أبيه بمقبرة المعافى بن عمران الموصلي ومن شعره ...

وعهدي بالصبا زمناً وقدّي حكى ألف ابن مقلة في الكتاب

فصرت الآن منحنياً كأني أفتش في التراب على شبابي [1] »

وذكر أمين الدولة العلوي الأفطسي في كتابه « المجموع اللفيف » أن لابن مقلة الوزير كتاباً في اختيار الأشعار

٤٥ — محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين أبو عبد الله الرازي الفقيه الحكيم الأديب المتكلم المفسر

قال ابن الفوطي : « فخر الدين أبو عبد الله محمد ابن خطيب الري عمر بن الحسين المكي الأصل البكري الرازي الطبرستاني ، نزيل هراة ، الفقيه الأصولي الحكيم الواعظ المفسر، ذكره الفاضل ياقوت في معجم الأدباء وقال : سألت ولده ضياء الله بن علي [2] فقلت له : على مَن قرأ والدك العلوم ؟ فقال : ليس له شيخ مشهور إلا أنه رحل الى أذربيجان وكان بها رجل يقال له مجد الدين الجيلي فقرأ عليه ، ثم فتح الله عليه فتحاً كبيراً وأخذ من الكتب ورحل الى خوارزم ثم إلى ما وراء النهر ورجع الى خراسان ومنها إلى باميان ، وحصل له الجاه والمال بمجاورة ابن سام فلما انتزع منه بلاده خوارزم شاه علاء الدين محمد ابن تكش ثم [3] فوض اليه صدارة هراة واستوطنها وله تصانيف كثيرة في الحكمة والأصول

(١) الوفيات « ٢ : ٢٢٥ »

(٢) كذا والصواب « عليا » لأنه منصوب

(٣) هكذا ورد النص

و [التفسير] وشعر حسن وكانت وفاته بهراة يوم الاثنين يوم عيـد الفطر سنة ست وستمائة » (١)

٤٦ — محمد بن فضلون بن أبي بكر بن الحسن العدوي شهاب الدين العقري النحوي اللغوي الفقيه المتكلم الحكيم :

قال ياقوت في معجم البلدان : « والعقر أيضاً قلعـة حصينة في جبال الموصل أهلها أكراد وهي شرقي الموصل تعرف بعقر الحميدية خرج منها طائفة من أهل العلم منهم صديقنا الشهاب محمد بن فضلون بن أبي بكر بن الحسين محمد العدوي العقري النحوي اللغوي الفقيه المتكلم الحكيم جامع أشتات الفضائل ، سمع الحديث والأدب على جماعة من أهل العلم وكنت مرة أعارض معه إعراب شيخنا أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري بقصيدة الشنفرى اللامية إلى أن بلغنا إلى قوله :

وأستفُّ ترب الأرض كي لا يرى له ... عليَّ من الطول امرؤ متطوِّل

فأنشدني في معناه لنفسه يقول :

مما يؤجج كربي أنني رجلٌ ... سبقتُ فضلاً ولم أحصل على السَّبَقِ
يموت بي حسداً مما خُصصتُ به ... من لا يموت بداء الجهل والحمق
إذا سغبت استففتُ الترب في سغبي ... ولم أقل للئيم سُدَّ لي رمقي
وإن صديت وكان الصفو ممتنعاً ... فالموتُ أنفع لي من مشرب رَنِق
وكم رغائب مال دونها رمق (٢) ... زهدت فيها ولم أقدر على الملق

(١) تلخيص معجم الألقـاب « ٤ : ٣٣٦ » ، وللفخر الرازي ترجمة في الجامع المختصر لابن الساعي والوفيات والطبقـات الكبرى لتاج الدين السبكي وغيرهن من التواريخ كفهرست منتجب الدين وروضات الجنات والبداية والنهاية والشذرات

(٢) لعل الأصل « ملق »

وقد ألين وأجفو في محلّهما فالسهل والحزن مخلوقان من خلقي

فقلت له : قول الشنفرى أبلغ لأنه نزّه نفسه عن ذي الطول وأنت نزهت نفسك عن اللئيم ، فقال : صدقت لأن الشنفرى كان يرى متطولا فينزّه نفسه عنه وأنا لا أرى إلا اللئيم فكيف أكذب ؟ نخرج من اعتراضي إلى أحسن مخرج » [1] ونحن لا نشك في أن ياقوتاً ترجم صاحبه هذا في معجم الأدباء وأنه كان أهلاً لأن يترجم فيه

« له صلة » مصطفى جواد

(١) معجم البلدان في « الدقر »

دراسة المعجمات اللغوية

٢ — المصباح المنير

١٠٠ — وقال صاحب المصباح المنير في مادة ج ي ل : « الجيل : الأمة والجمع أجيال ، والجيل اسم لبلاد متفرقة ... » ولم يذكر الجيل بمعنى « القرن » مع أنه يقول في قرن : « والقرن أيضاً الجيل من الناس ، قيل ثمانون سنة وقيل سبعون ، وقال الزجاج : الذي عندي — والله أعلم — أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو طبقة من أهل العلم سواء قلت السنون [1] أو كثرت ، قال : والدليل عليه قوله عليه السلام (خير القرون قرني) يعني أصحابه (ثم الذي يلونهم) أي الذين يأخذون عن التابعين »

١٠١ — وقال في ح ب ب عند الكلام على الحبيب : « وجمع المذكر أحباء ، وكان القياس أن يجمع جمع شرفاء ولكن استكره لاجتماع المثلين ، قالوا : كل ما كان على فعيل من الصفات فان كان غير مضاعف فبابه فعلاء مثل شريف وشرفاء ، وان كان مضاعفاً فبابه أفعلاء مثل حبيب وطبيب وخليل »

قلت : كان ينبغي أن يقال في قاعدة هذا الجمع : «كلُّ ما كان على فعيل بمعنى فاعل من الصفات » لأن مثل قتيل وجريح لايجمع على « فعلاء » إلا شذوذاً ، ويقال أيضاً في تعليل الجمع : « استكره لاجتماع المثلين المتحركين في الجمع » وإلا فان المثلين مجتمعان في « أحباء وأخلاء » إلا أن أولها ساكن ، فذهب بالتسكين بعض الثقل من اجتماعهما

١٠٢ — وقال في ب ز ر : « والحب بالكسر : بزر ما لايقتات مثل بزور الرياحين

---

(١) لعل الصواب « أم كثرت » ويجوز طرح أم بطرح سواء فيقال « قلت السنون أو كثرت »

الواحدة حبة ، وفي الحديث : كما تنبت الحبة في حميل السيل هو بالكسر » وقد عدى « اقتات » بنفسه وهو فصيح إلا أنه لم يذكر ذلك في ق و ت ، فقد قال : « واقتات به : أكله » معدياً إياه بالباء

١٠٣ — وقال في ح ب ر : « وحبرت الشيء حبراً من باب قتل : زينته وفرحته » . والضمير في « فرحته » يعود إلى الشيء ، ويصعب تصور تفريح الشيء وإن جاز أن يطلق على الانسان إطلاقاً كلامياً [1] ، فكان أحسن أن يقال « وحبرت الشيء حبراً ... زينته والانسان فرحته »

١٠٤ — وجاء في المادة المذكورة « قال الأزهري : ليس حبرة موضعاً أوشيئاً معلوماً إنما هو وشي معلوم أضيف الثوب إليه كما قيل ثوب قرمز بالاضافة والقرمز صبغة ، فأضيف الثوب الى الوشي والصبغ للتوضيح » ولم يذكر مؤلف المصباح « القرمز » في موضع مادته من مصباحه

١٠٥ — وقال في ح ت ف « يقال مات حتف أنفه إذا مات من غير ضرب ولا قتل ، وزاد الصغاني : ولا غرق ولا حرق ... وهذه الكلمة تكلم بها أهل الجاهلية قال السموأل :

وما مات منا سيد حتف أنفه »

قلت : أطبق رواة اللغة على أن النبي — صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم — أول من قال هذه العبارة من العرب ، قال الشريف الرضي — رح — في كلامه على المجازات النبوية : « ومن ذلك قوله — عليه الصلاة والسلام — : مات حتف أنفه وذلك مجاز لأنه

(١) قال هو في ش ي ء : « والشيء في اللغة عبارة عن كل موجود إما حساً كالاجسام أو حكماً كالأقوال نحو قلت : شيئاً » وسننقل قول أبي هلال العسكري « من شر ما ألقاك أهلك : يضرب مثلا للرجل والشيء يتحامى ولا يقرب » « جمهرة الأمثال ص ١٩١ من طبعة الهند » فقد فرق بين الرجل والشيء.

جعل الحتف لأنفه خاصاً وهو في الحقيقة له عاماً ، لأن الميت [1] على فراشه من غير أن يعجله القتل إنما يتنفس شيئاً فشيئاً حتى ينقضي ذماؤه ، وتفنى حوباؤه ، نخص — عليه الصلاة والسلام ـ الأنف بذلك لأنه جهة لخروج النفس وحلول الموت ، ولا يكاد يقال ذلك في سائر الميتات حتى تكون الميتة ذات مهلة ، وتكون النفس غير معجلة ، فلا يستعمل ذلك في الميتة بالغرق والهدم وجميع لجأة الموت ، وإنما يستعمل في العلة المطاولة ، والميتة المماطلة ، وروي عن أمير المؤمنين عليّ — عليه السلام — أنه قال : ما سمعت كلمة غريبة [2] إلا وقد سمعها من رسول الله — ص — وسمعته يقول : مات حتف أنفه ، وما سمعها من عربي قبله [3] »

أما الشطر الذي ذكره الفيومي ناسباً إياه إلى السموءل فهو من القصيدة اللامية المشهورة التي نحلها السموأل بعض ذريته من الرواة المدلسين ، وأدخل فيها ألفاظاً ظنها تغطي على التزوير كالأبلق الفرد ، وإنما القصيدة للحارثي الشاعر وسماه الصولي « زياد بن عبيد الله الحارثي [4] » ، قال الصولي : « ومما يروى للسموأل وهو للحارثي :

تسيل على حد السيوف نفوسنا ... وليست على غير السيوف تسيل

يقرّب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا سيد في فراشه ... ولا طُلّ منا حيث كان قتيل [5]

---

(1) كذا ورد في طبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٣٧ ولعل الأصل « المائت » لارادة الحدث

(2) في الأصل المطبوع « عربية » ولا محل لها ، لأن مقتضى العبارة في وجودها هو أن جميع من سمعه من العرب من كلام قد تكلم به رسول الله — ص — وهذا غير معقول ، ولا فائدة فيه

(3) المجازات النبوية « ص ٦١ »

(4) أخبار أبي تمام « ص ٣٩ »

(5) أخبار أبي تمام « ص ١٤ »

وهذه الأبيات الثلاثة كافية في إدحاض نسبة القصيدة إلى السموءل ، ذلك أن الذي لا تسيل نفسه إلا على السيف ، ويقرّب حب الموت أجله ولا يموت على فراشه ، لا يتحصن كالسموءل ويخلي بين ابنه العزيز والقتل ، كائنة ما كانت الحجة التي احتج بها لذلك الانجحار الدال على الفرق من الحرب والموت ، والحرص على المهجة والاشفاق البالغ عليها

وقد ورد اسم الحارثي بصورة « عبد الملك بن عبد الرحيم » في المطبوع من طبقات الشعراء لابن المعتز قال مؤلفه — ص ٢٧٦ — : « أخبار الحارثي واسمه عبد الملك بن عبد الرحيم ، حدثنا أبو مالك الأنصاري قال حدثني أبو الأسود الشاعر قال : كان الحارثي شاعراً مفلقاً مفوهاً مقتدراً مطبوعاً ، وكان لا يشبه بشعره شعر (كذا) المحدثين الحضريين ، وكان نمطه نمط الأعراب ... » وبهذه الصورة ورد اسمه في هامش ديوان السموأل المخطوط المحفوظ في خزانة كتب المتحفة العراقية

١٠٦ — وقال في ح ج ج : « حج حجاً من باب قتل : قصد فهو حاج ، هذا أصله ثم قصر استعماله في الشرع على قصد الكعبة للحج أو العمرة ومنه يقال : ماحج ولكن دجّ ، فالحج القصد للنسك ، والدج القصد للتجارة ... » ولم يذكر « الدج » في مادته بل ذكر الدجاج وجمعه

١٠٧ — وقال في ح ج ز : « وحجزة السراويل مجمع شده والجمع حجز مثل غرفة وغرف » وقد أعاد الضمير مذكراً إلى السراويل ، مع أنه قال في س ر و ل : « السراويل أنثى وبعض العرب يظن أنها جمع لأنها على وزان الجمع ، وبعضهم يذكر فيقول هي السراويل وهو السراويل ، وفرق في المجرد بين صيغتي التذكير والتأنيث فيقال هي السراويل وهو السروال ، والجمهور أن السراويل أعجمية وقيل عربية جمع سروالة تقديراً والجمع سراويلات » . فهو قد خالف الرأي الراجح الذي ذكره في أول المادة وهو تأنيث السراويل

أما مسألة التأنيث والتذكير فتعرض على الواقع اللغوي وهو استعمال العرب ، فالذي

علمناه منه أنهم يؤنثون السراويل ، ومن ذلك المثل المشهور « من شرّ ما ألقاك أهلك » قال أبو هلال العسكري « من شر ما ألقاكِ أهلُكِ يضرب مثلاً للرجل وللشيء يتحامى ولا يقرب » وذكر خبر غزو العرب للأبلة المدينة التي كانت على فوهة النهر المضاف اليها المعروف اليوم بنهر الخورة ، قال : « وأصاب رجل سراويل فلم يحسن لبسها فرماها وقال : أخزاك الله من ثوب فما تركك أهلك لخير ، فجرى المثل ثم قيل : من شرّ ما ألقاك أهلك[1] »، فقوله « فلم يحسن لبسها فرماها » يدل على تأنيثها

وذكر المبرد أن ملك الروم بعث الى معاوية رومياً طوّالاً ليطاول به العرب ، فوجه الى قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي قال المبرد : « فلما مثل بين يدي معاوية نزع سراويله فرمى بها إلى العلج فلبسها فنالت ثندوته ، فأطرق مغلوباً ، فحدثت أن قيساً ليم في ذلك فقيل له : لم تبذلت هذا التبذل بحضرة معاوية ؟ هلا وجهت الى غيرها فقال :

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود

وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاديّ نمته ثمودُ[2]

وضمير السراويل والأشارة إليها مؤنثة ، وذكر الجواليقي أن « السروال » أعجمي معرب قال أولاً في باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجميّ : « وقالوا : سراويل وإسماعيل ، وأصلها شروال وإشماويل ، وذلك لقرب السين من الشين في الهمس[3] » ثم قال : « وكذلك السراويل[4] » وفي لسان العرب عن الليث أن « السراويل » أعجمية أعربت وأنثت والجمع سراويلات ، وذهب بعضهم الى أن سراويل جمع سروالة ، ونقل عن الأزهري قوله : جاء السراويل على لفظ الجماعة وهي واحدة ،

---

(١) جمهرة الأمثال « ص ١٩١ ، ١٩٢ »

(٢) الكامل في الأدب « ٢ : ٩٤ طبعة المطبعة الأزهرية بالقاهرة

(٣) المعرب « ص ٧ » ولا يزال العراقيون يسمونها « الشروال » بالشين المعجمة

(٤) هو « ص ١٩٦ » .

قال : وقد سمعت غير واحد من الأعراب يقول : سروال » وجاء في الجمهرة لابن دريد « ٣ : ٤٨٧ » « قال أبو زيد العرب تؤنث السراويل وهي اللغة العالية فمن ذكّر فعلى معنى الثوب » [١] وقد ورد تذكيرها في رحلة ابن فضلان في العشر الأول من المئة الرابعة من الهجرة [٢]

والواقع اللغوي الذي هو سبيلنا في مثل هذا الأمر أقوى من كل استدلال آخر ، ومن الأدلة على كون « السراويل » أعجمية أنها لم تذكر في عصور الجاهلية ، فالظاهر أن العرب لم يستعملوها في ذلك العصر ، ونرى أن جمعها ناشىء من كونها ذات شعبتين للرجلين وقسم جامع بينهما فاليمنى سروال واليسرى سروال والجامع بينهما سروال فهي سراويل ، والسروال يشبه السربال في اللفظ ، وتعاقب الواو والباء معروف مألوف في لغة العرب ، إلا أنهم ميزوا بينهما فقالوا : « السربال ما يلبس من قميص أو درع والجمع سرابيل ، وسربلته السربال فتسربله بمعنى ألبسته إياه فلبسه » كما جاء في المصباح المنير ، والسربال كان معروفاً عند العرب في عصر الجاهلية له فعل مستعمل حقيقة ومجازاً لتقدم زمان استعماله ، وعرّفت جماعة من اللغويين السربال بأنه كل ما يلبس ، فعلى هذا يجوز أن يعد « السروال » لغة في « السربال » ويبطل الظاهر الذي أشرنا اليه من كون السراويل غير معروفة في عصر الجاهلية

١٠٨ — وقال في ح ج م : وأحجمت عن الأمر ، بالألف : تأخرت عنه ، وحجمني زيد عنه ، في التعدي ، من باب قتل ، عكس المتعارف ، قال أبو زيد : أحجمت عن القوم إذا أردتهم ثم هبتهم فرجعت وتركتهم » ، قلت : قوله عكس المتعارف ، يعني في كون

---

(١) راجع حواشي شارح المعرب « ص ١٩٦ »

(٢) رحلة ابن فضلان « ٨٧ طبعة الدكتور سامي الدهان » ، قال : « وسراويل طاق وآخر مبطن »

الهمزة معدية للثلاثي وكون الثلاثي لازماً لأن رباعيّه يحتمل الهمزة ، والصحيح أن الثلاثي ها هنا متعد في الأصل ، فالهمزة إذن لغير التعدّي ، قال هو في خاتمة المصباح : « وقد جاء قسم تعدّى ثلاثيه وقصر رباعيه عكس المتعارف نحو أجفل الطائر وجفلته ، وأقشع الغيم وقشعته الريح ، وأنسل ريش الطائر أي سقط ونسلته ، وأمرت الناقة : درّ لبها ومريتها ، وأظأرت الناقة إذا عطفت على بوها وظأرها ظأراً : عطفتها ، وأعرض الشيء إذا ظهر وعرضته : أظهرته ، وأنقع العطش : سكن ونقعهُ الماء : سكّنه وأخاض النهر وخضتهُ ، وأحجم زيد عن الأمر : وقف عنه ، وحجمته ، وأكب على وجهه وكببتُه ، وأصرم النخلُ والزرع وصرمته أي قطعته ، وأمخض اللبن ، ومخضته ، وأثلثُوا إذا صارُوا بأنفسهم ثلاثة وثلثتهم : صرت ثالثهم ، وكذلك الى العشرة ، وأبشر الرجل بمولود : سُرّ به وبشرته » ، والغريب في الأمر أن المؤلف — رح — ذكر ثلاثياً لازماً لأبشر إبشاراً قال : « بشر بكذا يبشر مثل فرح يفرح وزناً ومعنىً ، ... والمصدر البشور ويتعدى بالحركة فيقال بشرته أبشره بشراً من باب قتل في لغة تهامة وما والاها ، والتعدية بالتثقيل لغة عامة العرب وقرأ السبعة باللغتين » ولم يذكر « أبشر » الرباعي ، وذكر « ثلثتُ الرجلين من باب ضرب : صرتُ ثالثهما » لا ثالثهم كما قال في الخاتمة مع أنه الصواب ، ولم يذكر « أثلثُوا » الرباعي ، ولم يذكر في « ظأر » ظأرت الناقة ظأراً أي عطفتها ولا أظأرت هي إظآراً بل قال « وظأرتُ أظأر بفتحتين : اتخذت ظئراً » . ولم يذكر في ن ق ع أنقع العطش بمعنى سكن ولا نقعه الماء بل قال : « أنقعت الدواء وغيره إنقاعاً : تركته في الماء حتى انتقع ..، ونقع الماء في منقعه نقعاً من باب نفع : طال مكثه فهو ناقع ونقيع » ، ولم يذكر في « مرى » أمرت الناقة ولا مريتها

وفي الحق أن أكثر ما ذكره الفيومي في هذا الأمر داخل في أبواب القياس ، فالهمزة أتت في قسم مما ذكر للحينونة كأصرم النخل أي دنا صرامه ألا تراه هو نفسه يقول في

مصباحه : « وصرمت النخل : قطعته ، وهذا أوان الصرام بالفتح والكسر ، وأصرم : النخل : حان صرامه » ، فقوله «حان صرامه » يفيد الحينونة وهذا مقيس ومثله « أحصد الزرع أي حان حصاده » قال هو في كتابه : « حصدت الزرع حصداً من بابي ضرب وقتل فهو محصود ... وهذا أوان الحصاد والحصاد وأحصد الزرع بالألف واستحصد إذا حان حصاده » فهل هذا مستدرك عليه ؟

وأتت الهمزة للدخول في أفعال الأمكنة وما يختص بها ، كأعرض الشيء أي دخل في العرض أو حصل فيه ، فهو يقول في مصباحه : « وأعرضت في الشيء بالألف : ذهبت فيه عرضاً وأعرضت عنه : أضربت ووليت عنه ، وحقيقته جعل الهمزة للصيرورة (كذا) أي أخذت عرضاً أي جانباً غير الجانب الذي هو فيه ، وعرضت الشيء عرضاً من باب ضرب فأعرض هو بالألف أي أظهرته وأبرزته فظهر هو وبرز ، والمطاوع من النوادر التي تعدّى ثلاثيها وقصر رباعيها عكس المتعارف » ، والحقيقة أن « أعرض » معناه دخل في عرض المكان أو وقف في عرضه ، والجائي طولاً يرى الداخل أو الواقف عرضاً ، ومنه عرض له أي وقف له في عرض الطريق ، وتعرض له أي كرر الوقوف له فيه .

ومقتضى قول الفيومي إن الهمزة في « أعرض » للصيرورة غير صحيح لأن الصيرورة كالكينونة قال الزمخشري في المفصل : « وأفعل للتعدية في الأكثر نحو أجلسته وأمكنته والتعريض للشيء ... أو لصيرورة الشيء ذا كذا نحو أغدّ البعير إذا صار ذا غدة وأجرب الرجل وأنحز وأحال أي صار ذا جُرب ونحاز وحيال في ماله ومنه ألأم وأراب وأصرم النخل وأحصد الزرع وأجزّ ومنه أبشر وأفطر وأكبّ وأقشع الغيم[1] » ، فهل يكون معنى « أعرض الشيء : صار ذا عرض » ؟ هذا المعنى غير مُراد البتة . وقد اعترف الفيومي بأن الهمزة أتت للقبول ، قال : « خاض الرجل الماءَ يخوضه خوضاً : مشى فيه ... وأخاض

(١) المفصل « ص ٢٨٠ طبعة مطبعة التقدم بمصر »

الماء بالألف : قبل أن يخاض وهو لازم على عكس المتعارف ، فانه من النوادر التي لزم رباعيها وتعدّى ثلاثيها » والصحيح أنه قياسي فلا يصح كونه من النوادر ، وهو من ذوات همزة الدخول في الحال كأخاض وأحجم وأبلس أو في المكان وتوابعه كأعرق وأشأم وأنجد وأعرض ، أو في الزمان كأصبح وأحصد وأمسى أو في الحصول على الشيء كأورق وأجرب وأظأرت الناقة

١٠٩ — وقال في ح دا : « وحدوته على كذا : بعثته عليه » ، ولم يذكر في ب ع ث « بعثته عليه » مع اشتهاره واستعماله إياه ، تقول : « حمله على الأمر وحرضه عليه وحداه عليه » بمعنى واحد على التقريب

١١٠ — وقال في « ح ذا » : « والحذاء مثل كتاب : النعل وما وطيء عليه البعير من خفه والفرس من حافره » ولم يذكر في « وط أ » تعدية الفعل بعلى بل قال : « وطئته برجلي أطؤه وطأ : علوته ويتعدى إلى ثان بالهمزة فيقال : أوطأت زيداً الأرض » وهو أي وطيء عليه من عبارات الصحاح ، وقد فسر المبارك بن الأثير الحذاء بالنعل في هذا الموضع قال : « وفي حديث ضالة الابل : معها حذاؤها وسقاؤها : الحذاء بالمدّ النعل ، أراد أنها تقوى على المشي وقطع الأرض وعلى قصد المياه وورودها ورعي الشجر والامتناع من السباع المفترسة ، شبهها بمن كان معه حذاء وسقاء في سفره وهكذا ما كان في معنى الابل من الخيل والبقر والحمير » والواقع اللغوي يدل على أن نعل تلك الحيوانات كانت من جلد حيوان أو حديد، فللابل الجلد ، وفي الصحاح « النعل: الحذاء ، مؤنثة وتصغيرها نعيلة ، تقول : نعلت وانتعلت ، إذا احتذيت ... وأنعلت خفي ودابتي » وفي لسان العرب « والتنعيل : تنعيلك حافر البرذون بطبق من حديد ، يقيه الحجارة ، وكذلك تنعيل خُف البعير بالجلد لئلا يحفى ، ونعل الدابة ما وقي به حافرها ، قال ابن سيده : أنعل الدابة والبعير ونَعّلها » وقال الشريف الرضي : « وقد نهى

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أخذ ضوال الابل وهواميها ، والهوامي الضائعة ، قال الشاعر :

همت نعلها بالسيلحين وأوفضت بوادي ثميل عن جبين مشيد [1]

أي ضاعت نعل [2] هذه الناقة بهذا الموضع المذكور ، وذلك لا يكون إلا عند تقطع هلبها وإحجاف السير بها [3] » ذكر الشريف الرضي ذلك عند شرحه مجاز قول الرسول ـ ص ـ : « ضالّة المؤمن حَرَقُ [4] النار » قال الزمخشري : « النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له رجل : يا رسول الله ، إنا نصيب هوامي الابل ، فقال : ضالة المؤمن حَرَقُ النار » ثم قال الزمخشري : « الحرق اسم من الاحراق كالشفق من الاشفاق ، وعن ثعلب : الحرق اللهب ، ويقال للنار نفسها حرق ، يقول : هو في حَرَقِ الله ، قال : شدّ سريعاً مثل إضرام الحرق يعني أن تملكها سبب العقاب بالنار » [5]

« له صلة » مصطفى جواد

---

(١) جاء في مطبوع المجازات النبوية ـ ص ١٩٤ ـ « همت بنعلها بالسيلحين وأوفضت » ، ومع إصلاحي لبعضه لست على بينة من صحة جميعه

(٢) في المظنة « بنعل » وهو تصحيف ثان للنعل

(٣) المجازات النبوية « ص ١٩٤ طبعة مصر »

(٤) ضبطها المرحوم الشيخ محمود مصطفى مدرس الأدب بكلية اللغة العربية في الأزهر ، بتسكين الراء والصواب فتحها

(٥) الفائق « ٣ : ٢١٣ من طبعة مصر »

باب الكتب

كتاب الإبدال لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي

كتاب في اللغة ، حققه العلامة عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق وهو كتاب جليل القدر ، غزير الفوائد ، سهل الترتيب ، واضح الأداء عني باشتقاق بعض الكلمات من بعض ، بابدال حرف من أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، بحرف آخر مقارب له في المخرج أو متباعد عنه فيه مثل (بُلْبُل) و (زُلزُل) للخفيف الظريف ، يقال غلام بلبل وغلام زلزل و (جُعبوب) و (جُعسوس) للقصير الدميم و (لَذِبَ) و (لَذِمَ) أي أقام ، يقال لذب بالمكان ولذم به إذا أقام به و (المحتِد) و (المحفِد) وهو الأصل من كل شيء ، يقال إنه من محتد صدق ومحفد صدق أي من أصل كريم و (يفوق) و (يتوق) أي يجود ، يقال هو يفوق بنفسه ويتوق بنفسه أي يجود وهكذا . ومثل هذا الإبدال يسمى بالاشتقاق الكبير ، فان الاشتقاق ثلاثة أنواع : صغير ، وكبير ، وأكبر كما قال الناظم :

إعلم بأن الاشتقاق انقسما الى ثلاثة لدى من علما
وهو صغير وكبير أكبر وهذه الأسماء فيه اشهر

وليس لنا الافاضة هنا بتفصيل بحث الاشتقاق ، فان له موضعا آخر ومن أحسن من تكلم فيه الإمام المفسر الشهير فخر الدين الرازي في الجزء الأول من تفسيره الكبير ولم

يغفل المحقق الفاضل الإلماع اليه في مقدمته القيمة

جاء هذا الكتاب المبارك على غرار كتاب العين في التبويب : فباب الباء والدال وباب الباء والراء ثم باب الباء والزاء وهكذا

جمع هذا السفر الوافي ثروة طائلة من المترادفات ، فان المفردات التي بينها إبدال مترادفات على ما أرى ، وإن كان كلام المحقق الفاضل في مقدمته يشعر بخلاف ذلك فالسَّبَنْدى مثلا ، وهو الجريء ، مرادف للسَّرَنْدَى . وضَبِس ، وهو الداهية ، مرادف لضَرِس وعَشَبَة وهي العجوز اليابسة ، ترادف عَشَمَة والعَتَه وهو الجنون والبَلَه في الإنسان ، يرادف العَلَه . وهكذا جميع ما جاء في الكتاب من ذوات الإبدال فلا حاجة الى الاطالة بالأمثلة فالكتاب كما أنه (كتاب الإبدال) هو (كتاب في المترادفات) أيضاً

وقد جمع الكتاب طائفة كبيرة جداً من غريب اللغة أو ما يقرب من الغريب لعدم استعماله أو لندرة استعماله مثل عَبْهَلَ وعَذْهَل وضَبِسْ وضَرِس وجُعْبوب وجُمسوس وبَكْسباك وضَكضاك ونحو هؤلاء الكلمات ، وهي كثيرة جداً فهو إذاً كتاب جمع ذوات الإبدال من الكلمات ، وطائفة كبيرة من المترادفات ، وجميعاً - غير منتضر - من غريب اللغة

ومن الملاحظ - وليس بعجيب - أن الإبدال لم يزل معروفاً في بعض القبائل العربية . فبعض القبائل في جنوب العراق تبدل الجيم الى ياء فتنطق بكلمة (خُرْج) بابدال الجيم الى ياء ، فتقول (خُري) كما تُبدل الكاف الى جيم فتنطق بكلمة (هِيك) بإبدال الكاف الى جيم ، فتقول (هيج) . وليس هذا موضع الإطالة في الإبدال عند القبائل العربية المعاصرة . وهو موضوع جدير بالبحث فيه مستقلا

وقد افرغ العلامة التنوخي جهداً جيداً في تحقيق الكتاب . فقدم له مقدمة علمية

ضافية اصطبغت بفلسفة لغوية يطرَب لمثلها ابن جني واضرابه من فلاسفة اللغة وثقاتها وجاء بفوائد مهمة :

منها انه جمع تراجم أئمة اللغة بايجاز مفيد غير مخلّ ، ولم يطل فيما لا طائل فيه

ومنها أنه أوضح أسباب التعاقب بين الحروف : كقوله في باب الباء والراء : الباء شفوية والراء من حروف الذلاقة فالتعاقب طبيعي وهكذ في كل باب

فالكتاب كنز من كنوز اللغة العربية عثر عليه العلامة التنوخي ، فلم يستخلصه لنفسه بل وزع ربحه وفوائده بين ابناء أمته وسائر المعنيين بالعربية من أبناء الأمم الأخرى ، فنشره بعد ما بذل في تحقيقه جهوداً مضنية وتحمل لُغوباً شديداً على ما يظهر لي من الأمر . وليس هذا أول عمل يقدمه الاستاذ عز الدين لخدمة العلم والأدب ، فله فيهما باقيات صالحات أخرى.

ولقد خطرت لي ملاحظات عند مطالعتي الكتاب بجمنته والإفادة منه أصلاً وتحقيقاً رغبت في تسجيلها لئلا تفوت كغيرها من الخواطر العابرة التي تفوت لعدم قيدها بالتسجيل قيد الأوابد بالوثاق :

١ — جاء في السطر الأول من الصفحة الثالثة عنوان (الفاتحة) فالذي يطيب لي ان يبقى هذا العنوان في مفتتح الكتب مقصوراً على كتاب الله القرآن الكريم وألاّ تمد اليه يد الاقتباس على انه قد اصبحت (الفاتحة) علماً بالغلبة على السورة الكريمة المعروفة . ولو استعملنا في مثل هذا الموضع كلمة (إيضاح) أو (بيان) أو (بادئه) أو نحو هؤلاء الكلمات لما ضاع القصد ولا غاب

٢ — جاء في السطر الأول من الصفحة الرابعة عبارة (بَلْه ارى) إن كلمة (بَلْه) لا يأتي بعدها فعل ، لأنها اما ان تكون اسم فعل بمعنى (دَعْ أو أترك) بعدها اسم منصوب على المفعولية نحو بله زيداً ، أو تكون مصدراً مضافاً لاسم مجرور بعده ، نحو بَلْه زيد أي الزم ترك زيدٍ وجاء على الوجهين الشاهد المشهور

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق

٣ — جاء في السطر الأول من الصفحة الثامنة : (الابدال اللغوي والنحوي) . ليس في النحو بحث لإبدال الحروف بعضها من بعض ، فان النحو إنما يبحث عن تغيير حركة آخر الكلمات المعربة في التركيب وهو ما يسمى بالاعراب ، ويبحث عن البناء تبعاً له لأنه ضده ، والضد يظهر حسنه الضد ولعل الصحيح (الابدال اللغوي والصرفي) فان علم الصرف هو الباحث في إبدال الحروف بعضها من بعض وهو الباحث عن الاشتقاق بأنواعه الثلاثة نعم في النحو بحث في (البدل) وهو التابع للمبدل منه في إعرابه والمقصود في الحكم ، ولا دخل له في (الإبدال) الذي هو موضوع البحث في الكتاب

٤ — جاء في السطر (١٦) من الصفحة الثامنة (أحرف الابدال هُديت مُوطيا) . والصحيح (أحرف الابدال هدأت موطيا) فان هذه العبارة شطر من بيت في باب الابدال من الخلاصة الشهيرة بألفية ابن مالك وشطره الثاني (فأبدل الهمزة من واوٍ ويا) . وعلى عبارة المحقق ، لا ذكر للهمزة مع انها من حروف الإبدال والشطر الثاني ضنين بها

٥ — جاء في السطر الثالث من الصفحة (٣٧): (التباس الترادف بالإبدال) يظهر من هذا التعبير ان الاستاذ التنوخي لا يرضى ان تعدّ الكلمات ذوات الإبدال ، من المترادفات .

ولكن الذي يرضى به الواقع — على ما أرى — هو أنها لا تخرج من باب المترادفات فان المترادفات هي الكلمات التي تؤدي معنى واحداً مع اختلاف الفاظها ، مثل (أسد ، ليث ، غضنفر) و (سيف ، حسام ، صارم) ونحو هؤلاء واشتراط اختلافها في جميع حروف المادة شرط تعسفي ، فان الكلمة اذا اختلفت عن كلمة أخرى ولو بحرف واحد من أصل مادتها فهي كلمة أخرى مستقلة بنفسها فاذا اتحدتا في المعنى كانتا مترادفتين.

هذا والمحقق العلامة شكر الله سعيه قد أجاد كل الإجاد في تحقيقه وتعليقاته المفيدة ، والتعمق في تحري الصحيح ، وايضاح التعابير الغامضة

منير القاضي

وهو السفر الأول من « آثار أبي العلاء المعري » جمعه وحققه لجنة من رجال وزارة المعارف المصرية باشراف الدكتور الكبير طه حسين ، المستشار الفني لوزارة المعارف ومدير جامعة فاروق الأول بالنيابة يومئذ ، قوامه «٥٩٩ صفحة » عدا المقدمة ، وكلمة اللجنة وهما في اثنتي عشرة صفحة ، وخلا الفهارس وهي في ستمائة صفحة وأعضاء اللجنة هم الأساتذة مصطفى السقا ، وعبد الرحيم محمود ، وعبد السلام هارون وإبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وهم من الفضلاء المشهورين

طبع هذا السفر طبعاً رائقاً في ورق فاخر بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م ، وكنت قد طالعته وتأملته فألفيته من الكتب النفيسة لأنه حوى تراجم لأبي العلاء المعري ، ضمنها المؤرخون المسلمون تواريخهم ، مثبتة بحسب أزمانها ، فمن تتمة اليتيمة للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في حياة أبي العلاء ، إلى نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس للعباس بن علي بن نور الدين الحسيني المكي من أهل القرن الثاني عشر للهجرة ، وهذا هو القسم الأول من الكتاب والقسم الثاني في الشذرات وهي المظان التي ورد فيها ذكر أبي العلاء استطراداً بسبب إنشاد أو استشهاد أو نقد أو تعقيب ، وفي رسالة موسومة بالتبري من معرة المعري للجلال السيوطي ، وكتب الأدب المغربي التي ذكرت أبا العلاء ، وكتب الأدب الفارسي التي تعرضت له ، وكتب النحو التي عاجت على شعره ، وانبرى لذكره ثم كتاب « الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري» لكمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبي ، وكتب الرحل والبلدان التي احتوت على بعض سيرته وهكذا وجدنا هذا السفر قد جمع فوعى ، وبدا كتباً مجموعة

في كتاب واحد جليل الفوائد وقد رأيت فيه ما هو حريّ بالنقاش فأقول :

١ — جاء في الصفحة (و) من مقدمة الكتاب قول الأستاذ الدكتور طه حسين : « ومن المحقق أن مصر المعاصرة سبقت غيرها من البلاد العربية إلى نشر آثار أبي العلاء ودرسها وإذاعة الحديث عنها » والمعروف غير هذا ، فان الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني طبع أولاً اللزوميات في مدينة بمبي بالهند سنة ١٣٠٣ هـ = ١٨٨٥ م ثم طبعت بمصر سنة ١٣٠٩ هـ = ١٨٩١ م والمعلم شاكر شقير طبع سقط الزند ببيروت سنة ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٤ م ثم طبع بمصر ، فبلاد الهند والشام سبقت مصر الى نشر آثار أبي العلاء .

٢ — وجاء في الصفحة الخامسة من الكتاب كلام على « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي قالت فيه اللجنة الجامعة المحققة : « هو المشهور بتاريخ بغداد ... وجمع فيه تراجم رجالها ومن ورد إليها [1] (كذا) مرتبة على حروف المعجم » والصواب انه قدم « المحمدين » و« الأحمدين » تبركاً باسم النبي — ص — ثم رتب التراجم على حروف المعجم بحسب شرف الأسماء وكثرتها واشتهارها

٣ — وأشارت اللجنة في الصفحة المقدم ذكرها إلى مظان ترجمة الحافظ أبي بكر الخطيب وغفلت عن معجم الأدباء لياقوت الحموي «طبعة مرغوليوث ١ : ٢٤٦ » وترجمته فيه أوسع التراجم ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج بن الجوزي « ٨ : ٢٦٥ » ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي« نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ١٣٠ » والنجوم الزاهرة « ٥ : ٦٣ » وتذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي « ٣ : ٣١٢ » وشذرات الذهب « ٣ : ٣١١ » وروضات الجنات لمحمد باقر الخوانساري « ص ٧٨ »

(١) الفصيح « وردها » لأن ورد يتعدى الى مفعوله بنفسه.

فهذه سبع مظنات من مظان سيرته فاتت اللجنة المذكورة ، فما ظنك بالاستقصاء والاستقراء فيها لمن يستقصي ويستقري ؟

٤ — وعلقت اللجنة في الصفحة الثامنة مظان ترجمة الأديب علي بن الحسن الباخرزي وغفلت عن معجم الأدباء أيضاً « ٥ : ١٢١ طبعة مرغوليوث » . وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي « ٣ : ٢٩٨ » فضلاً عن غيرهما

٥ — وعلقت اللجنة في الصفحة التاسعة إيضاحاً لمن اسمه « إسماعيل الصابوني » محيلة بإيضاحها على أنساب السمعاني وطبقات الشافعية ذاكرة أنه كان مفسراً محدثاً فقيهاً واعظاً خطيباً ، ثم علقت ثانيـة على اسمه في الصفحة « ٥١٩ » كأنه لم يترجم من قبل وأحالت بتعليقها على البدايـة والنهاية وتاريخ دمشق لابن عساكر ووصفته بالحافظ الواعظ المفسر المذكر حسْبُ دون الفقه والخطابة ، ولم تشر الى تقدم مختصر من سيرته

٦ — وفعلت اللجنة الفعل بعينه في ترجمة أبي الطاهر محمد بن أبي الصقر الأنباري في الصفحات ١٣ و ٢٠٥ ، ٥١٩ وعلقت ثلاثة تعليقات على اسمه كأنه لم يتقدم له ذكر قبلاً

٧ — وجاء في الصفحة ١٧ في ذكر سنة وفاة المعري أنه « توفي يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وأربعمائة في خلافة القائم بأمر الله تعالى » . وكان ذلك منقولاً من « نزهة الألباء في طبقات الأدباء [1] ، طبعة القاهرة سنة ١٢٩٤ » . والصواب أن وفاته وقعت في سـنة تسع وأربعين وأربعمائـة ، باجماع المؤرخين والمترجمين له [2] ، ولا عبرة بغلط الناسخ

---

(١) تأليف العلامة كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧

(٢) وقع هذا الخطأ النسخي في النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٢٩٤ والمطبوعة بها بعد ذلك « ص٢٣٢ » بمشارفة علي يوسف أحد خريجي كليات جامعـة لندن وأحد أعضاء جماعة المهندسين البريطانيين والجماعة الملكية الزراعية بانكلترا والمجمع الفلسفي في بريطانية العظمى ، ولم تفطن له اللجنة ولا المشارف المذكور

٨ — وجاء في الصفحة الخمسين « بقراءة أبي النصر الفامي » بالصاد المهملة ، والذي حفظناه أنه أبو النضر بالضاد المعجمة ، وقد جرت العادة أن يُنكر المضاف اليه في كنية « أبي النصر » بالصاد المهملة ، ويعرف في كنية « أبي النضر » بالضاد المعجمة ، وأيا كان الأمر فاللجنة لم تعرف من أمره شيئاً ، قال شمس الدين الذهبي : « الفامي الحافظ أبوالنضر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عثمان بن منصور الهروي ، محدث هراة ، ولد سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة بهراة وسمع ... ذكره السمعاني في تاريخه فقال : كان ببغداد (كذا) حسن السيرة ، جميل الطريقة دمث الأخلاق، كثير الصدقة والصلاة، دائم الذكر، متودداً[1]، متواضعاً ، له معرفة بالحديث والأدب يكرم الغرباء ويفيدهم وكان يعد مأموناً ، كتبت عنه بهراة ونواحيها مات في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ست وأربعين وخمسمائة قلت : لقبه ثقة الدين ... وله تاريخ صغير »[2] وذكره تاج الدين السبكي في الطبقات وقال « المعدل الهروي أبو نصر (كذا) الفامي مؤرخ هراة قال شيخنا الذهبي : وليس تاريخه بمستوعب ... وكان حافظاً أديباً يلقب ثقة الدين ، سمع[3] ... »

وقد وقع هذا الخطأ في النجوم الزاهرة في ترجمة المؤرخ المحدث المذكور « ٥ : ٣٠١ ، ٣٠٢ » وفي طبقات الشافعية الكبرى كما نقلت آنفاً ، وذكره ياقوت استطراداً غيرة مرة « ١ : ٩٥ ، ٦٠٩٩ : ٢٩٨ » ففي المرة الأولى « أبو نصر » وفي الثانية « أبو النضر » وفي الثالثة « أبو النصر » وجاء في شذرات الذهب ٤ : ١٤٠ « أبو نصر » والصواب ما ذكرته أولاً

٩ — وجاء في الصفحة بعينها والسند بنفسه « أنشدنا أحمد بن المبارك بن عبد العزيز

---

(١) في تذكرة الحفاظ وهي مظنة منقولنا الآن « متردداً » وهو تصحيف

(٢) تذكرة الحفاظ « ٤ : ١٠٠ »

(٣) طبقات الشافعية الكبرى « ٤ : ٢٤٥ »

الأزجي من لفظه إملاءاً » ، وفي الصفحة الثانيــة « أنشدني أبو العثمان (كذا) المبارك ابن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري إملاءاً من حفظه » والاسمان لانسان واحد ، ذكرا على صورة التنويع لـكي يحسبه القارىء شيخين وهو من التـكثر المنهي عنه لاعتماده على الايهام ، على أن المهم في الأمر هو أن نعلم أ المبارك بن أحمد هو أم أحمد بن المبارك ؟ إن اللاجنة لم تفطن لهذا الالتباس وعدت الاسمين لشيخين متميزين ، والذي حفظناه أنه « أبو المعمر المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الخزرجي الأزجي الأنصاري، قال أبو الفرج بن الجوزي في وفيات سنة ٥٤٩ هـ : « المبارك بن أحمد بن عبد العزيز بن المعمر ... الخزرجي الأنصاري أبو المعمر ، ولد سنة خمس وسبعين وأربعمائة وسمع الـكثير وقرأت عليه الـكثير وكان له فهم وعلم بالحديث وتوفي في رمضان هذه السـنة ودفن بالشونيزية [١] » وذكر صاحب الشذرات ان له معجماً بأسماء الشيوخ [٢]

١٠ — وجاء في الصفحة ٥٦ في ترجمة أبي العلاء منقولة من كتاب « إنباه الرواة على أنباه النحاة » مستمدة من تاريخ غرس النعمة محمد بن أبي الحسين هلال بن الصابي « ويُرمى بالالحاد وأشـعاره دالة على ما زل به من ذلك » فقوله « ما زل به من ذلك » لا معنى له هنا ، وهو تصحيف « ما يُزَنّ به من ذلك » أي ما يُتَّـهم ، ولـكن اللاجنة لم تفطن لمثل هذا الفعل النّـادر البارع ، قال أبو العباس المبرد : « قال الأول وغبط بميراث ورثه من أحد أهله :

إن كنت أزننتني بها كذباً جزء فلاقيت مثلهـــا عجلا

... وقوله : أزننتني أي قرفتني ونسبتني اليه ، يقــال : فلان يُزنّ بكذا وكذا أي يسمى به وينسب إليه ، قال امرؤ القيس بن حجر :

---

(١) المنتظم « ١٠ : ١٦٠ »

(٢) الشذرات « ٤ : ١٥٤ »

كذبت لقد أصبي على المرء عرسه ... وأمنع عِرسي أن يُزنّ بها الخالي [1]»

وقال الجوهري في الصحاح : « أزننته بشيء : اتهمته ، وهو يزن بكذا ، قال :

إن كنت أزننتني بها كذبا ... جزء فلاقيت مثلها عجلاً

ويقال : أزّنه بالأمر مثل أظنّه إذا اتهمه » ، فمعنى الجملة المذكورة « وأشعاره دالة على ما يُتهم به وما ينسب اليه من الالحاد »

١١ — وجاء في الصفحة ٦٧ في التعليق على مؤلف « إرشاد الأريب الى معرفة الأديب» قول اللجنة :

« هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي صاحب التصانيف النافعة ، ولد في حماة وتوفي بحلب » قلت : أما وفاته بحلب فمن الحقائق التاريخية ، وأما القول بولادته في حماة فخطأ لم يقل به أحد من المؤرخين سوى ابن خلكان ، قال معاصر ياقوت والراوي عنه زكي الدين عبد العظيم المنذري في وفيات سنة ٦٢٦ هـ

« وفي العشرين من شهر رمضان توفي الأديب الفاضل أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي النحوي الكاتب بحلب ، ودفن بظاهرها أخذ عن جماعة من الأدباء وغيرهم وجمع كتاباً كبيراً في البلدان ، أحسن فيه ، وكتاباً آخر في المتفق من أسماء البلاد ، وكتاباً في أخبار المتنبي وغير ذلك وحدّث سمعت منه شيئاً من شعره وشعر غيره وسمعته يقول : مولدي في سنة أربع أو خمس وسبعين — يعني وخمسمائة — ببلاد الروم وكانت له همة عالية في تحصيل المعارف ، وكتب خطاً حسناً وبلغنا أنه حبس كتبه واجتهد في حملها وإيصالها إلى الموضع الذي وقفت فيه بمدينة السلام [2] »

وقال ابن خلكان : « أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد ،

---

(١) الكامل « ١ : ١٩ طبعة الدلجوني الأزهري »

(٢) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ، ج ٢ الورقة ١٤ » .

البغدادي الدار الملقب شهاب الدين أسر من بلاده صغيراً وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي ... » وقد ناقض ابن خلكان نفسه بقوله « أسر من بلاده صغيراً » بعد قوله « الحموي المولد » فكيف يكون حموي المولد وقد أسر من بلاده صغيراً ؟! فالقول الثاني أي كونه مولوداً ببلاد الروم هو الصحيح الذي ذكره المنذري وتلقاه من في ياقوت ، أما مولاه عسكر بن أبي نصر الحموي التاجر فهو الذي أعطاه نسبه أي « الحموي » كما جرت عادة السادة مع مواليهم في الزمن القديم وقد توفي سيده سنة « ٦٠٦ هـ » ببغداد ، قال ابن الساعي في وفيات هذه السنة : « أبو الجيش عسكر ابن أبي نصر الحموي ، أحد التجار القاطنين ببغداد ، من ساكني دار الخلافة المعظمة بالقرب من باب الحرم الشريف ، وكان ذا ثروة وتجمل ظاهر توفي في جمادى الأولى من السنة ودفن عند مشهد عون و مُعين [1] »

١٢ — وجاء في الصفحة ٧٨ « لا يقول مثلها تنوخ جدُّك الأكبر » بتنوين « تنوخ » وهو غير مصروف للعلمية وموازنة الفعل ، كأحمد ويحيي ويعمر ويحصب وتزيد ، وليس المُراد بتنوخ ها هنا القبلة ، فلو أُريدت لاجتمعت ثلاثة موانع من الصرف العلمية والتأنيث ومُوازنة الفعل ، واثنان منها كافيان

١٣ — وجاء في الصفحة ٨٣ « قال ابن الهبارية : أنشدني أبو زكريا الخطيب التبريزي قال أنشدني أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري لنفسه :

أرى جيل التصوف شرّ جيل فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عبدتموه : كلوا أكل البهائم وارقصوا لي »

فعلقت اللجنة عليها « الحق أنّ البيتين ليسا من شعر أبي العلاء فقد ورد في رسالة ابن القارح إلى أبي العلاء : أنشدني الظاهر لنفسه وذكر البيتين ، انظر رسائل البلغاء ص ٢٠٠ »

(١) الجامع المختصر وعنوان التواريخ وعيون السير « ج ٩ ص ٢٩٤ طابعة كاتب هذا النقد

ولم يذكرُوا من « الظاهر » هذا ؟ واعتمدُوا على رسائل البلغاء في طبيعتها الثانية التي أضاف إليها الأستاذ محمد كردعلي رسالة ابن القارح ، وقد ذكره باسم «ظاهر» الذهبي في المشتبه قال : «طاهر كثير، وبمعجمة ظاهر الجزري شاعر محسن بعد ٤٠٠» يعني بعد سنة ٤٠٠ الهجرية، والذي حفظناه أنه كان يلقب « الطاهر » بالطاء المهملة ولم يكن اسمه « ظاهراً » كما قال الذهبي ، وهذا الشاعر غلط المؤرخون في اسمه ولقبه وذلك أمر غريب ، فاسمه « سدّاد » بالسين المهملة من السدّاد فتصحف على طائفة من المؤرخين الى «شدّاد » من الشدّة ، وكان لقبه « الطاهر » فتصحف على طائفة مهم الى « الظاهر » ومهم من عدّ اسمه « ظاهراً » كما وقع للذهبي ، وقد أحسن ابن شاكر الكتبي بان جعل اسمه في ترجمة «السين » من فوات الوفيات، فظنه طابعوه وآخرهم الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد المصري ـ وليس هو من أرباب هذا الشأن ـ فقدجعله « شداد بن ابراهيم» بعد المسمى« سحيم بن وثيل عبدبني الحسحاس» وهذا داخل في الامكان لأن الشين تعقب السين ، ألا أن الذي ولي سحيماً من الجهة الأخرى « سعد الله بن نصر الله وسعد الله بن مروان وسعدون المجنون ، وسعد بن احمد بن مكي وسعد بن الحسن بن شداد الناجم وما يليه من الأسماء المبدوءة بالسين، ولم يشك الشيخ في كونه مقحماً في غير بابه ، لأنه قال في الحاشية : «كذا وقع هذا العلم وسط حرف السين المهملة وآثرنا بقاءه في موضعه من الأصول مع التنبيه على أن موضعه في حرف الشين ، وله ترجمة في معجم الأدباء » [1] وأيده في هذا الوهم وروده في معجم الأدباء في باب الشين المعجمة غلطاً من مؤلفه ياقوت قال ياقوت :

« شداد بن ابراهيم بن حسن أبو النجيب الملقب بالطاهر الجزري ، شاعر من شعراء عضد الدولة بن بويه ، ومدح الوزير المهلبي ، وكان رقيق [2] الشعر ، لطيف الأسلوب ،

---

(١) وتعقبه في الفهرست فعلق على اسمه قوله « هكذا وقع هذا الاسم بين الاسماء المبدوءة بحرف السين».

(٢) في معجم الأدباء « ٤ : ٢٦١ طبعة مرغوليوث : دقيق الشعر » ولا محل للدقة وقد أغنت عنها الرقة

مات سنة ٤٠١ ... ومن شعره : إذا المرء لم يرضَ ما أمكنه ... ومنه :

أيا جيل التصوف شر جيل لقد جئتم بأمر مسحيل

أفي القرآن قال لكم إلهي كلُوا أكل البهائم وارقصوا لي[١]

وذكره الثعالبي في تتمة اليتيمة قال : « الطاهر الجزري ، عالي السن أدرك سيف الدولة وفيه يقول :

وحاجة قيل لي نبه لها عمراً[٢] ... » وذكره الباخرزي قال : « الطاهر الجزري[٣] أنشدني الشيخ أبو عامر من أبيات له لم تطب نفسي بالتجافي عن لبس حلاها[٤] ... »

وقال ابن شاكر الكتبي : « سداد بن ابراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر شاعر مدح المهلبي وزير معز الدولة ، وكانت وفاته في حدود الأربعمائة ـ رحمه الله ـ ... ومن شعره :

أرى جيل التصوف شر جيل ...[٥] »

وقال الصفدي قبله : « سـدّاد بن ابراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر ، شاعر...[٦] » وقد ترجمه الصفدي بين « السخاوي » و « سديف بن ميمون » فلم يبق شك في أنه من باب السين ومن الكتب التي تصحف فيها اسم هذا الشاعر ولقبه معجم الأدباء لياقوت الحموي ، فقد جاء في الجزء الثالث منه « ص ١٨٩ طبعة مرغوليوث » : « وحدث أبو النجيب شداد (كذا) بن ابراهيم الجزري الشاعر الملقب بالظاهر (كذا) قال : كنت

(١) معجم الأدباء « ٤ : ٢٦١ »

(٢) تتمة اليتيمة « ١ : ٤٦ »

(٣) وقع في طبعة الطباخ الحلبي وهي رديئة « الجزيري » وهو تصحيف

(٤) دمية القصر « ص ٥٠ »

(٥) فوات الوفيات « ١ : ٢٤ طبعة محمد محي الدين عبد الحميد »

(٦) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١١٦ »

كثير الملازمة للوزير أبي محمد المهلبي فاتفق أني غسلت ثيابي وأنفذ إلي يدعوني فاعتذرت بعذر فلم يقبله وألح في استدعائي فكتبت إليه : عبدك تحت الحبل عريان ... »

١٤ — وجاء في الصفحة المـــذكورة في التعليق على ابن الهبارية أبي يعلي محمد بن محمد الهاشمي قول اللجنة :« وكان ملازماً لخدمة نظام الملك وولده ملكشاه ». وفي هذا القول خطأ مبين ، فانّ ملكشاه لم تكن له بنظام الملك صلة نسب ولم يكن له النظام بالأب ، وقد أحالت اللجنة بقولها على أنساب السمعاني ووفيات الأعيان وشذرات الذهب ، فوجدنا أن صاحب الشذرات هو الذي ارتكب هذا الخطأ أولاً « ٤ : ٢٤ » وملكشاه هو السلطان السلجوقي الأعظم الذي دانت له الأقطار والأمم وهو ابن ألب أرسلان السلطان السلجوقي العظيم ، وسيرتهما أشهر من أن يحال بالاشارة إلى مظنتها إلى تاريخ من التواريخ أو معجم من معاجيم التراجم ويهمنا في هذا الأمر أن نشير الى أن ابن العماد الحنبلي مؤلف شذرات الذهب له سقطات في التاريخ ، وليس هو بالمعتمد في هذا الفنّ مع نقله في الأعم الأغلب من كتب الثقات والأثبات

١٥ — وجاء في الصفحة ٩٧ منقولاً من كتاب معجم الأدباء لياقوت الرومي : « قرأت بخط أبي سعيد [السمعاني] قال سمعت المبارك بن أحمد بن الأخوث مناكرة [يقول] : خرج رجل على سبيل الفرجة ... » [1] وذكر قصة ، وهكـــذا ورد فيها « ابن الأخوث » بالثاء المثلثة ، وأثبتته اللجنة كذلك في فهرست الكتاب ، والمشهور في عصر السمعاني « ابن الاخوة » جمع الأخ ، والظاهر أن المبارك بن أحمد بن الاخوة هو أخو عبد الرحيم بن أحمد بن الاخوة الأديب المحدث المشهور [2]

(١) ورد هذا الخبر في معجم الأدباء « ج ١ ص ١٧٦ من طبعة مرغوليوث

(٢) ترجمه الصفدي في الوافي بالوفيات وترجمه قبله العماد الاصبهاني الكاتب في الخريدة وتاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ، وذكره عدة مؤرخين استطراداً في الاجازات وغيرها ، قال السمعاني في « التعريب » من الانساب « هكذا كان ينسبه لنا أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن الاخوة البغدادي »

١٦ — وجاء في الصفحة « ١٢٩ » تعليق مختصر على اسم « محمد بن نصر بن عنين الشاعر » ثم علقت اللجنة على اسمه في الصفحة « ٣٩٩ » تعليقاً أوسع وأنفع منه كأنه لم يرد له ذكر في الكتاب من قبل

١٧ — وعلقت اللجنة في الصفحة ٢٤٩ تعليقاً على اسم « الرشيد بن الزبير أحمد بن علي الأسواني » وأحالت بالتعليق على وفيات الأعيان والطالع السعيد ، وغفلت عن معجم الأدباء وهو من أمّهات كتب التراجم التي ترجمته « ١ : ٦١؛ طبعة مرغوليوث »

١٨ — وجاء في الصفحة ٢٦٣ مختصر ترجمة الصلاح الصفدي مع الاشارة الى مظانّها ، ولكن اللجنة أهملت من المظان « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٢ : ٨٧ » لابن حجر العسقلاني ، وغيره من كتب التراجم وقد أغفلت اللجنة هذا الكتاب في عدة تراجم أخرى « ص ٢٧١ وغيرها »

١٩ — وجاء في الصفحة ٢٦٨ منقولاً من الوافي بالوفيات « وأما الشيخ شمس الدين فحكم بزندقته في ترجمته له وطوّلها وذكر له فيها قبائح » وقالت اللجنة معلقة على شمس الدين : « هو سبط ابن الجوزي ، انظر مرآة الزمان » وهذا القول غير صحيح فان الصلاح الصفدي كان إذا ذكر « شمس الدين » أراد « الشيخ شمس الدين محمداً الذهبي[1] » المحدث الكبير والمؤرخ الشهير ، ويؤيد قولنا أن الصفدي نقل من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي في الترجمة بعينها « ص ٢٨٠ » قال : « قال سبط ابن الجوزي[2] في المرآة : قال الغزالي ... »

(١) وقد أعاد هذا القول في نكت الهميان بايضاح قال : « وأما الشيخ شمس الدين الذهبي فحكم بزندقته في ترجمة له طولها في تاريخ الاسلام له وذكر فيها قبائح » وقد نقلت اللجنة هذا القول « ص ٢٨٩ »

(٢) في الأصل « قال في المرآة سبط ابن الجوزي قال الغزالي » وهو من سبق القلم ، بدلالة أن الصفدي أعاد كلامه في نكت الهميان وقد نقلت اللجنة كلامه « ص ٢٩٣ » قال : « قال سبط ابن الجوزي في المرآة قال الغزالي ... »

٢٠ — وجاء في الصفحة ٣٥٣ منقولاً من كتاب « نزهة الجليس » للعباس المكي :
« قال ابن خلكان : ومن لزوميات أبي العلاء المعري قوله :

لقد عجبوا لأهل البيت أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرآة المنجم وهي صغرى أرته كل عامرة وقفر »

فعلقت اللجنة على « قال ابن خلكان » قولها : « هذه ليست عبارة ابن خلكان وكلمة اللزوميات لم ترد في نص قبل هذا » وعلقت على البيتين قولها : « البيتان من أبيات في اللزوميات ١ : ٢٩٠ وهذا الاختيار لم يرد في ابن خلكان فلعله مما قش المؤلف »

قلنا : أما العبارة فقد تصرف بها العباس المكي وأما أن ذلك الاختيار لم يرد في تاريخ ابن خلكان فخطأ من القول مبين لأن ابن خلكان ذكر البيتين المذكورين آنفاً في ترجمة « عبد المؤمن بن علي الكومي » المشهور ، قال : « وقولهم الامام يريدون به جعفرا الصادق — ع — وقد تقدم ذكره وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعري بقوله :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرآة المنجم وهي صغرى أرته كل عامرة وقفر

وقوله : في مسك جفر ، الجفر بفتح الجيم وسكون السين المهملة الجلد ، والجفر (بفتح الجيم وسكون الفاء وبعدها راء) من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر وجفر جنباه وفصل عن أمه ، والأنثى جفرة ، وكانت عادتهم أنهم في ذلك الزمان يكتبون في الجلود والعظام والخزف وما شاكل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم [١] »

وقد ذكر ابن خلكان أبا العلاء المعري في غير ترجمته استطراداً غير مرة فكيف جزمت اللجنة القول بأنه لم يذكر البيتين ؟! وكما تنبهت اللجنة الى أنه ذكره استطراداً في ترجمة ابن عنين الشاعر [٢] وابن هانئ الأندلسي الشاعر كان واجباً عليها أن تتنبه لذكره

(١) وفيات الأعيان « ١ : ٣٣٧ طبعة بلاد العجم »
(٢) التعريف بأبي العلاء « ٣٩٠ »

الاستطرادي في المواضع الأخرى ، فمن المواطن التي ذكره ابن خلكان فيها ولم تقف اللجنة عليها ترجمة أبي نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي الأديب الشاعر الوزير قال : « وكان قد اجتمع بأبي العلاء المعري بمعرة النعمان ، فشكا إليه حاله وأنه منقطع عن الناس وهم يؤذونه فقال : مالهم ولك وقد تركت لهم الدنيا [والآخرة] ؟ فقال أبو العلاء : والآخرة أيضاً والآخرة أيضاً ؟ وجعل يكررها ويتألم لذلك ، وأطرق فلم يكلمه الى أن قام [1] »

وذكر ابن خلكان أبا العلاء المعري أيضاً في ترجمة الشيخ أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري الفقيه الشافعي المولود سنة ٣٤٨ المتوفى سنة ٤٥٠ هـ [2] قال : « ومن شعره ما أورده له الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي ، المقدم ذكره ، في الجزء الذي وضعه في أخبار أبي العلاء المعري قال مسنداً عنه : كتبت الى أبي العلاء المعري الأديب حين وافى بغداد ، وقد كان نزل في سويقة غالب :

وما ذات درّ لايحل لحالب — تناوله واللحم منها محلَّلُ

إلى آخر الأبيات المذكورة في الوفيات قال أبو الطيب : فأجابني وأملى على الرسول في الحال مرتجلاً :

جوابان عن هذا السؤال كلاهما — صواب وبعض القائلين مضلّل

الى آخر الأبيات والجواب عنها للقاضي الطبري ثم الجواب عنها للمعري [3]

وقد نقلت اللجنة هذه المساءلة الشعرية في المحاجاة من كتاب « تتمة المختصر في أخبار البشر » [4] لعمر بن الوردي مع أن ابن الوردي أخذها من الوفيات ولم يشر إلى

---

(١) الوفيات « ١ : ٤٧ »

(٢) من أغرب ما غفل عنه طائفة من المؤرخين والقراء ورود أبيات في كتاب مروج المسعودي المتوفى سنة ٣٤٥ أو سنة ٣٤٦ لأبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري المذكور المتوفى سنة (٤٥٠ هـ) ، (مروج الذهب ٢ : ٢٩٢ طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، مع أنها قد ألحقت به إلحاقاً

(٣) الوفيات « ١ : ٢٥٣ ، ٢٥٤ طبعة بلاد العجم »

(٤) التعريف بأبي العلاء « ص ٢١٢ » .

مظنها فعل ذلك على عادة القدماء المتزيدين ، وذكرها ابن ظافر الأزدي في كتابه « بدائع البدائه ص ٢٠٤ » بسنده إلى أبي الطيب طاهر الطبري

وذكر ابن خلكان أبا العلاء المعري في ترجمة أبي محمد عبد الوهاب بن علي المالكي الفقيه قال : « واجتاز في طريقه بمعرة النعمان وكان قاصداً مصر وبالمعرة يومئذ أبو العلاء المعري فأضافه ، وفي ذلك يقول من جملة أبيات :

والمالكي ابن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا النأي والسفرا

إذا تفقه أحيا مالكاً جدلاً وينشر الملك الضليل إن شعرا [١]

وذكره أيضاً في ترجمة شيخ الاسلام أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف الأموي الهكاري قال : « ولقي أبا العلاء المعري وسمع منه فلما انفصل عنه سأله بعض أصحابه عما رآه منه وعن عقيدته فقال : هو رجل من المسلمين [٢] »

وذكره ابن خلكان في ترجمة أبي علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي القاضي قال : « وأما ولده أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي فكان أديباً فاضلاً له شعر لم أقف منه على شيء وكان يصحب أبا العلاء المعري وأخذ عنه كثيراً وكان يروي الشعر الكبير [٣] »

فهذه المواضع كلها من موارد سيرة أبي العلاء المعري في الوفيات ولم تقف عليها اللجنة المذكورة ، وقد تذكرتها لأني تصفحت أكثر تراجم وفيات الأعيان ووعيت منها ما وعيت ، ولعل له ذكراً آخر في هذا الكتاب غير ما ذكروا وما ذكرت ، ويستطيع الباحث أن يقف على ذلك بالفهرست الخطي الذي صنعه له الشيخ عبد اللطيف ثنيان ومنه نسخة في خزانة كتب الآباء الكرمليين استنسخت بطلب من الأب أنستاس الكرملي وقد أهديت الى خزانة كتب المتحفة العراقية مع الكتب الأخرى

---

(١) الوفيات « ١ : ٣٣ »

(٢) الوفيات « ١ : ٣٧٧ »

(٣) الوفيات « ٢ : ١٨ » .

٢١ — وإذ تطرقت إلى المواضع التي ذكر فيها أبو العلاء استطراداً ، وهي التي سُميت طائفة منها بالشذرات في كتاب « تعريف القدماء بأبي العلاء » هذا أود أن أذكر أن عدة كتب أو فصول استطردت الى ذكره ولكنها لم تكن فيما وقفت عليه اللجنة المختارة ، فمن ذلك ما ورد في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ١ : ٤٩ » قال الخطيب : « حدثني أبو القاسم عبيدالله بن علي الرقي — وكان أحد الأدباء — قال : أخذ أبو العلاء المعري ، وهو ببغداد ، يوماً يدي فغمزها ، ثم قال لي : يا أبا القاسم هذا بلد عظيم لايأتي عليك يوم وأنت به الا رأيت فيه من أهل الفضل من لم تره فيما تقدم »[1]

وقال عزالدين عبدالحميد بن أبي الحديد في شرح قول الامام علي بن أبي طالب يصف الموتى والمقابر : « تطؤون في هامهم وتستنبتون في أجسادهم » : « قوله عليه السلام : تطؤون في هامهم أخذ هذا المعنى أبو العلاء المعري فقال :

خفف الوطء ما أظن أديم الـ ... أرض إلا من هذه الأجساد
ربّ لحد قد صار لحداً مراراً ... ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين ... من عهود الآباء والأجداد
صاح هذي قبورنا علأ الأر ... ض فأين القبور من عهد عاد ؟!
سر إن استطعت في الهواء رويداً ... لا اختيالاً على رفات العباد[2] »

وقال ابن الفوطي في ترجمة المبارك بن محمد بن محمد الساوجي : « كان فصيح الكلام ، كثير المحفوظ ، أديباً فاضلاً ، له رسائل وخطب ، أنشد لأبي العلاء المعري يرثي أباه عبدالله ابن سليمان وكان قد توفي بحمص :

إن كان أصبح مَن أهواه مطرحاً ... بباب حمص فما حزني بمطرح

(١) تاريخ بغداد « ١ : ٤٩ ، ٥٠ »

(٢) شرح نهج البلاغة « ٣ : ٤٩ طبعة مصطفى البابي الحلبي الأولى » .

لو بان أيسر ما أخفيت من جزع ... لماب أكثر أعدائي من الفرح[1] »

وقال ابن عنبة في ترجمة والد الشريف المرتضى : « وممن رثاه ولداه الرضي والمرتضى ومهيار الكاتب وأبو العلاء أحمد بن سليمان المعري رثاه بالقصيدة الفائية وهي في كتابه سقط الزند[2] »

ثم قال في ترجمة المرتضى : « وحضر بمجلسه أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري ذات يوم فجرى ذكر أبي الطيب المتنبي فتنقصه الشريف المرتضى وعاب بعض أشعاره فقال أبو العلاء : لو لم يكن له إلا قوله :

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فغضب الشريف وأمر بالمعري فسحب وأخرج فتعجب الحاضرون من ذلك ، فقال لهم الشريف : أعلمتم ما أراد الأعمى ؟ إنما أراد قوله في تلك القصيدة :

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ ... فهي الشهادة لي بأني كامل[3] »

ثم قال في عقب اسحاق بن المؤتمن العلوي : « وجمهور عقب إسحاق بن المؤتمن ينتمي الى الشريف أبي إبراهيم العالم الشاعر ممدوح أبي العلاء المعري وهو محمد الحراني ابن أحمد الحجازي ابن محمد بن الحسين بن اسحاق المؤتمن[4] »

٢٢ — وجاء في الصفحة ٢٥٦ منقولاً من نزهة الجليس للعباس المكي : « ومما يدل على تمكنه من علم الفلك وأسرار الكواكب ما حكاه ابن أبي أصيبعة في كتاب الأنباء

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ :٢٤٧ من نسختي الخطية الأولى »

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب « ص ١٨١ »

(٣) عمدة الطالب « ص ١٨١ »

(٤) عمدة الطالب « ص ٢٢٣ » جاء في سقط الزند ١ : ١٣٤ « وقال .. يجيب الشريف أبا إبراهيم موسى بن اسحاق عن قصيدة أولها :

غير مستحسن وصال الغواني ... بعد ستين حجة وثمان » .

في تاريخ الأطباء ... » وذكر قصة ، فعلقت اللاجنة عليها قولها : « لم نجد هـــذا الخبر في كتاب ابن أبي أصيبعـة » وقولهم صحيح إلا أنهم لم يفطنوا إلى أن ابن حجـلة المغربي ذكر القصة في سكردان السلطان « حاشية المخلاة ص ٤٦ طبع المطبعة الميمنيـة » قال : « حكى ابن أبي أصيبعة في كتابه الانباء في تاريخ الأطباء وغيره من أرباب التاريخ أن وزير محمود بن صالح صاحب حلب ... »

٢٣ — ومن الـكتب التي ذكرت أبا العلاء ولم تعرفها اللاجنة كتاب « زهر الربيع » « للسيد نعمة الله الجزائري ، كما جاء في الصفحتين ٥٤ ، ٣٤٨ منه ففي الصفحة الاولى قال مؤلفه : « في الأثر أن أبا العـــلاء المعري كان يتعصب لأبي الطيب ، فحضر يوماً مجلس المرتضى ... » وذكر الحـكاية المشهورة التي لا يمكننا تصديقها ، وقال في الصفحة الثانية : « أبو العلاء المعري كان ملحداً ، فقال في الاعتراض على حكمة الباري ـ سبحانه وتعالى ـ :

يد بخمس مئين عـــجداً فديت ... ما بالهـا قطعت في ربع دينـار

وأول من أجابه علم الهدى المرتضى طاب ثراه :

عز الأمانة أغـلاها وأرخصهـا ... ذلُّ الخيانة فافهم حكمة الباري

وأجابه الشافعي (كذا) ثانياً

هناك مظلومـة غالت بقيمهـا ... وهاهنا ظلمت هانت على الباري »

ولأبي العلاء ترجمة حسنة في كتاب « روضات الجنات » لمحمد باقر الخوانساري « ص ٧٣ » قال أولها : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث القضاعي التنوخي البحراني (كذا) ... »

٢٤ — وجاء في الصفحة ٢٩٣ نقل من معجم الأدباء لياقوت الحموي في مادة « جبُّـل » فيه ذكر لأبي العلاء المعري بسبب الـكلام على سيرة أبي الخطاب محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبُّـلي الشاعر ، ولم تذكر اللاجنة ترجمة لهذا الشاعر الذي اتصل به أبو العلاء مع أن

الخطيب البغدادي قد ترجمه في تاريخه قال :

« محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم أبو الخطاب الشاعر المعروف بالجبلي ، كان من أهل الأدب ، حسن الشعر ، فصيح القول ، مليح النظم ، سافر في حداثته الى الشام فسمع بدمشق من أبي الحسين المعروف بأخي تبوك ثم عاد الى بغداد وقد كف بصره ، فأقام بها إلى حين وفاته ... قال لي أبو القاسم الأزهري : كان أبو الخطاب الجبلي معي في المكتب فكان أحسن الناس عينين ، كأنهما نرجستان ثم سافر وعاد إلينا وقد عمي ... وقيل إنه كان رافضياً شديد الترفض ... سمعت منه الحديث وعلقت عنه مقطعات من شعره ... أنشدنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال : أنشدنا أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري [1] لنفسه يجيب أبا الخطاب الجبلي عن أبيات كان مدحه بها عند ورود معرة النعمان :

أشفقت من عبء الزمان وعابه	ومللت من أري الزمان وصابه
ووجدتُ أحداث الليالي أولعت	بأخي الندى تثنيه عن آرابه
وأرى أبا الخطاب نال من الحجى	حظاً رواه الدهر عن خُطّابه
لا تطلبنَّ كلامه متشابهاً	فالدر ممتنع على طُلابه
أثنى وخاف من ارتحال ثنائه	عني فقيّد لفظه بكتابه
كلم كنظم العقد يحس تحته	معناه حسن الماء تحت حبابه
فتشوفت [2] شوقاً إلى نغماته	أفهامنا ورنت إلى آدابه
والنخل ما عكفت عليه طيوره	إلا لما علمته من إرطابه
ردّت لطافته وحدة ذهنه	وحش اللغات أوانساً بخطابه

(١) في الأصل أي تاريخ الخطيب « للقرى » وهو تصحيف من النساخ أو الطابعين

(٢) في الأصل « فتشوقت » ولا محل له

والنحل يجني المرّ من نور الرُّبا ... فتصير شهداً في طريق رضابه
عجب الأنام لطول همة ماجد ... أوفى بـه قصر وما أزرى به
سهم الفتى أقصى مدىً من سيفه ... والرمح يوم طعـانه وضرابـه
هجر العراق تطربـاً وتغربـاً ... ليفوز من سمط العلا بغرابـه
والسمهرية ليس يشرف قدرها ... حتى يسافر لدنها عن غابـه
والعضب لا يشفي امرأً من ثاره ... إلا بعقـد نجاده وقرابـه
والله يرعى سرح كل فضيلة ... حتى يروّحـه إلى أربابـه
يا من له قلم حكى في فعله ... أيم الغضـا لو لا سـواد لعابـه
عرفت جدودك إذ نطقت وطالما ... لفظ القطـا فأبان عن أنسابه
وهززت أعطاف الملوك بمنطق ... رد المسـنّ إلى اقتبـال شبابـه
ألبستني حلل القريض ووشيه ... متفضـلاً فرفـلت في أثـوابـه
وظلمت شعرك إذ حبوت رياضه ... رجلا سواه من الورى أولى بـه
فأجات عنه مقصراً عن شأوه ... إذ كان يعجز عن بلوغ ثوابه

مات أبو الخطاب في ليلة الاثنين ودفن في يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة [(١)] »

٢٥ — وجاء في الصفحة ٤٠٣ اسم ابن القيسراني الشاعر المشهور « أبي عبد الله محمد ابن نصر بن صفير بن داغر » هكذا بالفاء في « صفير » وأثبت في الفهرست بصورة « محمد ابن نصر بن صفـير بن داغر » بالفاء أيضـاً ، والصواب « صغير » بالغين المعجمة ، قال جمال الدين بن الصابوني في مستدركه في الأنساب والألقاب والأسماء : « وذكر ابن نقطة في باب (صغير) بفتح الصاد المهملة بعدها غين معجمة مكسورة رجلين وأغفل ذكر الأديب

(١) تاريخ بغداد « ٣ ، ١ — ١ ٠٣ » .

الفاضل أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن خالد الخالدي المخزومي المعروف بابن القيسراني الحلبي [٤] ... » وذكر ترجمته وتراجم المشهورين من ذرية (صغير) وكانوا كبراء وقد غفلت اللجنة عن الاحالة بترجمته على معجم الأدباء « ٧ : ١١٢ » ومرآة الزمان « ٨ : ٢١٣ » وتاريخ ابن القلانسي « ص ٣٢٢ » ووفيات الأعيان « ٢ : ١٢٠ » والنجوم الزاهرة « ٥ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ » والكامل في سنة ٥٤٣ وسنة ٥٤٤ ، وإن كانوا أحالوا على شذرات الذهب وفي الشذرات إحالة على الوفيات

٢٦—وجاء في الصفحة ٤١٧ منقولاً من بغية الوعاة للسيوطي : « عبدالله بن سعيد بن مهدي الخوافي أبو منصور الكاتب صنف كتاب خلق الانسان على حروف المعجم ورجمة العفريت ردّ فيه على المعرّي » قلنا : الصحيح « رجم العفريت » قال الصلاح الصفدى : « عبد الله بن سعيد بن مهدى الخوافي أبو منصور الكاتب قدم بغداد أيام العميد الكندري واستوطنها الى أن مات ، [سنة] ثمانين وأربعمائة ، وكان أديباً فاضلاً فرضياً حاسباً كاتباً ظريفاً شاعراً حسن المعرفة باللغة له فيها مصنفات منها كتاب (خلق الانسان) على حروف المعجم وكتاب (رجم العفريت) رذ فيه على أبي العلاء المعرّي ، في عدة متصنفات ، ورسالة الربيع المورق الى الشتاء المحرق (كذا)

ومن شعره :

فلا تيأس إذا ما استد باب ... فأرض الله واسعة المسالك
ولا تجزع إذا ما اعتاص أمر ... لعلّ الله يُحدث بعد ذلك

ومنه :

زففتُ إليه من بكري عروساً ... وصغت من البيان لها رعاثاً
فقبّلها وقلّبها ولما ... طلبتُ المهر طلقها ثلاثا

(١) تكملة إكمال الاكمال « ص ٢٤ ، ٢٤١ » طبعة المجمع العلمي العراقي

ومنه في البرغوث :

وأحدب ضامر يسري بليل ... إلى النوام مفتر الجفون

تقله الثلاثون انتصاراً ... إلى التسعين في أثر المنون (كذا)

ومنه :

سأحدث في متون الأرض حرباً ... وأركب في العلا غبر الليالي

فإما في الثرى وبسطت عذراً ... وإما في الثريا والمعالي[1] »

٢٧ — وعلقوا في الصفحة ٤٨٣ ترجمة كمال الدين عمر بن العديم مُحالاً بها على معجم الأدباء والبداية والنهاية والشذرات والفوائد البهيّة في تراجم الحنفية . وغفلت اللجنة عن كتاب « الجواهر المضية في طبقات الحنفية « ١ : ٣٨٦ » وهو من أخص الكتب بترجمته ومن أقدمها

٢٨ — وجاء في الصفحة ٥٠٠ ذكر « أبي الخطاب عمر بن محمد العُليمي » فعلقت اللجنة به قولها : « نسبته الى عليم بهيأة التصغير ، وهو بطن من عذرة ، وقد ذكره السمعاني في الورقة ٣٦٧ قال : « وصاحبنا أبو جعفر (كذا) عمر بن محمد العليمي الدمشقي » واجترؤوا بذلك مع تصحف « حفص » إلى جعفر عليهم ، لأن العادة جرت عند المسلمين القدماء أن يكنُوا عمر بأبي حفص لا بأبي جعفر إلا أن نسخة الانساب المطبوعة كثير الغلط والتصحيف وهو في ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي « أبو الخطاب » وكذلك في تاريخ ابن النجار البغدادي ، وفي النجوم الزاهرة والشذرات أنه توفي سنة ٥٧٤ هـ[2]

٢٩ — وجاء في الصفحة ٥٠٥ ذكر « أبي المواهب بن صصرى » وذكر أخيه « أبي القاسم الحسين بن هبة الله بن صصرى » فعلقوا على الأول قولهم « الحافظ أبو المواهب

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦٦ » الورقة ٤٢ ، ٤٣ »

(٢) حاشية تكملة إكمال الاكمال « ص ١٧٨ — ١٨٠ » .

الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن حسن المعروف يابن صصرى ، توفي سنة ٥٨٦ انظر تذكرة الحفاظ ٤ : ١٥٢ » ولم يعلقوا على الثاني بشيء ، وكان أبو القاسم هـذا محدثاً مشهوراً جمع لنفسه مشيخة في سبعة عشر جزءاً وروى كثيراً وكان ثقة صالحاً ويلتبس اسم « الحسين » باسم أخيه الحسن كما وقع لطابعي النجوم الزاهرة « ج ٦ ص ٢٧٢ » في وفيات سنة ٦٢٦ وهي سنة وفاة أبي القاسم الحسين لا وفاة الحسن [1]

وخلاصة القول في هذا الباب أنّ اللاجنة قد فاتها كثير من تراجم الرجال المذكورين في هذا السفر الجليل

٣٠ — وجاء في الصفحة ٥٥٤ قول كمال الدين عمر بن العديم : « وقفت على "كتاب سيّره [إليّ] بعض الرؤساء بحلب وضعه الشريف أبو علي المظفر بن الفضل بن يحيي العلوي الاسحاقي الحسيني نزيل بغداد ورد هذا الشريف علينا حلب زائراً أهله بها ، فذكر في الكتاب قال : حدثني والدي ... » وقصّ قصّته ، ولم تعلّق اللاجنة على هذا الموضع شيئاً ، مع احتياجه الى الايضاح ، فالكتاب الذي أشار اليه ونقل منه هو كتاب « صرف المعرّة عن شيخ المعرّة » قال أبن عنبة في الكلام على بني زهرة العلويين : « فمن بني أبي سالم محمد : بنو زهرة ... وهم بحلب سادة نقباء علماء فقهاء متقدمون ـ كثرهم الله تعالى ـ ومن أبي عبد الله جعفر بن إبراهيم : بنو حاجب الباب وهو شرف الدين أبو القاسم الفضل ابن يحيي بن أبي علي بن عبد الله نقيب حلب ابن جعفر بن أبي تراب زيد بن جعفر المذكور وهو السيد العالم حافظ كتاب الله ، كان حاجباً لباب النوبي [2] بدار الخلافة ببغداد ... ومن بني حاجب الباب السيد العالم أبو علي المظفر ابن حاجب الباب المذكور صاحب كتاب

---

(١) حاشية تكملة إكمال الاكمال « ص ٣٦ »

(٢) في طبعة الهند من عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب (ص ٢٢٣) باب الفتوني وهو تصحيف وإنما سمي باب النوبي لأن أول حاجب استحجب عليه كان نوبياً « المنتظم ١ : ٢٠٣ » .

صرف المعرّة عن شيخ المعرّة ، تعصب فيه لأبي العلاء المعري وذكر بعض ما يطعن به عليه وأجاب عنه » [1]

وللشريف المظفر هـــذا كتاب « نُصرة الاغريض في نصرة القريض » المشهور ألفه للوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد ابن العلقمي ، ومنه عـــدة نسخ في خزانة كتب العالمين كخزانة دار الكتب الوطنية بباريس

وأما الشريف أبو ابراهيم فقد تقدم ذكره في هذا النقد

٣١ — وعلقت اللجنة في الصفحة ٥٣٣ إيضاحاً لسيرة ابن القارح علي بن منصور الحلبي الملقب دوخلة ، وقالت فيما قالت : « ويروى أنه كان مؤدباً للوزير المغربي وله فيه هجو كثير قال ياقوت : وكان آخر عهدي في تكريت سنة ٤٦١ » ، ولم تسائل اللجنة نفسها كيف يكون مؤدباً للوزير أبي القاسم المغربيّ المتوفى في الربع الأول من القرن الخامس للهجرة ، وكيف يراه ياقوت المتوفى في الثلُث الأول من القرن السابع للهجرة ، وبين التاريخين زهاء قرنين ؟! أجل جاءَ في معجم الأدباء « ٥ : ٤٢٤ » طبعة مرغوليوث : « قال ابن عبد الرحيم : هو شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد ... وكان آخر عهدى به بتكريت سنة ٤٦١ فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا وأقام عندنا مدّة ثم توجه الى الموصل وبلغتني وفاته من بعد ... »

فالقائل هو ابن عبد الرحيم الوزير الأديب المشهور عند مؤرخي الأدب العربي قدمائهم ومحدثيهم ، وقد نقل ياقوت من كتابه في «الشعراء المعاصرين له » مراراً في معجم الأدباء ، والتاريخ المذكور في نسخة معجم الأدباء المطبوعة ـ أعني سنة ٤٦١ ـ خطأ أيضاً ، لأن ابن عبد الرحيم لم يبق الى هذه السنة، وأخطأ مؤلف كشف الظنون في « طبقات الشعراء »قال : « وصنف أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الوزير المتوفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

(١) عمدة الطالب « ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ » .

(كذا) » فلا يصح تاريخ الوفاة هذا فابن الأثير يقول في حوادث سنة ٤٢٧ « وفيها قبض على الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم وزير جلال الدولة وهي الوزارة السادسة » ثم قال في حوادث سنة ٤٣٩ : « وفيها توفي عميد الدولة أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم بجزيرة ابن عمر في ذي القعدة وله شعر حسن ووزر لجلال الدولة عدة دفعات » وعلى هذا ينبغي أن يكون التاريخ الوارد في معجم الأدباء ٤٢١ أو ٤٣١ هـ إلا أن محب الدين ابن محمد بن النجار البغدادي أثبت أنه سنة « ٤٢١ هـ » قال :

« علي بن منصور بن طالب أبو الحسن الملقب دوخلة ، أديب فاضل ، شاعر ، راوية للاخبار ، يعلم ألاد الأكابر ، قدم بغداد وصحب أبا علي الفارسي النحوي وأقام مدةوروى بها شيئاً روى عنه من أهلها أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي قرأت على أبي بكر الهاشمي عن محمد بن عبد الباقي أنبأنا أبو محمد التميمي إذناً أنشدنا أبو الحسن الحلبي المؤدب ـ وذكر أنه مؤدب الوزير المغربي ـ أنشدنا الوزير المغربي لنفسه :

قطعت الشام في شهري ربيع ... إلى مصر وعدتُ إلى العراق
فقال لي الحبيب وقد رآني ... سبوقاً المضمّرة العتاق
سريت على البراق فقلت كلا ... ولكني سريت على اشتياقي

قرأت في كتاب الشعراء وأخبارهم للوزير أبي سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم قال : أبو الحسن علي بن منصور بن طالب الحلبي يلقب دوخلة ، شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد ، راوية للأخبار ، وحافظ لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار ، وقؤوم بالنحو ، وكان ممن خدم أبا علي الفارسي في داره وهو صبي ثم لازمه وقرأ عليه، على زعمه ، جميع كتبه وسماعاته ، وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر وكان يحكى أنه كان مؤدباً لأبي القاسم المغربي الذي ورد بغداد ، وله فيه هجو كثير ، وكان يذمّه ويعدد معايبه ، وشعره يجري مجرى شعر المعلمين ، قليل الحلاوة خال من الطلاوة ، وكان آخر عهدي به

بتكريت في سنة إحدى وعشرين واربعمائة فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا وأقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل وبلغتني وفاته من بعد ، وكان يذكر أن مولده بحلب سنة إحـــدى وخمسين وثلاثمائة ، ولم يتزوج ولا أعقب فما أنشدنيه لنفسه في الشمعة :

لقد أشبهتني شمعة في صبابتي وفي طول ما ألقى وما أتوقع
نحول وحرق في فناء ووحدة وتسهيد عين واصفرار وأدمع[1] »

٣٢ — وإني خاتم هذه التنبيهات التي لم أر بدأً من ذكرها عما ورد في بحار الأنوار للعلامة المجلسي قال ناقلاً : « أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري ، ولد يوم الجمعة مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . وحلّ أول سنة سبع وستين بيمنى حدقتيه بياض ، وذهبت اليسرى جملة ، ورحل الى بغداء سنة ثمان وتسعين ودخلها في سنة تسع وتسعين وتوفي المعري بين صلاة العشاءين من ليلة الجمعة من ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة[2] »

وهذا الخبر مما فات اللجنة الفضلاء المؤلفة لنشر آثار أبي العلاء كالأخبار التي نقلتها والتي أشرت اليها آنفاً والله تعالى المسدّد للرشاد ، الموفق للصواب

مصطفى جواد

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ٤٦ » .
(٢) بحار الأنوار « ج ٢٥ ص ١٤ »

تأريخ الأدب العربي

لكارل بروكلمن

تأريخ الأدب العربي لكارل بروكلمن [1] ، مرجع مهم لكل باحث في تأريخ الحركة الفكرية عند العرب منذ صدر الاسلام الى أيامنا الحاضرة ضم وجيزاً مركزاً لسير العلماء والأدباء ، وحوى أسماء أكثر المؤلفات المطبوعة والمخطوطة وأسماء مظانها وأماكن وجودها اذا كانت مخطوطة

وقد كان من لا يحسن الألمانية من الباحثين والمطالعين يودون لو نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية ، ويلحفون في ذلك الحافاً ، الى أن بان لهم بريق الأمل بظهور جزء من أجزاء ستكون عديدة كثيرة ولا شك ، للكتاب الأصل المؤلف في جزءين وللملاحقه العديدة التي تزيد على الأصل عـدة أضعاف ويقع هذا الجزء المترجم في (٣٢٠) صفحة من الحجم الوسط ، وقد طبع على مطابع « دار المعارف » بمصر طبعاً أنيقاً فنياً مغرياً يدفع الانسان الى مطالعته والتهامه ، بنفقة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية أما معرب الكتاب وناقله ، فالدكتور عبد الحليم النجـار ، من خريجي الجامعات الألمانية وهو زميل لي ، عشت معه زمناً في « برلين » ، ودرسنا معاً في معهد واحد اللغة الألمانية هناك ، وهو من الأساتذة الأزهريين الفضلاء المتعمقين في الدراسات الاسلامية ، وقد سبق له أن نقل كتاباً للمستشرق « اكناتس كولدتسهير » ، في « مذاهب التفسير الاسلامي » ، وله بحوث ودراسات لذلك سررت جداً بشروعه في ترجمة هذا الكتاب وبادرت لاقتناء الجزء الذي اصدره منه ، فراجعته مراجعة عابرة لضيق الوقت عن مطالعته كله من ألفه الى يائه ومقابلته

---

(١) Carl Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur.

على الأصل ، فتجمعت لدي من هذه المراجعة ملاحظات سريعة عاجلة رغبت في عرضها على السيد الدكتور لعلها تفيده يوم يشرع في تقديم الأجزاء الباقية الى المطبعة ، وعلى القرّاء لعلها تفيدهم في تصحيح ما سأذكره من هذه المراجعات إن أصبتُ فيها شاكلة الصواب

سار المترجم في كتابة الأعلام الأجنبية على الطريقة المصرية في النطق بالحروف ، فكتب : اسم أوگست « August » « أوجست » ، وگايگر « Geiger » « جايجر » وفرايتاگ « Freitag » « فرايتاج » ، وهكذا وهذه كلها أسماء ألمانية ، ينطقها الألمان بالگاف لا بالجيم وقد كان على الدكتور كتابة الأعلام بطريقة النطق المألوفة في اللغة الأصلية التي ينتمي اليها الشخص ، ووفقاً للطريقة الشائعة في العربية فليس كل العرب كالمصريين ينطقون « الجيم » « گافاً » ثم ان حرف « الكاف » في العربية قريب من ال « G » المستخدم في هذه الأسماء الألمانية أو في اللغات الأجنبية الأخرى ولما كانت لغة الكتاب لغة عربية فصيحة كتبت للعالم العربي كله ، لا لقطر واحد منه كان على المترجم تذكر ذلك وكتابة الحرف وفقاً لأبجدية القرآن الكريم ، أي بالكاف وقد أوقع كثير من الكتاب المصريين اخوانهم في البلاد العربية في اغلاط من ناحية التلفظ بأسماء المستشرقين التي يرد فيها هذا الحرف ، فقرؤوه ونطقوا به « جيماً » دون ان يفطنوا الى أن المصريين أرادوا بالجيم حرف « الگاف » « الكاف » ، على طريقة نطقهم ومن هذا القبيل اسم « گوته » الشاعر الألماني المعروف ، انقلب الى « جوته » ، وصار ينطق به كذلك حتى المثقفون ، مع أنه بالگاف لا الجيم وانك لو لفظته « جوته » ، أمام الماني ، فإنه لن يعرفه من دون شك ، للتحريف الداخل عليه

ومن هذا النمط تسمية المترجم الكتاب المشهور المعروف عند الفرس بـ « تأريخي گزيده » « تاريخ جزيده » ، ذلك لأنه ورد على هذه الصورة « Tarihi Guzida » في النص الألماني ، مع أنه من الكتب التأريخية الفارسية المعروفة المطبوعة بالأبجدية العربية المستعملة عند الفرس ، وهو بحرف « الگاف » فيجب إبقاؤه كما هو ولو بحرف الكاف

بدلاً من حرف « الـگاف » الفارسي ثم إن الدكتور كتبه على هـذا النحو : « تاريخ جزيدة » ، بينما كان عليه أن يكتبه « تاريخي كزيده » كما هو في الفارسية ، وكما هو مضبوط في النص الألماني أيضاً [1] ، إذ لا يجوز التصرف بالأعلام وقد وقع الدكتور في هفوات أخرى على هذا النحو منها تدوينه اسم « عليكرة » عليكرد ، على هذه الصورة « عليجرة » [2] ، مع أن هذا الاسم مضبوط على النحو الذي كتبته وبالحروف العربية فلا يمكن تبديله وفقاً للنطق المصري والظاهر أن اعتماد الدكتور على الاسم مكتوباً بالحروف اللاتينية ، هو الذي دفعه الى الوقوع في هذا الوهم ولو راجع أحداً من الواقفين على اسماء شبه جزيرة الهند وعلى فهارست المخطوطات لهداه الى ذلك في الحال لأن الاسم شائع معروف

ومن هذه الهفوات تسرعه في النقل ، فقد جعل كتاب « روضات الأئمة » ، « روضة الأئمة » ، وانما هو بالجمع أي « روضات » لا « روضة » ، وكذلك ورد مضبوطاً في الأصل الألماني [3] والكتاب معروف ، ومطبوع بالحروف العربية ، فلا عذر لإدخال أي تغيير عليه كذلك سمى كتاب « روضات الجنات » « روضة الجنات » ، أي بإفراد روضة في كل مكان ورد ذكره فيه ، وهو خطأ بالطبع ، مع وروده في شكل مضبوط صحيح في الأصل الألماني [4]

وكتاب « روضات الجنات » هذا كتاب مهم من كتب التراجم المعروفة المشهورة ، يقع في أربعة مجلدات ، وقد اعتمد « بروكلمن » عليه في مواضع عديدة من كتابه ،

---

(١) راجع النص المعرب (ص ٢٥٩) ، وقارنـه بالنص الألماني الوارد في (ص ١٠٤) من الملحق : Suppl., I, S. 104.

(٢) الصفحة (٢٣) وكل الصفحات الأخرى التي ورد فيها هذا الاسم من الكتاب

(٣) راجع النص المعرب (ص ٢٥٩) ، وقابله بالنص الألماني الوارد في : Suppl., I. S. 104

(٤) مطبوع في ايران على الحجر ، راجع الصفحة (١٧٥) و (٢٦٠) و (٢٩٧) من التعريب ، وقابلها بالصفحة (١٠٥) من النص الألماني : Suppl., I, S. 105.

وتحدث عن مؤلفه « محمد باقر بن محمد نقي الموسوي الخونساري » المتوفى سنة (١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م) ، في الصفحة (٨٢٨) من الملحق الثاني المطبوع سنة ١٩٣٨ م والخونساري من علماء الشيعة المعروفين ، ومن الغريب أن الدكتور المترجم نسب كتابه هذا الى اليافعي ، وذلك في ص ٢٩٧ من الفهارست ، حيث كتب « روضات الجنات لليافعي : ١٧٩ ، ٢٠٦ » ولا أدري كيف نسبه الى اليافعي ، ومن اين جاء بهذه النسبة ، وليست بين الرجلين نسبة وعلاقة ، مع وجود ترجمة المؤلف الخونساري في النص الألماني كما ذكرت واشارته الى الصفحات التي رجع اليها في روضات الجنات ، وهي صفحات مدونة في النسخة المطبوعة طبعاً حجرياً بايران وعليها اسم المؤلف [1]

وفي الرقم ٢٠٦ المذكور في الفهارست خطأ مطبعي ، كان على المترجم أن ينتبه اليه ويتلافاه ، فانه (٢٦٠) في النص المترجم

وقد تصرف الدكتور بعض التصرف في تدوين الأعلام فصير من « الأب أنطون الصالحاني اليسوعي » ، وهو من الآباء اللبنانيين المعروفين ، رجلاً مسلماً ، إذ سماه « أحمد الصالحاني [2] » وهو ناشر ديوان الأخطل وقد أوقعه في هذا الخطأ استعجاله ، إذ وجد النص الألماني مدوناً على هذه الصورة :

« Le-diwan d'al-Ahtal, ed. Par P A. Salhani » [3]

فظن أن (A) ، وهو الحرف الأول من « أنطون » هو « ألف » ، وأنه الحرف الأول من « أحمد » وقد كان على الدكتور أن ينتبه الى حرف (.P) الذي ورد قبل (.A) . وتعني الأب وأن يسأل المطلعين على الأدب ، فديوان الأخطل معروف ، وقد دون عليه « انطون

(١) وتجد ترجمته في كتاب أحسن الوديعة ، (ص ١٢٦ وما بعدها) والذريعة (١/ ٢٨٨) ، والأعلام (٦/ ٢٢٣)

(٢) الصفحة (٢٠٨) « ونشر أحمد الصالحاني ، نسخة من الديوان تصويراً بالحجر ... »

(٣) راجع النص الألماني

الصالحاني اليسوعي » ، ناشره في بيروت ، والصالحاني بحّاثة نصراني معروف [1] ومن الآباء وقد نشر أيضاً تأريخ ابن العبري ، المؤرخ النصراني الشهير

ومن هـذا القبيل ، جعله والد « يوحنا » ، المعروف بـ « أسعد الصعبي » ، رجلاً مسلماً اسمه « أحمد الصعبى » [2] فصيره على هذا النحو : « يوحنا بن أحمد الصعبي » . مع أن المؤلف قد ذكر الاسم كاملاً بالضبط لا بالرمز [3] ثم إن العرف الجاري لا يقبل مثل هذه التسمية : « يوحنا بن أحمد » ، فهي تلفت النظر والواقع أن هذا الشذوذ فيالتسمية هو الذي دفعني الى الملاحقة حتى الاهتداء الى الحقيقة وقد أشار المترجم الى (الصفحة ٧١) من الترجمة ، فراجعت هذه الصفحة فلم أجد الاسم فيها ، ولم اصل اليه إلا بعد رجوعي الى الفصل والموضوع فوجدته في (الصفحة ٧٠) ، ووجدت الإسم مضبوطاً هناك ضبطاً صحيحاً ومعنى هذا أن المترجم قد أخطأ في الفهرست خطأين خطأ تحويل أسعد الى أحمد ، وخطأ جعل الـ (٧٠) (٧١)

وضبط الدكتور المترجم نسبة أحد محدثي الشيعة الاثنى عشرية البارزين — وهو محمد ابن يعقوب بن اسحاق الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ (أو ٣٢٩) للهجرة — على هذه الصورة « الكوليني » [4] وهو تصرف خاطئ وقع فيه من جراء وهمه أن حرف الـ (u) الوارد في النص الألماني (Kulīnī) هو « و » ، بينما هو ضم ، وقد كان في امكانه الرجوع الى كتابه « الكافي في علم الدين » وهو من أشهر كتب الحديث الصحاح عند الشيعة ، كما كان في امكانه الاستفسار من كثير من علماء مصر عنه ، والرجوع الى كتب الرجال عند الشيعة

(١) « عني بطبعه لأول مرة وعلق حواشيه الأب أنطون صالحاني اليسوعي » ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية

(٢) راجع الصفحة (٢٨٨)

(٣) الصفحة (٥٠) من الملحق الأول

(٤) (ص ٢٦)

وتجد فيها ترجمته [١]

وضبط الدكتور عنوان « فهرست مدرسة سپهسالار » ، بطهران على هذه الصورة :
« طهران : دانشكدة معقول ومنقول فهرست كتبخانه مدرسة عالي سپهسالار : جلد اول كتب خطي فارسي وعربي تأليف ابن يوسف شيرازي ، طهران أزسال ١٣١٣ تا ١٣١٥ « مطبعة مجلس بنجاب رسيدن » [٢] وفي هذا الضبط أغلاط عديدة ، كان من الممكن تلافيها لو تفضل فراجع النص الألماني مراجعة دقيقة وراجع عنوان فهرست المكتبة المذكورة المدون بحروف عربية على هذه الصورة : « طهران : دانشكده معقول ومنقول فهرست كتابخانه مدرسه عالي سپهسالار جلد أوّل كتب خطي فارسي وعربي تأليف ابن يوسف شيرازي ، طهران ، ازسال ١٣١٣ تا ١٣١ در مطبعهٔ مجلس بجاب رسيد [٣] »
وهذا النص يختلف في الضبط عن النص المدون في ترجمة الدكتور النجار ومردّ هذا الاختلاف الى قلة تدقيق الدكتور في نقله العنوان من النص الألماني الى اللغة العربية ، والى عدم وقوفه على الفارسية وقد وقع كذلك في الخطأ في كل موضع ورد فيه اسم المكتبة حيث ذكره على هذه الصورة : « سپه سلار » [٤] ، أي بشكل يختلف عن ضبطه للاسم لأول مرة حيث ذكره « سبهسلار » وعن الضبط الصحيح وهو « سپهسالار » وقد كان في امكانه تجنب ذلك كله لو راجع النص الفارسي وهو كثير الوجود في مكاتب القاهرة ولا شك ، وراجع النص الألماني نفسه ونقل منه بتدقيق وامعان وعناية

(١) « الكليني » ، « بضم الكاف وإمالة اللام » و « بضم أوله وكسر اللام » ، اللباب (٣/٤٩)، فهرست الطوسي (١٣٥) ، أحسن الوديعه (٢/٢٢٦) ، الاعلام (٨/١٧) ، السمعاني (٢٨٦) ، النجاشي (٢٦٦) ، Suppl., I, S. 320.

(٢) الصفحة ٢٢ من النص المعرب

(٣) راجع النص الفارسي

(٤) الصفحات (١٨٢ وما بعدها)

ومن هذه الأخطاء ما ورد في ص (٢٦٤) من النص المترجم : « وقيل إن ما سرجيس (أو ما سرجويه) اليهودي ترجم كتاب القس هارون في الطب لمروان ، وقيل لعمر بن عبد العزيز » أما النص الألماني ، فهو على هذه الصورة :

« Für Marwân n. a für 'O. b. 'abdal 'Aziz übersetzte der Jude (?) Màsergis (Masergoya) das Medizinische Buch des Presbyters ' quss) Aharon ins Arabische » [1]

وترجمته : « ولمروان أو لعمر بن عبد العزيز ، ترجم اليهودي (؟) ما سرجيس (ما سرجويه) ، كتاب القس أهرن في الطب » فصير اسم القس « أهرن » هارونا ، مع أن هذا الشخص من المعروفين المشهورين وقد تحدث عنه ابن النديم في « الفن الثالث من المقالة السابعة » وورد اسمه في كتب أخرى ، ولا أدري كيف صيره المعرب هارون .

ولاحظت أن الدكتور قد تصرف في بعض العناوين العربية أيضاً ، مثل قوله في (ص ٢٥٢) : (وهناك كتاب منحول في حديث ذي الكفل ، وينسب الى كعب الأحبار وطبع في بولاق ١٢٨٣ هـ) أما النص الألماني فهو :

« Ein apokryphes Hadith Dil-Kifl 'an Ka' b al-ahbàr ist Bulâq 1283 gedruckt »

ويجب أن تكون ترجمته : « من المنحولات : حديث ذي الكفل عن كعب الأحبار المطبوع ببولاق ١٢٨٣ هـ) وجملة : « حديث ذي الكفل عن كعب الأحبار) ، هي عنوان الأثر المطبوع ولا يجوز التصرف في العناوين والأسماء

ومن هذا القبيل أيضاً ما ورد في (ص ٢٥٣) من النص المعرب عن دغفل بن حنظلة السدوسي النسابة البكري : « دغفل بن حنظلة السدوسي النسابة البكري أدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يسمع منه ووفد على معاوية ، وقتلته الأزارقة ويقول ابن

(١) Suppl., I. S, 106. ، راجياً العفو عن تقصير المطبعة في عدم اظهار الحروف الألمانية بالشكل العلمي الموجود في الأصل الألماني ، في هذا المكان وفي الأماكن الأخرى لعدم وجودها لدينا

النديم : لا كتاب له ولكن روى عنه كتاب التحفة البهية (طبع استانبول ١٣٠٢ ص ٣٨) خطبة للنابغة الذبياني من كتاب له بعنوان : التظافر والتناصر ، وهو يشتمل على مجالس له عند معاوية » وهذه الترجمة تختلف عن النص الألماني الوارد في (ص ١٠١) من الملحق رقم (١) وهو فيه على هذه الصورة :

« I : D. Dem Dagfal b Hanzala as-Sadusi an-Nassāb al-Bekri (Fihrist 89) wird ein K. at-Tazafur wattansur wahwa Magalis ʻinda Mo ʻāwiya Zugeshrieben, aus dem in at-Tuhfa al-bahiya (Stanbul 1302) S 38. eine Rede an-Nabiga ad-Dubyanis Zitiert Wird »

والذي يعرف الألمانية يرى أن بين النصين بونا واختلافاً ، وأن الترجمة يجب أن تكون على هـــذا الشكل : (١ ـ د . ونسب الى دغفل بن حنظلة السدوسي النساب البكري (الفهرست ٨٩) كتاب التظافر والتناصر ، وهو مجالس عنــد معــاوية وفي التحفة البهية (استانبول ١٣٠٢ ص ٣٨) خطبة النابغة الذبياني نقلت منه) أي من الكتاب المذكور ونجد بين النصين تفاوتاً بسبب إدخال جمل أخذت من الفهرست لم ترد في النص الألماني ، لاكتفاء المؤلف الألمـــاني بالأشارة الى المورد وهو « الفهرست ص ٨٩) ، وتصرفا في عنوان الكتاب مخلا ، ماكان على المترجم التصرف فيه ، لأنه عنوان ونجـد تساهلاً في الترجمة ابتعدت بالمترجم عن الأصل وقد راجعت الفهرست فوجدته يختلف أيضاً عن الذي ذكره المترجم ، إذ ورد في الفهرست على هذا النحو : « دغفل بن حنظلة السدوسي أدرك النبي ، ﷺ ، ولم يسمع منه ووفد على معاوية فأتاه قدامة بن ضرار القريعي ، فنسبه دغفل ، حتى بلغ أباه الذي ولده فقال : وولد ضرار رجلين أما أحدهم فناسك ، وأما الآخر فشاعر ، فأيهما أنت ؟ فقال : أنا الكناني السفيه ، وقد أصبت في نسبي وكل أمري فأخبرني متى أموت ؟ قال : ليس ذاك عندي وقتلت دغفل الشراة ، ولا مصنف له »

ونرى مما تقدم أن المترجم ، نقل من الفهرست الى كلمة معاوية ، وأهمل الباقي الى آخر خبر قدامة ثم عاد فنقل من الفهرست خبر مقتله وعدم وجود مصنف له ، فنقل خطأ إذ قال : قتلته الأزارقة أما ابن النديم ، فقال : وقتلت دغفل الشراة وكان عليه التقيد بنص الفهرست ما دام قد نقل منه ، كما كان عليه اثبات جملة : « ولا مصنف له » ثم الاشارة بعد ذلك الى المورد كما هو في الأصل الألماني لا أن يقول : « ويقول ابن النديم : لا كتاب له » وفي العبارة خروج واضح عن النص الألماني ، وخروج عن الأسلوب العربي البليغ في التعبير وقد استعمل لفظة « كتاب » بدلا من « المصنف » وهي لفظة لم يستعملها ابن النديم ، وهي تختلف عند العلماء عن لفظة مصنف الواردة في الفهرست

وقد لاحظت أن الدكتور لم يتقيد بالنص الألماني تقيداً تاماً ، فحذف جملا ، وزاد كلمات أو جملاً على النص بقصد الايضاح ، كما أنه حذف أرقاماً تدل على الصفحات أو أجزاء الكتاب ، وهو عمل مخالف لأصول الترجمة . وقد كان عليه التقيد بالنص ، والمحافظة على الأصل الألماني محافظة تامة ، وعدم اضافة شيء اليه أو إخراجه منه وقد يكون عذر المعرب عدم فائدة ذكر العناوين باللاتينية أو بغيرها لقارىء عربي لا يعرف غير هذه اللغة ، ولكن هذا عذر غير مقبول في نظري ، فالعناوين أو الجمل المحذوفة هي جزء من نص ، وليس يجوز اجراء أي تغيير مهما كان بسيطاً في النص واذا وجد المعرب نقصاً أو خللاً فيه أو غلطاً أو حاجة الى ايضاح ، فيمكنه القيام بذلك مشكوراً في الحواشي ، مع الاشارة الى أنها منه ، أو في استدراكات يضعها في آخر كل فصل ، أو في آخر الكتاب .

ومن هذا القبيل ما ورد في الصفحة (٢٥٧) من التعريب عن الحسن البصري ، ففيه زيادات لم ترد في النص الألماني ، كما أنه نسي فيه ذكر بعض الموارد التي ذكرها « بروكلمن » في النص ، مثل الحاشية رقم (١) المذكورة في الصفحة (١٠٢) من النص الألماني للملحق

الأول [١] ، ومثل اهماله نحو سطرين مدونين في هذا الملحق بعد جملة : « وقبره مشهور بها الآن » [٢] ، وهما مهمّان ، وهذا نصهما بالألمانية :

« S Niebuhr, Reiseber. II, 222, Zitiert Socin, Diwan aus Centralarabien No. 68, 16, Fihr. 185; Shahrastani, ed. Cureton 52 » [٣]

ومثل اهماله جملة « ابن الجوزي » الواردة بعد « الحلية » لأبي نعيم ، وعــدم تقيده بالنص كما في (ابن العماد : شذرات الذهب ١ : ١٣٨) [٤] ، إذ وضعه على هذه الصورة : « شذرات ابن العماد ١ : ١٣٨ » [٥] ، وهذا الوضع وإن كان صحيحاً ، مخالف للنص الألماني ، وفيه تصرف ، ولا يجوز قطعاً التصرف في نص ما

وقد أهمل في الصفحة (١٨٠) جملة تتألف من نحو ثلاثة أسطر ، تجب اضافتها بعد فقرة « وخطبة الشيخ للرئيس » ، حذفها كلها مع أنها في شرح العنوان ومدونة في الأصل الألماني بعد العنوان العربي ، وتعدّ جزءاً من الكتاب [٦] ، وعوض عنها بهذه العبارة : « طبع ليدن ، باتافيا ١٦٢٩ » وهذا الحذف تصرف لا يجرز وقوعه ، ما دام مذكوراً في النص

وأضاف في الصفحة (١٧٩) كلمة « مجلة » قبل كلمة المشرق ، فصارت على هذا النحو : « مجلة المشرق » وهذه الزيادة وإن كانت غير مخلة بعنوان المجلة ، أي المورد المذكور في النص الألماني ، مخلة بطريقة الترجمة التي يجب أن يحافظ فيها على النص محافظة تامة

(١) Suppl., I, S 102, anm. I.

(٢) النص المعرب (ص ١٠٢)

(٣) Suppl., I. S. 103.

(٤) Suppl., I, S. 102.

(٥) النص المعرب (ص ٢٥٧)

(٦) Suppl., I, S. 75.

ففي النص الألماني كلمة (مشرق) [1] فقط فكان عليه أن يطبعها بهذه الصورة محافظة على الأصل وليست الكلمة بعيدة عن قرّاء هذا الكتاب

وقد نسي المعرب في مواضع كثيرة من الكتاب الاشارة الى الأجزاء والصفحات المذكورة في النص الألماني للموارد فاكتفى بالصفحة (٢٦١) مثلا بذكر اسم المورد وهو « بحار الأنوار » ، دون أن يشير الى الجزء منه والى الصفحة مع انهما مذكوران في النص الألماني حيث ورد : « بحار الأنوار ٢/١٨ » أي الجزء الثاني ، الصفحة ١٨ ويقع الكتاب كما هو معروف في أجزاء عديدة . ولا يمكن العثور عليه إلا بالرجوع الى الصفحة والجزء

ومن هذا القبيل اهماله الاشارة الى الصفحة التي يجب الرجوع اليها في « كتاب المعارف لابن قتيبة » ، مع أنها مذكورة في النص الألماني ورقمها (١٥٨) [2]

ومن هذه الأوهام ما أورده في الصفحة (٢٣٢) من ترجمته ، اذ جاء فيها : (وقيل إن هنالك قطعـــة من ديوانه بالموصل مكتبة داود ٤ ، ٩٩) وقد ورد في النص الألماني « Dā' ud, 99, 4 » وقصد « بروكلمن » بذلك : « كتاب مخطوطات الموصل » المطبوع ببغداد سنة ١٩٢٧ للدكتور داوود الجلبي، لا مكتبة تسمى « مكتبة داوود » كما توهم ذلك الدكتور وتجد اشـارة الى ذلك في الصفحـة (٩) من الملحق الأول للنص الألماني وفي الصفحة (٢٩) من الترجمة

وقصد « بروكلمن » بالرقم (٤/٩٩) رقم الديوان في كتاب مخطوطات الموصل والرقم (٤) هو رقم الإشارة الى الكتاب ، وهو على هذه الصورة : « ٤ ديوان ناقص الاول والآخر ، قد كتب عليه ديوان الجعدي » وأما الرقم (٩٩) ، فهو رقم الصفحة من كتاب مخطوطات الموصل والديوان المشار اليه هو من جملة المخطوطات المحفوظة في « مدرسة

(١) Suppl., I, S. 75.

(٢) راجع النص للمعرب (ص ٢٠١) ، وقابله بالنص الألماني : Suppl., I, S. 101.

الحججيات » بالموصل

وقد وقعت في الكتاب غلطات مطبعية ، فجعلت سنة وفاة الحسن البصري سنة (٧٣٨) للميلاد [١]، وصوابها سنة « ٧٢٨ » للميلاد في الأصل الالماني المقابلة لسنة ١١٠ للهجرة [٢] وصير المرجع « فاتيكان ٥ ، ١٢٤٢ ، ١١ » الوارد في الأصل الألماني [٣] على هذا النحو (فاتيكان ثالث ١١ و ١٢٤٢) [٤] وقد كان عليه أن يطبعه إما (٥) أي رقماً كما هو في الأصل وإما « خامس » كما يجب أن يكون والمراد بالرقم المجلد الذي يجب الرجوع اليه . وقد طبع هكذا (V) وفقاً للطريقة اللاتينية في الأصل الألماني

وقد وجدت أن الدكتور المترجم قد سها في مواضع أخرى في فهم الأرقام اللاتينية ، فجعل الرقم (V) الوارد في الصفحة (٧٤) من الملحق الأول الألماني ثلاثة [٥] . بينما هو (٥) كما هو معروف وقد سها في مواضع عديدة أخرى في نقله هذه الأرقام الى أرقام عربية

وقد لاحظت أن المترجم لم يتقيد بما ذكره في مقدمته من أنه سلك في « ترجمة هذا الكتاب طريقة المزج والتأليف بين الكتاب الأصلي وملاحقه ، مع ملاحظة الطبعتين الأولى والثانية للكتاب الأصلي ، بحيث يتحصل من كل ذلك كتاب موحد النسق ، متصل الموضوعات وهذه هي الطريقة التي ارتضاها بروكلمن نفسه ، ووضع هو خطتها لترجمة الكتاب بعد أن استشارته في ذلك الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وحصلت على موافقته واذنه في الترجمة سنة ١٩٤٨ » [٦] اذ وجدته ، يعتمد على الطبعة الثانية للأصل

---

(١) راجع الصفحة (٢٥٧) من النص المعرب

(٢) راجع النص الألماني Suppl., I, S.'103.

(٣) Suppl., I, S. 45.

(٤) راجع الصفحة (١٨٠) من النص المعرب .

(٥) الصفحة ١٧٦

(٦) الصفحة (١٥)

المطبوعة سنة (١٩٤٣) بالدرجة الأولى ، ويهمل الطبعة الأولى ، في أكثر الأحيان مع أن في الطبعة الأولى أموراً لم ترد في الطبعة الثانية والطبعة الثانية هي والملاحق التي صدرت قبلها أو بعدها جزء مكمل للأصل الأول القديم ، فكان على المعرب الانتباه لذلك ، واعتبار الكتاب كله : الأصل القديم والطبعة الثانية والملاحق ، أصلاً واحداً لايجوز التصرف فيه ولو بكلمة واحدة ، لأنه كما قلت سابقاً كتاب واحد وأصل يرجع اليه ، ولا يجوز التصرف في نصوص الأصول .

كما لاحظت أيضاً ان الدكتور لم يتقيد بنص الطبعة الثانية تقيداً حرفياً ، فأهمل بعض الأشياء حين اعتمد على الطبعة الأولى أو على الملاحق والظاهر أن اعتماده على هـذا الأصل القديم في بعض الأحيان أو على الملاحق كان ينسيه الرجوع الى الطبعة الثانية التي عدّها الأصل الأم ، أو الى الأجزاء الأخرى الأصل أو الملاحق ، فأضاع بهذا السهو جملاً وعبارات وألفاظاً هي من صميم المادة ومن أصل الكتاب وما على القارئ المتقن للألمانية إلا أن يقابل بين النص المعرب والنصوص الألمانيـة ، وسيرى بعينيه أمثلة عديده على ما أقول

وقـد كان على المترجم أن يراعي أسلوب المؤلف في التعبير ويتقيد بـه أيضاً ، وفاءً لأصول الترجمة ، وأداء للأمانة فكان عليه أن يعبر عن التعجب بالتعجب ، وبالسؤال إن كان الأصل الألماني سؤالاً ، وبالماضي ان كان الأصل بالماضي ، وهكذا وإلا أخرج الترجمة عن نطاق الترجمة ، وأساء الى الأصل والى بلاغته وأسلوبه في التعبير خذ مثلاً ما جاء في الصفحة (٢٥٠) من النص العربي ، وهو : « ٣١ زياد بن أبيه أخو معاية من أبي سفيان قيل : إنه أول من صنف كتاباً في المثالب ، ودفعه الى ولده قائلا لهم : استظهروا به على العرب ، فإنهم يكفون عنكم » وقابله بالأصل الألماني في الصفحة (٦٣) من الطبعة الثانية ، وهو :

« Ia Ob Ziyad, der Halbbruder und Statthalter des Mu 'âwiya, Wirklich ein Buch über Verdächtige Familiengeschichten Verfasst hat, das seine söhnen als Waffe gegen die sticheleien auf ihre Abstamung dienen sollte'darf man bezweifeln »

ترَ بين هذين النصين بوناً شاسعاً في أسلوب التعبير وفي النصين أيضاً . فالنص العربي على قصره يختلف عن هذا النص القصير الذي اقتبسته على سبيل المثال

وهناك مثالاً صغيراً آخر ورد في الصفحة (٢٥١) من النص المعرب هو : « وفي هذه الأخبار أشعار كثيرة على مذاهب أيام العرب » وهي على رأي الدكتور ترجمة لجملة :

« Die Erzählung ist nach dem Muster der Aiyann al-' Arab mit Gedichten reichlich durchsetzt »

الوارد في الصفحة (١٠٠) من الملحق الألماني الأول فهل ترى بين الجملتين على قصرهما توافقا ؟

لقد كان على الدكتور أن يعبر عن هذا النص الألماني بهذه العبارة : « والقص على طريقة أيام العرب فيه أشعار كثيرة » ويقصد المؤلف بذلك طريقة كتاب : أخبار عبيد ابن شَرْيَةَ الجرهمي ، المطبوع

وضبط المترجم لفظة « التلاميذ » الواردة في نسب الشنقيطي « محمد محمود بن التلاميذ » على هذا النحو « التلاميد » أي بالدال [1] ضبطها على نحو ما اشهر بها وعرف [2] ، أما المؤلف « بروكلمن » فقد ضبطها بـ « التلاميذ » ، ولما كان الكتاب ترجمة ، فقد كان على المترجم ضبط اللفظة على نحو ورودها في الأصل المترجم عنه وعليه ابداء رأيه في ذيل الصفحة ، مع الاشارة الى ذلك ، ليميز القاريء رأي المترجم من رأي المؤلف

وقد وجدت الدكتور يتوسع في العبارات ، في مواضع لا تحتاج الى هذا التوسع ،

(١) الصفحة (١٠٨ ، و ٢٨٩)

(٢) « اشتهر والده بالتلاميد (تصحيف التلاميذ) فعرف بابن التلاميد » ، الأعلام (٧ / ٣١١)

فيورد جملاً وكلمات للتعبير عن عبارة ألمانيـة كان في وسعه التعبير عنها بايجاز واختصار ، وبألفاظ لا تزيد على النص الألماني وقد وقع في ذلك ، بسبب عدم جلاء الفكرة ووضوحها للمترجم على ما أظن ، وبغموض في التعبـير وقع لديه ، فجاء يستجليه بعبارات مطولة ، كما يفعل كثير من المترجين حينما يجدون أنفسهم في مثل هذه المواقف وقد يقع أيضاً بسبب التسرع والعجلة ، وعـدم هضم الفـكرة ، والرغبة في تقديم العمل بسرعة وكلها أمور يجب ألا تقع ، ولا سيما في كتاب علمي وأصل من الأصول مثل هذا الـكتاب يرجع اليه . وفي الامكان تلافيهـا باعادة النظر في الأصل مراراً لفهمه فهماً صحيحاً ومراجعة آخرين لاستشارتهم في مضمونه ومعنـاه ، ثم سبكه بأسلوب عربي مشرق يراعي فيه الايجاز على طريقة العرب في البلاغة مع أداء للمعنى مطابق له كل المطابقة

ولاحظت أن المعرب يتوسع أحياناً باقتباس جمل وعبارات من المورد العربي الذي اسـتند اليه المؤلف ، مثل الفهرست وغيره ، يضيفها الى المتن أي الأصل ، مع أنها غير موجودة فيه ، وغايته من ذلك الايضاح توضيح النص للقارىء على ما أظن ذلك لأن المؤلف قد اكتفى بالإشارة الى المورد ويرمز في بعض الأحيان فرجع المترجم الى ذلك المورد لتوضيح ذلك النص وقد يكون لتوضيحه بالنسبة اليه ليسهل له التعبير عنه . وعمل مثل هذا غير جائز في نظري ، لسبب بسيط هو ابعاد النص المترجم عن النص الأصل.

ولاحظت أيضاً أن المترجم لا يتقيد بما وضعه المؤلف من رموز واختصارات للموارد المتكررة تجنباً للتكرار والحشو وتضخم حجم الـكتاب ، فذكر مثلا « فهرست ابن النديم » ، بينما هو « فهرست » في الأصل الألماني [1] ويقصد المؤلف به فهرست ابن النديم ، كما أشـار الى ذلك في موضعـه وذكر « فهرست كتاب الأغاني » ، بينما

---

(١) الصفحة (٥٣) من النص المترجم . قابلها بالصفحة (١٠١) من نص الملحق الأول وفي الصفحة (٢٥١) وفي اكثر المواضع التي يرد فيها اسم هذا المورد .

هو على هـــذه الصورة في النص الألماني (Ag : Index)[1] « اغا فهرست » ، أي « أغاني : فهرست » « فهرست الأغانى » وذكر « الشعر والشعراء لابن قتيبة »[2] ، بينما هو في الأصل الألماني « ابن قتيبة : الشعر » حتى ان المؤلف اختصر لفظة « ابن » بـ (b) ، وذلك تجنباً لتضخم حجم الكتاب وذكر « ارشاد الأريب لياقوت »[3] بينما هو « ياقوت : ارشـــاد » في الأصل الألماني[4] وكتب « لايل في شـــرح المفضليات ٢ : ٨ » (المقدمة) ، بينما هو على هذه الصورة في الأصل الألماني :

« Lyall Mfddl. II, X III »[5]

وتفسيره (لايل : مفصليات ٢ و ١٣) ويلاحظ أن المترجم قد أخطأ في فهم الرقم (X III) الروماني ، فظنه ثمانية ، بينما هو (١٣) ، وذلك لأن (X) هو اختصار عشرة لا خمسة كما توهم ذلك ، فالمجموع هو (٣ + ١٠) أي (١٣) أما الخمسة فيرمز اليها بـ (V) .

وهنالك أمثلة عديدة من هذا القبيل يخرجنا سردها من صلب هذا الموضوع وقد أشرت الى ما ذكرت ، لأن طريقة المعرب هذه ستزيد في حجم الكتاب ضخامة وهذه الزيادة وان كانت كلمة أو كلمتين ، تكون في الواقع جملة صفحات في الأخير ، وهي زيادة لا حاجة اليها ، لأن قرّاء هذا الكتاب من الاختصاصين أو المتقدمين في الثقافة ، فليست بهم حاجة الى مثل هذه الزيادات ثم إن المترجم لم يتقيد بطريقة واحدة ، بل نراه يجاري المؤلف في أسلوبه في مواضع أخرى في الأخذ برموزه ، مما يدل على أنه لم يسر على خطة واحدة وطريقة معينة في الاشارة الى الموارد وكان عليه كما قات التقيد بقيود المؤلف ،

(١) الصفحة (٢٦٢) من النص المترجم ، وصفحة (١٠٥) من النص الألماني للملحق الأول

(٢) الصفحة ٢٤٥ وفي مواضع عديدة أخرى

(٣) الصفحة (٢٤٦)

(٤) الملحق الأول (ص ٩٨)

(٥) الملحق الأول (ص ٩٨)

لأنه جاء هنا ترجاناً للمؤلف، وعلى الترجمان أن يلتزم التدقيق ويتجنب التصرف ، ولا يسلك الطريق الذي يهديه فهمه للترجمة

وقد لاحظت أن المترجم لم يتقيد باستعمال المصطلحات العربية المتعارفة في أيام العباسيين. وقبلهم في مقابل المصطلحات الألمانية التي استعملها المؤلف للتعبير عن تلك المصطلحات في الألمانية ، فترجم لفظة : « Anhänger » الواردة في جملة : « Seinem Anhänger al-Mufaddal » بلفظة « تلميذ » فكتب : « ورويت بعض مصنفات لتلميذ جعفر الصادق : المفضل بن عمر... الخ »[1] بينما يريد المؤلف بهذه اللفظة مصطلح « اصحاب » المستعملة في كتب الرجال فانك اذا قرأت كتب الفرق وكتب الرجال عند الشيعة ، تجد فيها : « أصحاب الصادق » ، وجملة « ومن أصحاب الصادق » فكان على المترجم أن يقول : « ومن أصحابه » ، أو أن يستعمل ألفاظاً عربية أخرى قريبة مها على الأقل ، مثل « من أشياعه » و « من أتباعه » أو « من مواليه » ، وهذا الاصطلاح مستعمل في كتب الشيعة إذ نجد فيها : « ومن موالي الصادق » ، أي الموالين له أما استعمال « تلميذ » في مقابل تلك اللفظة الألمانية ، فاستعمال خطأ بالطبع فان للفظة تعبيراً آخر في الألمانية هو : « Shüler » ، وتطلق على تلامذة المدارس ممن هم دون مستوى الجامعة في الغالب ولو اراد المؤلف هذه الكلمة ، لاستعملها في كتابه ، وبين اللفظتين فرق كبير[2]

ولاحظت أنه لم يحسن تعريب الموضع المذكور ، فكتب : « ورويت بعض مصنفات لتلميذ جعفر الصادق : المفضل بن عمر الجعفى الكوفي ، الذي انقطع بعده الى أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص ، الأجدع الأسدي الكوفي ، رأس الغلاة الخطابية ، وقتل معه في الكوفة سنة ١٤٥ / ٧٦٥ » وكان عليه أن يعبر عن النص الألماني بمثل هذه العبارة :

(١) راجع الصفحة (٢٦٠)

(٢) « عده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق » ، فهرست الطوسي (ص ١٦٩) » طبعة النجف » ، « في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر » ، معرفة أخبار الرجال الكشي ، (ص ١٠٥) ، وراجع أيضاً (الصفحة ٢٠٦ وما بعدها) عن : المفضل

« وذكرت لصاحبه المفضل بن عمر الجعفي الكوفي الذي انقطع فيما بعد لأبي الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص ، الأجدع ... » . وقد وقع خطأ في سنة وفاة : « المفضل » الميلادية إذ جعلها المعرب (٧٦٥) ، وهي (٧٦٢) في النص الألماني [1] . كما أنه أهمل ذكر الجزء والصفحة من كتاب بحار الأنوار للمجلسي ، فلم يذكرهما ، وهما في المستدرك الملحق وعلى الصفحة (٩٣٩)

وهناك أمثلة عديدة من هذا القبيل ترد في كتب الفلسفة والرجال والفرق ، لم يلتفت اليها السيد المترجم ، بل استعمل لها ألفاظاً ، من مثل الاستعمال المتقدم ، هي ، وإن أدت المعنى ، لا تعبر عن مصطلح العلماء العرب ، ولا عن رأي المؤلف الذي أخذ مصطلحاته من مصطلحات أولئك العلماء

هذا ولا بد لي من تنبيه الدكتور النجار على وجود أخطاء في الأصل الألماني ، فاتت المؤلف الكبير « بروكلمن » ، يجب على الدكتور المترجم التنبيه عليها والتنبه لها ، يتعلق بعضها بأسماء المؤلفين ، وبعضها بعناوين الكتب ، وبعضها بالتواريخ . فحبذا لو تفضل الدكتور بالتنبيه عليها

هذا ولا بد لي من تنبيهه أيضاً الى ضرورة تروّيه في تصحيح تجارب الطبع ، وتأنيه في قراءتها . ذلك لأن هذا الكتاب لا يشبه الكتب الأخرى إنه مرجع ومتن وكل خطأ مطبعي يقع فيه يحاسب المعرب عليه فغلطة مثل « اشعار المتلس » الواردة في الصفحة (٢٩٠) من فهرسته وان كانت ظاهرة واضحة ـ قصد المترجم بلفظة « المتلس » المتلمس ـ لكنها غلطة على كل حال كان من الممكن تلافيها بالصبر والتأني في مطالعة تجارب الطبع وغلطة مثل « غرر الحكم ودر الكلم » الواردة في الصفحة (٣٠٢) من هذا الفهرست ، وان كانت ظاهرة تدرك بالرجوع الى الصفحتين « ١٧٩ » و « ١٨٠ » ،

---

(١) الملحق الأول (الصفحة ٤ ١)

حيث نجد « غرر الحكم ودرر الكلم » ، لكنها غلطة أيضاً ومن الطريف أن المترجم قد وقع في غلط مطبعي في رقم الصفحة ، اذ ذكر الرقم (٧٩) بدلاً من (١٧٩) وهو الرقم الصحيح فعندما طلبت المقصود في الصفحة ذات الرقم (٧٩) لم أجده وبقيت أفكر فيه حتى انتهيت الى الصفحة (١٧٩) فعثرت عليه فيها وهناك اغلاط عديدة من هذا القبيل وقعت في المتن وفي الفهارس وقد نبهت الى بعضها فيما سبق وفي الأمثلة المذكورة كفاية للتنبيه ، فلا حاجة بي الى المزيد

والأخطاء المطبعية الواردة في الكتاب المترجم مزعجة حقاً وجدت لفظة (النوبختي) في الفهرست الذي رتبه المترجم ووجدت أمامها الرقم (٢٢٦) أي رقم الصفحة الواردة فيها هذا الاسم من النص [1] فلما رجعت الى الصفحة المشار اليها وجدتها تتحدث عن الرجز ولا علاقة لها بأي موضوع هو من اختصاص النوبختي ، صاحب كتاب الآراء وديانات الشيعة وبعد مطالعتي للكتاب ورجوعي الى اسم الكتاب في الفهرست (ص ٢٨٩) وجدت أنه في حاشية (الصفحة ٢٦٠) وان الرقم (٢٢٦) هو خطأ مطبعي

وقد كان من الواجب على المترجم وقد اتعب نفسه في وضع فهرست مفصل للكتاب المترجم احصاء كل ما ورد في الكتاب من أسماء كتب وأسماء مؤلفين حتى يكون فهرسته كاملاً تام الفائدة ، ولكني وجدته نسي ويا للاسف أسماءاً عديدة كنت اطالع الصفحة (١٧٦) ، فوجدته يشير الى كتاب (الذريعة الى تصانيف الشيعة ، لمحمد محسن ج ٢ ص ٤٣١٤) ، وقد لفت نظري الرقم (٤٣١٤) لضخامته ورجعت الى فهرست المترجم الدكتور النجار ، فلم أجده في الصفحة (٢٨٤) وفيها (محمد) ، ثم رجعت الى حرف الذال في فهرست أسماء الكتب ، فلم أجده فيه ، واضطررت عندئذ الى مراجعة مكتبة المجمع للرجوع الى أصل كتاب الذريعة ، فوجدت المترجم قد أخطأ في تثبيت رقم الجزء إذ دونه

---

(١) الصفحة (٢٨٦)

(٢) بينما هو (٣) وقد نص عليه بالحروف حيث جاء (الجزء الثالث) وهو في الكتب التي يبدأ اسمها بحرف الباء والتاء ، ثم وجــدته قد أخطأ في الاشارة الى الصفحة إذ هي (٢٠٥) وكان الواجب عليه الاشارة الى رقم الكتاب في هذه الصفحة وهو (٧٥٨) ولا أدري من أين جاء المترجم الدكتور عفى الله عنه بهذا الرقم الضخم (٤٣١٤) كما وجدته وضع لفظة « الحيدري » بدلاً من « الكيدري » ، التي هى نسبة الى قطب الدين أبو الحسن محمد بن الحسن البيهقي النيسابوري كما هو مثبت في كتاب الذريعة [١]

وقد تبين لي بعد بحث ، أن هذا الرقم الضخم هو حاصل غلط مطبعي ، نتج عن اضافة رقم (٤) خطأ على يمين الرقم الصحيح الوارد في الجزء الثالث من كتاب الذريعة وهو في ترجمة الكيدرى فتولد من هذا الغلط هذا الرقم الكبير

هذا بعض ما وجدته في النص المترجم في أثناء مراجعاتي السريعة له . وهى ملاحظات أرى من الإنصاف أن أقول إنها ، لا بد أن يقع فيها كل انسان ولا سيما اذا قام بمثل هــذا العمل المضني بصورة منفردة ومن غير مشاركة أحد

وبعد ، فاني اقترح على الدكتور النجّار أن يتفضل باشراك جماعة من الاختصاصيين معــه في العمل ممن يطمئن اليهم ، لأن الكتاب ضخم كبير ، وهو يتناول موضوعات متعددة ، ليس من السهل على رجل واحد الاحاطة بها ، ليقابل معهم ما يعربه بالنص الألماني ، فيضبط بذلك الأسماء والعناوين والأرقام ضبطاً صحيحاً ، ويستعين بمن يعرف منهم اللغة الفارسية والتركية في ضبط العناوين المدونة بهاتين اللغتين والتي ترد في النص الألماني ، كما عليه الاستعانة بخبراء المخطوطات في ضبط العناوين والأسماء والرجوع الى فهارس المخطوطات في اثناء وقوعهم في مشكل ، ليكون العمل متقناً كاملاً معبراً عن الأصل كل التعبير

فالكتاب ، مرجع من المراجع الأمهات ، يرجع اليه للضبط والاسترشاد ، وهو

---

(١) الجزء الثاني الصفحة ٤٣١ .

ليس مثل الكتب الأخرى يعبر عن فكرة ورأي ، فيجوز التساهل فيه بعض الشيء وكل هفوة فيه وان كانت بسيطة ، توقع المراجع من حيث لا يدري في خطأ . ولهذا وجب بذل الاعتناء كله في تدقيقه وفي المحافظة على الأصل من حيث الأداء والتعبير عن المعنى بأبين وجه ، وبأسلوب عربي متين ولا سيما أنه من منشورات جامعة الدول العربية ، وقد طبع بنفقة الادارة الثقافية وجامعة الدول العربية ، اسمى هيأة دولية عربية ، فلا يجوز اخراج شيء باسمها إلا بعد التأكد من جودته واتقانه ، وإلا صار مأخذاً يأخذه عليها العلماء

وإني أرجو من الدكتور الاستمرار في العمل والانصراف الى نشر الكتاب كله : أصله وهو في جزئين ، وملحقاته الضخمة ، كما أرجو من جامعة الدول العربية مساعدته بتمكينه من نشره بالسرعة الممكنة وتفضيل عمله على غيره من حيث الأهمية في النشر بعد ملاحظة المسائل المذكورة وهفوات أخرى ، لم يسمح لي الوقت بالتطرق اليها ، وملاحظات آخرين من أصحاب الخبرة والدراية ، وهو عمل سيحتاج الى سنين ولا شك ، لصعوبته وضخامته وتشعبه . وإلا ضاع الجهد ، وبقيت الحاجة الى الكتاب ، باقية كما هي وبقيت كل نفس متعلقة به ولست أظن أن الجامعة ستهمل الكتاب وتتركه بعد أن بلغ هذه المرحلة .

الجزء الثاني من كتاب ملحق فهرست المطبوعات العربية المحفوظة في المتحف البريطاني

ط سنة ١٩٥٩ م

اصدر مجلس أمناء المتحف البريطاني الجزء الثاني من هذا الكتاب :

« Second Supplementary Catalogue of Arabic Printed Books in the British museum »

وهو في (١١١٣) صفحة من القطع الكبير صنفه خازن كتب المتحف « السيد اسكندر فلتن » « Alexander S. Fulton » والمساعد السيد « مارتين لنبكس »

« Martin Lings » ، وضمنه كل الآثار العربيــة المطبوعة التي دخلت خزانة المتحف البريطاني من سنة ١٩٢٦ الى ١٩٥٧ م ورتبه على الحروف الهجائية لأسماء أصحاب الآثار المطبوعة كما رتبه على أسماء الآثار ليساعد في معرفة أسماء أصحابها اذا كان المراجع على جهل به وقــد جعل المصنف أمام كل أثر اسم صاحبه ، وعدد صفحاته ، وسنة طبعه ، وحجم الأثر ، وعدد أجزائه ، وموضع طبعه ، ورقمه الذي وضع له في المتحف البريطاني ، وأضاف قسماً ثالثاً بالموضوعات فاذا كان الأثر في الفرق ، رجعت الى هذا القسم ، واذا كان في التأريخ رجعت الى القســم المعنون « تأريخ » ، واذا كان في الأدب رجعت الى موضوع « الأدب » ، وهكذا ، وذلك ليساعدك على الوقوف عليه بسرعة ان قصدت خزانة كتب المتحف واردت الحصول على أثر من هذه الآثار

وقد جعل المصنف كل صفحة من صفحات فهرسته الكبيرة الحجم عمودين ، وطبع كتابه طبعاً متقناً ، ووضع عناوينــه بحروف لاتينية على طريقة المستشرقين المقررة ، وبحروف عربية في أكثر الأحيان ومع صعوبة تنضيد مثل هذا الكتاب . المحتوى على عناوين وأسماء يجب أن تكون مضبوطة ضبطاً صحيحاً ، ومع أن المنضدين هم بريطانيون لايفقهون شيئاً لامن العربيــة ولا من الموضوع الذي ينضدون كتابته ، فانهم قد أجادوا اجادة كبيرة في الطبع وفي الاتقان وفي الضبط والدقة ، وفي فن الطباعة ، نخرج الكتاب نظيفاً خالياً من الخطأ المطبعي ، مجلداً تجليداً أنيقاً ، وقد جعل ســعره (١٣) جنيهاً انكليزياً وهو بالطبع مرجع مهم لهواة الكتب ، وسجل سيكون سنداً للباحثين يرجعون اليه في المتحف وفي خارجه للوقوف على الحركة الفكرية للعالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين

حضرت عمر كي سركاري خطوط

هــذا كتاب من منشورات « ندوة المصنفين » ، ومن مؤلفات السيد « خورشيد

أحمد فاروق » أستاذ الأدب العربي في جامعة « دلهي » « دهلي يونيورسطى » وقد طبع سنة ١٩٥٩ في (٦٥٤) صفحة من القطع الوسط وهو جمع وحصر لأوامر الخليفة عمر ابن الخطاب وكتبه الى ولاته وعماله ، وقد ترجها وشرحها الأستاذ باللغة الأوردية ، ليقف عليها المتتبعون للدراسات الاسلامية في الهند

وقد قدم الجامع لهذه الأوامر والكتب الى أصحاب الدراسات الإسلامية خدمة كبيرة ، بجمع كل شتاتها ومتفرقاتها في مؤلف واحد ، وضبطها في مكان محدود إذ هي كما يعرف القراء مبعثرة منثورة في كتب عديدة ، يصعب على الراغب في الوقوف عليها الالمام بها ، والاحاطة بها جملة ، للاستفادة منها في الوقوف على آراء الخليفة وأحكامه في عهد خلافته ولهذا ، فقد أفاد الاستاذ « خورشيد » طلاب الدراسات الاسلامية فائدة كبيرة بجمعه لهذه الأوامر من موارد مختلفة ومتعددة أشار اليها في ذيل الكتاب ، وحصرها في مجلد واحد ، كما أفاد القرّاء بشروحه الثمينة وبتعليقاته النفيسة عليها

والكتاب وان كان باللغة الأوردية مرجع مهم أيضاً للذين لايعرفون هذه اللغة ، ففي استطاعة القارئ العربي ، الاستفادة منه بالرجوع الى هذه الرسائل والأوامر ، لتكوين رأي في حكم عمر وآرائه ، لأنهـا مطبوعة بأصولها العربية ، وهي مجموعة كلها في هذا الكتاب

وقد زين المؤلف كتابه بخارطات للمواضع التي تتعلق بها الرسائل والأوامر ، وشفعها بشروح وايضاحات لتلك الأماكن وتأريخ فتحها ، كما كتب سير الأشخاص الذين عنونت الرسائل اليهم ، وسير رواتها ، وكل ما يتعلق بها ، فالمؤلف مورد ثمين للباحثين عن هذا العهد الخطير من تأريخ صدر الاسلام

في عالم الكتب والاستشراق

لجأت بعض الجامعات ودور النشر الى اصدار مجلات ونشرات خاصة بالمؤلفات في الامور الفكرية ، المطبوعة والمخطوطة وذلك لغرض التعريف بالنتاج العقلي لقطر معين أو لمنطقة معينة ذات تراث مشترك ولغة واحدة ومنها ما هو عام ، يتعرض لكل ما هو جيد ومفيد من تراث انساني

والنشرات المذكورة هي في لغات مختلفة ، منها ما هو بلغة انكليزية وهو الغالب ، لسعة انتشار هذه اللغة وكثرة من يفهمها من غير الانكليز ، ومنها ما هو بلغة فرنسية أو المانية أو روسية أو ايطالية أو اسبانية وقد اهتمت بعض دور النشر والمكتبات الأهلية في البلاد العربية باصدار نشرات أو مجلات بالتعريف بالمطبوعات العربية ولكنها قليلة ، وقد مات أكثرها في مهده ، لعدم تمكن ناشريها من سدّ نفقات النشر وعدم استفادتهم مادياً منها في الدعاية والاعلان ولمعهد المخطوطات في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية مجلة خُصصت للبحث في المخطوطات

ومن المنشورات الخاصة بالآثار الأدبية والفكرية بوجه عام ، الصادرة باللغة الانكليزية مجلة بعنوان : « Books Abroad » ، وتصدرها « جامعة اوكلهوما » « Oklahoma University » أربع مرّات في السنة وهي عامة لا تخص قطراً بعينه . بل تبحث عن ثمار الفكر في كل مكان : في أميركا وأوربا وآسيا وأفريقيا وأستراليا . ولهذا تجد فياعدادها موضوعات متعددة عن الأدب والتأليف في أميركا وانكلترا والمانيا وفرنسا وروسية وغير ذلك من الأماكن كما تجد فيها أبحاثاً في حياة أديب معين معاصر أوميت مشهور أو نقداً لبعض المؤلفات أو تقريضها

وغالب موضوعاتها عن الأدب الانكليزي أو الألماني أو الفرنسي أو الايطالي أو الاسباني ،

وذلك لأن الكتّاب في هذه اللغات يجيدون اللغة الانكليزية لغة هذه المجلة وقد تجد فيها بحوثاً عن الأدب العربي المعاصر أو الأدب الفارسي أو الأدب التركي ، بقلم كتاب انكليز أو أميركان وذلك لعدم اقبال الكتّاب العرب ويا للأسف على كتابة مقالات بلغات أجنبية عن الحياة الفكرية في بلادهم ، خصوصاً في الأيام الحاضرة ، لعوامل عديدة لامجال لتفصيلها في هذا المكان

أما نشرة « Books to Come » ، فتصدر ست مرّات في السنة بمدينة « نيويورك » ، وتحتوي على أسماء الكتب والنشرات التي تصدر في الولايات المتحدة في كل الموضوعات. حتى الرياضة البدنية والسينما وأمثالها وهي متسلسلة على حسب الموضوعات وفقاً للغة الانكليزية ، ومرتبة وفقاً للأبجدية اللاتينية وبحسب ظهور المؤلف بالنسبة الى الشهور فتجد فيها أسماء آلاف من الكتب والنشرات التي ظهرت في الولايات المتحدة مرتبة حسب تأريخ ظهورها في الأسواق ويحتوي كل عدد على مَسْرَدين (فهرسين) مسرد لأسماء المؤلفين ومسرد للعناوين

وهناك نشرة شهرية للكتب التي تطبع في الولايات المتحدة وعنوانها : « Books from the U. S. A. » تصدرها دار « Frederic G. Melcher » للنشر في مدينة « نيويورك » تضم الكتب التي تنشر في أميركا كما تنقد بعض الكتب المهمة على اختلاف فروعها وانواعها وتحتوي أيضاً على خلاصة لاحدث ما يطرأ على الفكر الأميركي الطريف أو التليد ، من تحول أو ابتكار أو تحوير وقد يقرن ذلك بالصور وبالنماذج المصورة لزيادة الايضاح

وتساعدك نشرة « Cleaver Hume Press 1960 » ، التي تصدرها دار النشر المعروفة بهذا الاسم في لندن مساعدة كبيرة في الوقوف على ما يطبع فيها أو في غيرها من كتب في كل فروع المعرفة الانسانية وفيها فصول خاصة باسماء الكتب المطبوعة في العلوم.

وأسماء المجلات العلمية المتعلقة بالعلوم عامة أو بنوع واحد منها كما تجد فيها أسماء المجلات والمؤلفات الروسية العلمية المنقولة الى اللغة الانكليزية

وتؤدي دار النشر المعروفة بـ «F. J. Brill» بمدينة « لايدن » في هولندة خدمة كبيرة الى الاستشراق باصدارها نشرات دورية عديدة في التعريف بالكتب المتعلقة بشؤون آسيا وافريقيا فلها نشرات اسبوعية وشهرية بالمؤلفات التي تظهر في كل مكان من العالم عن تينك القارتين ، بمختلف اللغات بما في ذلك المؤلفات المطبوعة في آسيا وفي افريقيا بلغات أممها وشعوبها وفيها تعريف مختصر بالمؤلَّف بعدد صفحاته واسم مؤلفه وناشره ومكان طبعه وسعره سواء أكان المؤلف من مطبوعات هذه الدار المعروفة أم دار أخرى . وتصدر هذه النشرات بالانكليزية والألمانية ولغات أخرى

هذا بالاضافة الى النشرات التي تصدرها الدار والمعروفة بعنوان «Brill's Catalogue» . وقد صدر منها مئات الأعداد ، فان لها نشرات بعنوان « Brill's News » تحتوي على أخبار كل ما هو جديد في عالم الكتب بشيء من النقد والتفصيل وهي نشرة مهمة جداً لمن يريد توسيع معارفه وزيادة علمه بأحوال الشرق

ولهذه الدار فضل كبير على الشرق من ناحية أخرى : من ناحية نشرها المؤلفات المخطوطة القديمة والمؤلفات العلمية العميقة عن الشرق وتعد مطبوعات « بريل » العربية اليوم من أهم المطبوعات من حيث الدقة والصحة ، وهي نادرة ولا تزال الدار دائبة على عملها العلمي الخيري هذا ، وهي تساهم مساهمة كبيرة في نشر الموسوعة المعروفة باسم : « دائرة المعارف الاسلامية » ، التي تصدر بثلاث لغات : الانكليزية والألمانية والفرنسية

وتعد نشرات مكتبة « لوزاك Luzac » بلندن من أهم النشرات المفيدة في موضوع الاستشراق وتصدر هذه المكتبة جملة نشرات أهمها بالنسبة للباحث في العربيات والاسلاميات النشرة المعروفة بـ : « Luzac's Oriental List and Book Review »

وهي منظمة ومرتبة ترتيباً وفق الموضوعات وعلى حسب حروف الهجاء لأسماء المؤلفين وهي مورد مســاعد كبير يساعد الطالب والاستاذ على زيادة معارفه في العلوم العربية والاسلاميات

وتفيد مسارد (فهارس) الكتب التي تصدرها مكتبة « Ge Nabrink » بامستردام بهولندة بعنوان : «Orientalia» عشاق الكتب في العالم العربي فائدة كبيرة في ارشادهم الى الكتب القديمة والحديثة المطبوعة عن القارات الثلاث : آسيا وأستراليا وأفريقيا وهي منسقة على أساس الأبجدية المرتبة على أسماء المؤلفين والتوزيع الجغرافي فاذا أردت كتاباً عن العرب مثلاً أو عن العراق رجعت الى المسرد (الفهرس) العام ، وهناك تجد أرقام الصفحات الباحثة في هذا الموضوع وتقف عندئذ على أسماء ما نشر وما يوجد لدى هذه المكتبة من مطبوعات وهي من المنشورات المطبوعة باللغة الانكليزية .

ولمكتبة « Routledge and Kegan Paul » ، نشرة دورية بالكتب التي تطبعها . وهي في مختلف الفروع والموضوعات ، مثل الرياضيات والطبيعيــات والدين والعلوم الصناعية والتربية ، وفي جملتها موضوعات الاستشراق كما تقوم بتعريف الكتب التي تطبع في أماكن أخرى في انكلترة وفي خارجها ولهذا فهي مفيدة للراغبين في الوقوف على ما يطبع عن البلاد الشرقية في اللغات الأجنبية وعن الموضوعات الأخرى ولا سيما الأدب والفن

وتعنى دار النشر « Sievens and Sons » الانكليزية ، بنشر نشرات دورية عن القضايا الأممية مثل السياسة العالمية والقانون الدولي والشؤون العسكرية والعلوم السياسية وما شابه ذلك من موضوعات ولذلك فهي تفيد الباحثين في هذه الأمور

وهناك نشرة شهرية اسمها : « Spanish Cultural Index » تصدر بالانكليزية ، فيها أسماء ما ينشر في اسبانيا في مختلف فروع المعرفة : علمية وأدبية وفنية مرتبة حسب الموضوعات تصدرها « دائرة العلاقات الثقافية في الحكومة الاسبانية » وتجد فيها

كذلك أخباراً لها صلة بالشؤون الثقافية مثل اقامة المعارض الثقافية الخاصة باللغة الاسبانية وتطور الكتاب الاسباني وما ينشر عن هذه اللغة في العالم الخارجي وهذه النشرة هي ترجمة لنشرة تصدر في اللغة الاسبانية عنوانها : « Indice Cultural Espanol »

ومن المجلات المعنية بالبحث عن الآثار الفكرية الايطالية مجلة :

« Italian Books and Periodicals » وتصدر باللغة الانكليزية تتضمن مقالات مركزة في موضوعات عن الفكر الايطالي ونقوداً لبعض الكتب تعقبها فهارس للآثار التي تطبع في ايطالية في خلال الفترة التي تقع بين عدد وعدد آخر من المجلة رتب حسب الموضوعات والعلوم وحسب الحروف الهجائية والمجلة مرجع مهم لاغنى عنه لمن يريد الوقوف على الحركة الفكرية في ايطالية ومرجع يستغنى به من يعرف اللغة الايطالية ، ويريد مورداً ايطالياً يستعين بـه في فرعه واختصاصه

وتصدر في الهند نشرة اخبارية عن الشؤون الثقافية بعنوان :

« Cultural News from India » يصدرها « المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ». تتضمن البحث عن الأمور الثقافيـــة في الهند ، وتعريفاً بأهم الكتب والآثار الفكرية القيمة التي تطبع فيها وأخبـار الجامعات ودور النشر وهي تصدر مرة واحدة في كل شـهرين

أما نشرة « Cultural News from Germany » ، فانها نشرة اخبارية تصدرها دائرة العلاقات الثقافية في المانيا الاتحادية بمدينة « بون » العاصمة تتضمن كل ما يدخل في مصطلح « ثقافة » من أخبار ففيها أخبار عن الكتب والنشرات الألمانية وفيها أخبار عن الموسيقى والمعارض والفن والجامعات وغير ذلك مما يهم القارئ الوقوف عليه عن احوال الثقافة في المانيا الاتحادية

أما نشرة :

« Monatsberichte der Deutschen Akademie der Wissenschaften zu Berlin »

فانها نشرة اخبارية يصدرها « المجمع العلمي الألماني ببرلين » بالمطبوعات العلمية التي يصدرها هـذا المجمع والتي تطبع في مطبعته أو في المطابع الأخرى وتشتمل على مطبوعات في الرياضيات والفلك والفيزياء الفلكية والفيزياء والعلوم الصناعية والكيمياء وعلم الأحياء وعلم طبقات الأرض والتعدين وعلم البحث عن المعادن والطب العملي والطب النظري وتأريخ الطب وغير ذلك من العلوم

وللمجمع العلمي « الشيكوسلوفاكي » نشرة يصدرها باللغة الشيكية وباللغة الألمانية في المطبوعات العلمية والفنية والصناعية والأدبية التي ينشرها هـذا المجمع بمختلف اللغات . وهي تفيد الباحثين ولا شك في الوقوف على ما ينشره هذا المجمع هناك كما أن للمجمع العلمي البولوني نشرة تصدر بالبولونية وبالألمانية تتضمن تعريفاً بالمطبوعات التي ينشرها هذا المجمع في كل فروع المعرفة الانسانية وتطبع في برلين

وعلى شاكلة وطراز نشرة المجمع العلمي الشيكوسلوفاكي والبولوني والألماني ، يصدر المجمع العلمي الروماني والمجمع العلمي الهنغاري نشرات تعريف بالمطبوعات التي تنشر باسم المجمعين

وتصدر باللغة الألمانية نشرة أربعة مرّات في السنة من برلين بعنوان « Ankundigungen » ، تبحث عن الكتاب الألماني وما ينشر في الألمانيتين من آثار في كل أنواع المعرفة الانسانية من علوم وأدب وصناعة وفيها تعريف بالكتب الألمانية ، وعرض عام لكل كتاب مهم وترسل مجاناً لكل ناشر وصاحب مكتبة لتساعده في الوقوف على ما ينشر من الكتب والنشرات باللغة الألمانية في المانيا الاتحادية والمانية الشرقية وهي عون بالطبع للواقفين في اللغة الألمانية يساعدهم في الحصول على آخر ما ينتجه العقل الألماني

من حديثٍ أو قديم في صنوف العلوم والآداب والمعرفة

ويجد الواقفون على اللغة الألمانية في مجلة : « Die Bücher Kommentare » ، وهي مجلة في حجم الجرائد العادية تصدر أربع مرّات في السنة ، مادة دسمة عن الكتب عامة وفيها أبواب خاصة بنقد المؤلفات ذات المستوى العالمي العالي وتصدر في مدينة « Stuttgart » بالمانيا الغربية . يساهم في تحريرها نخبة من مشاهير الكتاب الألمان . وفيها نقد وتعريف لأهم ما يطبع في اللغات الأجنبية وما ينقل الى اللغة الألمانية من تراث فكري أجنبي .

وتصدر جمعية أصحاب المكتبات بالمانية ومقرها مدينة «فرنكفورت على نهر الماين » ، نشرة تصدر ست مرات في السنة ، بأسماء الكتب المختارة التي تصدر بالالمانية وعنوانها : « Deutsche Bibliographie : das Deutsche Buch » وتجد أمام كل كتاب نبذة عن محتواه وعن قيمته وشخصية مؤلفه ، ونقداً مركزاً عنه بقلم أساتذة من أصحاب الاختصاص ولذلك فالنشرة مرجع مهم للواقفين على اللغة الألمانية وهي تتناول كل نواحي المعرفة الانسانية من علم وفن وأدب

ولمكتبة « Fl. Tulkens » بمدينة « بروكسل » « Bruxelles » نشرة مهمة ، تنشر باللغة الفرنسية تحتوي على أسماء المؤلفات الصادرة عن الشرق .. وعن المطبوعات القديمة الموجودة لديها للبيع وأمام كل مطبوع وصف مختصر له وضع على طريقة أصحاب المكتبات في الغرب في التعريف بالكتاب مع بيان سعره ليستفيد منه القارىء

من منشورات المستشرقين : طبع في مدينة « لايدن » الجزء الخامس والعشرون من « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » ، وذلك في سنة ١٩٥٩ وظهر القسم السابع عشر من الموسوعة الاسلامية « Ency of Islam » في اللغة الانكليزية وسيتم طبع الجزء الثامن عشر قريباً

وطبع في السنة الماضية كتاب باللغة الانكليزية بعنوان :

« Islamic Law in the Modren World » ، لمؤلفه الأستاذ « Anderson » ، استاذ الشريعة الاسلامية في جامعة لندن . وهو عن الفقه والقوانين المطبقة حديثاً في مختلف أنحاء العالم الاسلامي .

وطبع معهد العلاقات الدولية والقانون المقارن » البريطاني :

« The British Institute of International and Comparative Law » ، كتاباً بالوثائق المتعلقة بمشكلة قناة السويس وكيفية حلها وقد طبع في هذه السنة وعنوانه : « The Suez Canal Settlement » لجامعه « Lauterpacht » . كما طبع كتاب عن نظريات وآراء ابن سينا بعنوان :

« Avicenna and the Visionary Recital » ، لمؤلفه : « Henry Corbin » استاذ الاسلاميات في جامعة السوربون . وقد استعان المؤلف ببعض مخطوطات ابن سينا التي عثر عليها في ايران

وقد ظهر المجلد الثاني من مجلة :

« The Annual of Leeds University oriental Society » ، وقد سام فيه أساتذة القسم الشرقي في جامعة « ليدز » بانكلترة وفيه بحث قيم عن الكتب الموسيقية التي وردت اسماؤها في كتاب الفهرست لابن النديم . للأستاذ « فارمر » المشهور المعروف في بحوثه عن الموسيقى عند العرب .

وظهر الجزء الثالث من مجلة :

« Journal of the Economic and Social History of the Orient » ، وهي مجلة مهمة تُعنى بالدراسات الاقتصادية والاجتماعية للبلدان الشرقية :

أما مجلة : « Review of the Electrical Communication Laboratory » ،

فانها من المجلات الدورية الاختصاصية في موضوعات العلوم الكهربائية وبحوثها في اليابان .
وفيها بحوث قيمة كتبها اختصاصيون في الموضوعات المذكورة

وقد ظهر المجلد السادس من نشرة «Japan Science Review» . وهو في العلوم الاقتصادية « Economic Sciences » وقد أصدره الاتحاد الياباني للعلوم الاقتصادية ، ويقع في (٢٤٢) صفحة تضمنت أسماء علماء الاقتصاد في اليابان وأشهر مؤلفاتهم ونقداً علمياً لأشهر المؤلفات والنشرات والبحوث التي ظهرت في سنة ١٩٦٠ في تلك البلاد وهو لذلك مرجع مهم لمن يريد الوقوف على الدراسات العلمية الاقتصادية في اليابان

وقد وصل الجزء الثاني من المجلد الأول من مجلة « Folia Orientalia » التي يصدرها المجمع العلمي البولوني في مدينة « كراكو Krakow » وقد تضمن بحوثاً قيمة كتبت بالبولونية والروسية والألمانية والانكليزية والفرنسية في موضوعات استشراقية عديدة جمعها « ٣٧٣ » صفحة . وفيها فصل خاص بنقد الكتب التي تظهر في مختلف أنحاء العالم عن الشرق وفي جملة ما جاء فيه من بحوث قيمة بحث عن المراجع الواردة عن مجيء الإباضيين الى جبل نفوسه كتبه : « Tadeusz Lewicki » . وبحث عن نصوص عربية في السودان لـ « Andrzej Czapkiewicz » ، وبحث قيم عن الأعلام الجغرافية الواردة في نزهة المشتاق للادريسي ومقابلتها بالأصل الأوربي لتلك الأعلام كتبه المستشرق « Wladylaw Kubiak » وبحث عن النقود الاسلامية الموجودة في بولونيا وبحوث أخرى عن التصوف واللغة والتأريخ وغير ذلك ولا سيما في الموضوعات المتعلقة بالشعوب الاسلامية الخاضعة الآن للاتحاد السوفيتي

جامعة ملبورن: قرر قسم الدراسات السامية : « Department of Semitic Studies » في جامعة ملبورن باسترالية بالاشتراك مع الجمعية الاسيوية الافريقية في جامعة ملبورن اصدار مجلة دورية باسم : Abar — Naharaim تخصص بالدراسات

السامية : العربية والسريانية والعبرانية وستقوم بنشر البحوث التي يقوم بها أساتذة المعهد والأساتذة الأجانب المتخصصون بالساميات وقد قرر القسم أن يُعتنى بالدراسات الاسلامية خاصة لما للعالم الاسلامي من أهمية في هذا الوقت وسينشر بعض المخطوطات العربية النادرة المحفوظة في خزانة كتب قسم الدراسات السامية في هذه الجامعة

مؤتمر المستشرقين : انعقد مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرون في مدينة موسكو بين اليومين : التاسع والسادس عشر من آب هذه السنة وهو استمرار لمؤتمر المستشرقين الذي جرت العادة في عقده منذ سنة (١٨٧٣) ، إذ عقد فيها أول مؤتمر للمستشرقين وكان آخر مؤتمر لهم قد عقد في سنة (١٩٥٧) في مدينة « مونيخ » بألمانيا الغربية

وحضر هذا المؤتمر (٩٤٧) عالم من علماء الاستشراق من مجموع ثلاثة آلاف دعوة وجهت الى اشخاص وهيئات علمية في مختلف أنحاء العالم وقد اشترك فيه (٤٩٥) باحث من الاتحاد السوفيتي و (١٣٣) من بريطانيا و (٣٢٧) من الولايات المتحدة و (٩٩) من فرنسا و (٥٤) من اليابان و (٥١) من المانيا الغربية و (٨٥) من المانيا الشرقية أما الدول العربية فقد مثلها كلها ما يقارب أربعين عالماً . وأرسل الصهاينة خمسة عشر رجلاً ، هذا ، فضلاً عن آخرين اشتركوا في هذا المؤتمر باسم دولهم التي ينتمون اليها وقد قرر المؤتمر أن يكون اجتماعه المقبل سنة ١٩٦٣ في الهند

وقد انقسم المؤتمر الى لجان اختصاص ، توزع الأعضاء فيها حسب اختصاصهم . والقيت فيه (٧٦٧) محاضرة وبحث من أهمها بالنسبة للمطالع العربي محاضرة الأستاذ « فيبي » الدانماركي عن الحفريات الدانماركية في جزيرة « فيلكة » في الكويت . وتقرير للأستاذ المستشرق الألماني « يوسف شاخت » عن الطبعة الجديدة للموسوعة الاسلامية « Ency. of Islam » ، ومحاضرة المستشرق الياباني عن السمات البارزة لتأريخ الشرق

الأوسط ومحاضرة للويس ماسنيون عن بناء المدن العربيـــة وبحث للمستشرق الفرنسي «كلود كاين» عن نشوء الوقف وأصله وبحث للمستشرق «غرابار» الانكليزي عن تصاوير المقامات وآخر للمستشرق الـكنـدي «جورج ميشل ويكنز» عما كتبه نصير الدين الطوسي عن سقوط بغداد كما القى المستشرق الألماني «جورج كرامر» بحثا عن كتاب غير معروف لابن دريد ، والمستشرق «جورج سكاتلون» عن مصادر تأريخ الفنون الحربية الاسـلامية في القرون الوسطى ، والمستشرق «ورنر كاسل» عن معنى علم الانساب عند العرب والقى المستشرق الـكندي «ويلفرت سمث» بحثاً بعنوان : «مدلول الشريعـة في علم الـكلام» اما المستشرق «ولتر فيشر» فألقى بحثاً بعنوان طريقة ابن خلدون في الاستفادة من المصادر التأريخية

وهناك بحوث عديدة أخرى القيت عن نواح معينة خاصة من الدراســات العربية والاسلامية وقد ســاهم في هذا المؤتمر بالقاء بحوث ومحاضرات علماء من العالم العربي والاسلامي

نشر كتاب : والقت المستشرقة الايطالية «لورا فاكليري» بحثاً في مؤتمر المستشرقين عن خطة الجهات الاستشراقية في ايطالية في نشر الـكتاب الجغرافي المهم «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» وقد اتصلت تلك الجهات بمختلف المـكتبات في العالم للحصول على نسخ مصورة من هذا الـكتاب للاعتماد عليها في نشره

معارض كتب دولية : أخذت الدول في مختلف انحاء العالم تعنى بمعارض الـكتب والتراث الفكري ومن هذه المعارض ما هو دولي أو ذو طابع اقليمي وقد صارت هذه المعارض من جملة وسائل الدعاية والتفاخر ، وهذا ما جعل الدول تنفق عليها بسخاء من المخصصات التي ترصدها في ميزانيتها للدعاية وعلى كل ، ومهما كان الغرض ، فان لهذه المعارض فائدة كبيرة في جعل الوقوف على التراث العقلي في متناول الناس

جواد علي

خلاصة اعمال المجمع العلمي العراقي

في سنة ١٩٥٩ — ١٩٦٠

هذه تذكرة لما قام به المجمع في غضون المدة التي انصرمت بين آخر مجلد صدر من هذه المجلة ، وهذا الجزء الذي يقدّم الى القرّاء ، التزمت فيها ، وضمنها الأمور التي تهيه من يريد الوقوف على سيرة المجمع وتطوره :

ديوان الرئاسة : تحتم المادة التاسعة من نظام المجمع تجديد انتخاب الرئيس ونائبيه في مفتتح كل عام مجمعي وقد عقدت الجلسة الأولى لسنة ١٩٦٠ — ١٩٩١ مساء الثلاثاء الرابع من تشرين الأول لتنفيذ حكم هذه المادة فانتخب بالاقتراع السري الأستاذ السيد منيرالقاضي رئيساً والأستاذ السيد محمد بهجة الأثري نائباً أول للرئيس ، والدكتور مصطفى جواد نائباً ثانياً ومن حضرات الأساتذة المذكورين مضافاً اليهم العضو العامل الدكتور جواد علي سكرتير المجمع ، تكون ديوان الرئاسة لسنة ١٩٦٠ — ١٩٦١

مؤتمرات : وجه مؤتمرالمستشرقين الذي انعقد في موسكو في شهر آب من هذه السنة دعوة الى المجمع العلمي العراقي لارسال مندوب عنه لحضوره وقد اختار المجمع الدكتور مصطفى جواد العضو العامل لتمثيله هناك ، ولكن ظروفاً شخصية مفاجئة حالت دون حضوره ، كما ان العضو العامل الدكتور ناجي الأصيل لم يتيسر له الحضور ، لفوات موعد المؤتمر وهو فيجنيف ينتظر ورود معلومات كان قد طلبها وسافر الأستاذ محمد بهجةالأثري نائب رئيس المجمع الأول وكذلك الأستاذ محمد رضا الشبيبي عضو المجمع الفخري الى فاس ، بدعوة وجهها اليها الحكومة المغربية للاشتراك في الاحتفال بجامعة القرويين وهي أقدم

جامعة اسلامية أسست هناك

وقد حضر الدكتور ناجي الأصيل عضو المجمع العامل مؤتمر المستشرقين الآثاريين في جنيف بدعوة من المؤتمر

وفاة أعضاء : فجع المجمع خلال هذه المدة بوفاة المرحوم الدكتور داوود الجلبي عضو المجمع المراسل، رحمه الله وعوض الآداب العربية عنه خيراً

الميزانية : بقيت موازنة المجمع على ما هي عليه ، دون أن يضاف اليها شيء ما أما مشروع البناية المقررة للمجمع ، فقد توقف في هذه السنة ، بانتظار النتائج التي سيسفر عنها فحص التربة ، وقد وضعت مديرية الأشغال العامة مناقصة لفحص التربة في الإعلان ، وسيشرع بالفحص عقب انتهائها

المطبعة : نظراً لضيق ميزانية المجمع ، لم يتمكن من شراء شيء جديد يضيفه الى مقتنيات المطبعة للنهوض بمستواها وكان المجمع قد تقدم الى الوزارة في اثناء اعداده ميزانيته برجاء الموافقة على تخصيص مبلغ عشرة آلاف دينار لابتياع آلة تنضيد ، ومبلغ الف وخمسمائة دينار لابتياع ادوات تجليد ، ولكنه لم يوفق للحصول على شيء من ذلك

مطبوعات : نجز طبع الجزء الثامن من كتاب تأريخ العرب قبل الاسلام ، وستباشر المطبعة بطبع الكتب التي قرر المجمع طبعها حسب الترتيب كما نجز طبع النشرة السادسة من نشرات المجمع في المصطلحات العلمية

المصطلحات : انجز المجمع مصطلحات علم التربة ، وهي حوالي ثلاثمائة مصطلح وسيباشر بدراسة المصطلحات الأخرى الواردة اليه من مختلف الدوائر والجهات وقد باشر فعلاً بدراسة مصطلحات التربية البدنية وهي مصطلحات تقع في جملة قوائم أرسلتها اليه

اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية وسيباشر بعد الانتهاء منها النظر في مصطلحات « مصلحة نقل الركاب »

الهدايا : تسلم المجمع جملة هدايا من المؤلفين ومن الناشرين ، فأودعها خزانة كتبه ، ودون في سجل الكتب أسماء مهديها ومن الناشرين الذين اعتادوا ارسال مطبوعاتهم الى المجمع : مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، والمجمع العلمي العربي بدمشق ، والمعهد العلمي الفرنسي بدمشق ومكتبة لنينغراد

الشعبة الفنية : وافق المجمع على ايفاد ملاحظ الشعبة الفنية الى « جيكوسلوفاكيا » لمدة سنة واحدة ، لاستزادة معلوماته في امور التصوير وقواعده وما يتعلق بذلك وقد صورت الشعبة مخطوطة تأريخ الغياثي لأحد طلاب العلم في جامعة « برنستن » للاستعانة بها في بحث يعده لنيل شهادة الدكتوراه كما قامت بتصوير جملة مخطوطات ووثائق لمديرية الآثار القديمة العامة ولخزانة كتب المجمع

اجتماعات : عقد المجمع (٢٥) اجتماعاً في السنة ١٩٥٩ — ١٩٦٠ المجمعية ، انهى فيها دراسة مصطلحات علم التربة ، ومختلف الموضوعات العلمية والقضايا الادارية والاستفتاآت اللغوية والعلمية التي عرضت عليه

زيارات الأجانب : ولقد قصد المجمع عدد من الزوّار الأجانب الذين زاروا العراق ، من بينهم رئيس الجالية الاسلامية بيوغوسلافيا ، ومدير التعليم العالي العام بـ « جيكوسلوفاكيا » ، والدكتور نيبرك المستشرق المعروف ، عضو المجمع العلمي السويدي . والأستاذ في جامعة « اوبسالا » وقد انتخبه المجمع إثر ذلك عضواً مراسلا له والدكتور موراليٍ ، المدير العام للعلاقات الثقافية في وزارة الخارجية الاسبانية كما قصده نفر من مختلف الجنسيات لشراء مطبوعاته

لجنة المجلة : تتألف لجنة المجلة في الوقت الحاضر من الأساتذة السادة : محمد بهجة الأثري وشيث نعمان والدكتور مصطفى جواد والدكتور جواد علي ووظيفتها النظر في البحوث التي يرسلها كتّابها الى المجمع لنشرها في مجلته وتقبل اللجنة ما يرد اليها من الكتّاب سواء أ كانوا من أعضاء المجمع أم من غيرهم اذا كان منسجماً مع خطة المجمع ، غزيراً في مادته. وهي إذ تجيز نشر ما يرد اليها من مقالات وبحوث فانها تنشرها على مسؤولية أصحابها ، فلا تتعرض لها بتصحيح لا في الموضوع ولا في اللغة والأسلوب

ومجلة المجمع مجلة كل طالب علم ، ليست خاصة بأعضاء المجمع — لا يكتب فيها غيرهم ، ولا تفسح صدرها لكتّاب دون آخرين — بل هي مجلة تنشر ما لأعضاء المجمع وما لغيرهم وما بعض المقالات التي يجدها القارىء في هذا الجزء ، وهي لغير أعضاء المجمع ، إلاّ برهان على فساد ما قد يذهب اليه بعض الناس من القول إن المجمع قصر مجلته على نشر نتاج اعضائه

اجزاء المجلة وبدل الاشتراك : مجلة المجمع مثل المجلات المجمعية الأخرى ، لا تتقيد بشهر أو بفصل ، فليست المجامع دور نشر فتتقيد بقيود مواعيد الاصدار ، وقاعدتها في النشر التمسك بالمجلدات ، وقد يكون المجلد جزءاً واحداً واسعاً كما كان المجلد السابق ، وقد يكون جملة أجزاء ولهذا لايتقيد المجمع بتعيين مبلغ خاص بالاشتراك ، بل يتقيد ببيع المجلة على أساس ثمن الجزء الصادر الى السوق وهو (٢٠٠) فلس للجزء الواحد مأخوذاً من ادارة المجمع مضافاً اليه أجرة البريد ، اذا كان مطلوباً في البريد

نشر كتاب : قرر المجمع في جلسته الخامسة لهذه السنة المجمعية ، نشر تأريخ الغياثي ، وقد احيل أمر تحقيقه على لجنة مكونة من السادة الأساتذة : عباس العزاوي والدكتور مصطفى جواد والدكتور حسين علي محفوظ

اشتراك في معارض كتب : وقرر الاشتراك في معرض الكتاب السادس المنوي عقده في بيروت في أواخر هذا الشهر ، وفي معرض الكتب الدولي المنوي عقده في نهاية الشهر القادم في « لاهور » بالباكستان وقد أرسل مطبوعاته الى السفارة العراقيـــة ببيروت والسفارة العراقية بكراجي لعرضها في المعرضين

اعادة طبع كتاب : نظراً لنفاد الجزئين الأول والثاني منذ مدة طويلة من كتاب تأريخ العرب قبل الاســلام ، فقد قرر المجمع اعادة طبع الجزء الأول منه ، وسيباشر بطبعه قريباً

جواد علي

« فهرس المجلد السابع »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الأول)

« « « (المجلد الثاني)

« « « (المجلد الثالث : جزءان)

« « « (المجلد الرابع : جزءان)

« « « (المجلد الخامس)

« « « (المجلد السادس)

« « « (المجلد السابع)

كتاب النغم ليحيي بن علي بن يحيي المنجم — تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري نفد

تأريخ العرب قبل الإسلام « الجزء الأول » — نفد

« « « « الجزء الثاني » — نفد

« « « « الجزء الثالث »

« « « « الجزء الرابع » القسم السياسي للدكتور جواد علي

« « « « الجزء الخامس » القسم الديني

« « « « الجزء السادس » القسم الديني

« « « « الجزء السابع » القسم اللغوي

« « « « الجزء الثامن » القسم الاجتماعي والثقافي

صورة الأرض للشريف الادريسي ـ تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي

موجز الدورة الدموية في الكلية ـ للدكتور هاشم الوري

المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد ـ للحافظ ابن الدبيثي ـ انتقاء الامام الذهبي ، الجزء الأول تحقيق الدكتور مصطفى جواد

بلدان الخلافة الشرقية ـ تأليف لسترنج وترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد

خريدة القصر وجريدة أهل العصر ـ للعماد الأصبهاني ـ القسم العراقي ـ الجزء

الأول : حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الأستاذ محمد بهجة الأثري ، وأعد أصله وشارك في تحقيقه ومعارضته وصنع فهارسه الدكتور جميل سعيد

منازع الفكر الحديث ـ تأليف سي. م. جود ، ترجمة المرحوم الأستاذ عباس فضلي خماس ومراجعة الدكتور عبد العزيز البسام

الخطاط البغدادي علي بن هلال (ابن البواب) ـ تأليف الدكتور سهيل أنور ، وترجمة الأستاذين : محمد بهجة الأثري وعزيز سامي

كتاب الجامع الكبير في صناعة المنثور من الكلام والمنظوم : تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد

مصطلحات المجمع في هندسة السكك والري والأشغال وفي الصناعة والملاحة والطيران

مصطلحات المجمع في صناعة النفط

تكملة إكمال الاكمال ـ تأليف جمال الدين أبي حامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد

مؤرخ العراق ابن الفوطي جـ ١ ـ للأستاذ محمد رضا الشبيبي الجزء الأول

» » » » » » » » » » الثاني

مقدمة للرياضيات ـ تأليف وايتهيد ، وترجمة المرحوم الأستاذ محي الدين يوسف

الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ـ للسيد ناصر النقشبندي

خارطة بغداد قديماً وحديثاً ـ وضع الدكتور أحمد سوسة والدكتور مصطفى جواد والسيد أحمد حامد الصراف

الوقاية من السل الرئوي والـ بي سي. جي ـ للمرحوم الدكتور شريف عسيران

دليل خارطة بغداد المفصل ـ للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة

العراق في الخوارط القديمة — جمع وتحقيق الدكتور أحمد سوسه

مصطلحات الألكترون

» القانون الدستوري

» علم الفضاء .